قال الله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ الآية . سورة يوسف



لواضعه

السيد

علي فكري

الأمين الأول لدار الكتب المصرية

ورئيس المغيرين

الجزء الرابع

يشمل خلاصة سير

أئمة الدين وبعض الصالحين

رضى الله عنهم أجمعين

الطبعة الأولى ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر



وبه أستعين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه والتابعين

أما بعد فهذا الجزء الرابع من كتاب أحسن القصص

وهو يشمل خلاصة سير ومناقب الأئمة المجتهدين ، هداة الأمة الاسلامية وحماة الدين ، الذين أقاموا قواعد الدين على أساس متين ، ودعوا الناس الى عبادة رب العالمين ،فملأوا بشريعتهم وعلومهم الآفاق والبلدان ، وسارت بجيش ذكرهم الركبان ، فى كل زمان ومكان

وهؤلاء الأئمة الأعلام هم :

١ ـ الإمام الكوفى أبو حنيفة النعمان

٢ ـ الإمام مالك بن أنس رفيع القدر والشان

٣ ـ الإمام الشافعى المتصل نسبه الشريف بآل عدنان

٤ ـ الإمام أحمد بن حنبل الذى سلك بعلمه الطريق الأحمد فى السر والاعلان

٥ ـ الإمام الليث الذى عم الأنام بالكرم واللطف والغيث

وقد أنشد بعضهم فى مدحهم :

« قوم الى الله ساروا بالعلوم على   نجائب الفكر ركبانًا ووحدانا »

«وفارقوا الأهل واللذات واغتربوا   وقد جفوا فى طلاب العلم أوطانا »

« حتى انتهوا منتهى علم ومعرفة   وذكرهم عطر الأكوان إعلانا »

« هم الأئمة لازالت علومهم   تبدى لنا رَشفها روحا وريحانا »

وقد أضفت اليهم سير بعض الصالحين من آل بيت النبى المختار عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام

فيرى المطلع على سيرهم ومناقبهم المثل الأعلى فى الدين والعلم والأخلاق

والله تعالى أسأل أن ينفعنا بهم و بعلومهم ، ويحفنا ببركاتهم ، وأن يهدينا للعمل بشريعتهم ، والسير على طريقتهم ، إنه سميع مجيب الدعاء

السيد على فكرى

الأمين الأول لدار الكتب المصرية

ورئيس المغيرين

١٢ ربيع الأنور سنة ١٣٥٣ ـ ٢٤ يونيه سنة ١٩٣٤

١ ـ الامام ابى حنيفة النعمان

« مختصر من كتاب حياة الامام للاستاذ السيد عفيفى القاضى الشرعى »

مولده ونسبه

ولد الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضى الله عنه (بالأنبار بالكوفة) سنة ثمانين من الهجرة النبوية فى عصر الدولة الأموية فى خلافة عبد الملك بن مروان

وذلك فى حياة جماعة من الصحابة رضى الله عنهم

ويقال : إن أباه (ثابتا) هو الذى أهدى (الفالوذج)لسيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم عيد النيروز ، وقيل : كان ذلك يوم المهرجان

وكان (ثابت) أبو أبى حنيفة يقول : أنا فى بركة دعوة صدرت من على رضى الله عنه فى حقى

اسمه وكنيته

اسمه : النعمان وقيل : معنى النعمان الدم ، أو الروح ، فيكون اتفاقا حسنًا ؛ لأن أبا حنيفة روح الفقه وقوامه ، ومنه منشوؤه ونظامه

كنيته : أبو حنيفة (مؤنث حنيف) وهو الناسك أو المسلم ، لأن الحنيف هو المائل الى الدين الحق

وقيل : ان سبب كنية الإمام بذلك أنه كان ملازما لصحبة الدواة وحنيفة (بلغة العراق) الدواة فكنى بها

صفته ـ كان الإمام أبو حنيفة من أحسن الناس صورة ، وأبلغهم نطقاً ، وأكملهم ايراداً ، وأحلاهم نغمة ، وأبينهم لما يريد

وكان حسن الوجه ، حسن اللحية ، حسن الهيئة والثياب ، حسن المجلس ، حسن السمت ، هيوباً ، شديد الكرم ، كثير المواساة لإخوانه ، كثير التعطر ، ولذا قيل :

كان إذا خرج من منزله يعرف بريح المسك قبل أن يراه الناس

أصله ـ هو عربى المولد والنشأة ، وجدوده من فارس ، ولاغضاضة إذا كان الإمام فارسى الأَصل ، فالتقوى أعلى نسب ، وأقوى حسب لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

وقوله عليه الصلاة والسلام فى خطبة الوداع :

« يأيها الناس إن ربكم واحد ، لافضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود إلّا بالتقوى »

فالاعتبار إذاً للتقوى ، لا للنسب المجرد ، وشرف العلم والتقوى ، فوق شرف النسب والحسب

بشارة النبي ﷺ بالإمام أبى حنيفة

قال الإمام السيوطى رحمه الله : ذكر العلماء ، أن النبى صلى الله عليه وسلم بشر بالإمام أبى حنيفة فى الحديث الذى أخرجه البخارى ومسلم وهو :

« لو كان العلم معلقا عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس »

وفى هذا الحديث الشريف أصل صحيح يعتمد عليه فى البشارة بأبى حنيفة، وفى الفضيلة التامة له ، لأنه لم يبلغ أحد فى زمن أبى حنيفة من أبناء فارس فى العلم مبلغه ولا مبلغ أصحابه

علومه ـ أخذ الإمام أبو حنيفة من العلوم بأوفر نصيب ، و بلغ فيها مبلغاً يشار اليه بالبنان ، وقد تفوق فى علوم النظر والقياس ، و إصابة الرأى حتى قالوا عنه :« أبو حنيفة إمام أهل الرأى »

أما العلوم الشرعية والعربية ، والأدبية والحكمية ، فكان فى كل هذا بحراً لايجارى ، و إماماً لايمارى

وأما الفقه ، فقد ذكر الإمام الشافعى : أن الناس عيال على أبى حنيفة فى الفقه

وأما الحديث ، فقد قال الإمام أبو يوسف : مارأيت أحداً أعلم بتفسير الحديث من أبى حنيفة كان بصيراً بعلل الحديث ، وبالتعديل والتجريح ، مقبول القول فى هذا ، وأنشد الإمام أبو المؤيد :

« نعمان قد سبر العلوم بأسرها حتى علَا منها ذرى الأطواد »
« ثم انتهى منها الى الفقه الذى قد راح فى الأغوار والأنجاد »
« وهَداه لما لجّ فى طلب الهدى محمود فطنته الى حمَّاد »
« ثم انبرى من بعده يفتى الورى حقًا برغم معاطس الحسَّاد »
« لقد ارتقى فى فقهه فى قلة هدمت معاهدها قوى الإلحاد »
« فِرَقُ الضلال حدَوْا اليه مطيَّهم فهداهمُ ولكل قوم هادى »

زيادة نشاطه وإقباله على العلم والتدريس والافتاء

قال الإمام رحمه الله : كنت أجلس للتعليم ، وأصبر لأصحابى طرفى النهار مع المداومة، فرأيت ليلة فيما يرى النائم كأنى أنبش قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، وأستخرج عظامه فأجمع بعضها على بعض ، فأعظمنى ذلك وأفزعنى ، فتركت المجلس ، وأرسلت رجلاً أميناً ثقة

إلى (ابن سيرين عالم الرؤيا) يسأله عن هذه الرؤيا ، فذهب الرجل وسأله فعبرها تعبيراً رجوت منه الخير ، فخف عنى ما كنت أجده من تلك الرؤيا ، وعدت إلى العلم والتعليم

قال يحيى بن نصر : ما الذى عبَّر ؟ قال الإمام : السماع من غيرى أحسن . قلت : على كل حال أحب أن أعلم

قال : صاحب هذه الرؤيا يُحيى علماً قد أُميت ؛ وفى رواية أخرى يحيى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

شجع هذا أبا حنيفة ، وزاده نشاطاً ، فزاد إقباله على التدريس والإفتاء ، وكثرت أصحابه حتى صارت حلقة درسه أوسع الحلقات فى المسجد وأعظمها ، وعمل أشياء أعجزت غيره وتفوق على الجميع ، واستحكم له الأمر ، فانصرف إليه وجوه الناس ، وأكرمه الخلفاء والأمراء والحكام وأشراف الدولة

وما زال كذلك حتى ارتفع شأنه وزاد إقبال الناس عليه ؛ ولكن مع الأسف كان خصومه وحساده يصغرون من شأنه ، ويشوهون من سمعته ، ويؤلفون فى ذمه ، والانتقاص من قدره، المؤلفات ؛ ولكنه لم يعبأ بهم ، ولم يلتفت لأقوالهم ، وكان يقول :

«عفا الله عمن قال فينا مكروهاً ، ورحم الله من قال فينا جميلاً »

تفقهوا فى دين الله ، وذروا الناس ، وما قد اختاروا لأنفسهم ،

فيحوجهم الله تعالى للعلم

وعلى الرغم مما أصابه من ذم الخصوم ، وكيد الحساد ، كان حافظاً لسانه لايذكر أحداً بسوء، وكان لا يخوض فيمالا يعنيه،ولا يستمع إليه ، ولم يغتب أحداً قط ، وكان أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها ، وكان طويل الصمت ، كثير الفكر.دقيق النظر فى الفقه ، لطيف الاستخراج فى العلم والعمل ، والبحث والتنقيب ، كثير العقل ، قليل المجادلة للناس ، قليل المحادثة لهم

وكان يعلم أنه لا يسلم من ذم الناس وحسدهم أحد فطرح المبالاة لكلامهم ، واستعمل المبالاة لكلام الله تعالى ، وهذا هو العقل كله والراحة كلها ، وهذا هو المثل الأعلى الذى يجب أن يكون مثل العلماء وأهل الكمال والفضيلة ، وقد أنشد بعضهم :

« لأبى حنيفة فى العلوم منار — مُلئت بها الآفاق والأقطار »

« شيخ البرية فى العلوم ومن له — تروى المناقب عنه والأخبار »

« متعبد لله طول حياته — وعليه منه سكينة ووقار »

« قد كان يحيى ليله متهجدا — وله بكل وظيفة أذكار »

« وعطاؤه قد كان سمحاً للورى — وله بذاك على الدوام فخار »

تلاميذه — لا يمكن حصر تلاميذ الإمام أبى حنيفة الآخذين عنه ، ولم يظهر لإمام من أئمة الإسلام من الأصحاب والتلاميذ مثل ما ظهر لأبى حنيفة ، ولم ينتفع العلماء وجميع الناس بمثل ما انتفعوا به و بأصحابه

ومن هؤلاء العلماء (حماد بن أبي سليمان) وهو الذى لازمه حتى تخرّج به ، وكان أفقه أهل زمانه وأكرمهم

خصائصه – اختص الإمام أبو حنيفة عن غيره من الأئمة بخصائص منها :

١ – أنه وُلد فى زمن جماعة كثيرة من الصحابة ، واتفق المحدثون على أن أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا على عهده وهم :

أنس بن مالك، خادم الرسول ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وسهل بن سعد الساعدى ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة

ولا خلاف فى ذلك فهو من أهل القرن الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية، ووصفهم بالعدالة

روى الشيخان : (البخارى ومسلم) وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم »

وروى مسلم وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« خير الناس القرن الذى أنا فيه ، ثم الثانى ، ثم الثالث »

وأنشد الإمام أبو المؤيد :

« غدا مذهب النعمان خير المذاهب

كذا القمر الوضاح خير الكواكب »

« تفقَّه في خـير القرون مع التقى
ومذهبـه لا شكَّ خـيرُ المذاهب »

٢ – أنه اجتهـد في زمن التابعين ، وكان مقدماً في الفتوى معظماً في زمنهم

وقيل : إنه أخذ عن أربعة آلاف شيخ من التابعين ، أو يزيدون وأنه اتفق له من الأصحاب ما لم يتفق لأحد من بعده من الأئمة

٣ – رواية الأئمة الـكبار عنه حتى قيل : لو لم يستدل على فضـل الإمام أبي حنيفة إلاَّ برواية الـكبار عنه لـكفى ، ومنهم (عمرو بن دينار) فإنه من شيوخ أبي حنيفة وكبار العلماء

٤ – أنه أول مَن دوَّنَ علم الفقه ورتبه أبواباً ، ثم تابعه الإمام مالك ابن أنس في ترتيب الموطأ ، فلم يسبق أبا حنيفة أحد ؛ لأن الصحابة والتابعين إنما كانوا يعتمدون على قوة حفظهم

فلمـا رأى أبو حنيفة العلم منتشراً خاف عليـه فجعله أبواباً مبوَّبة وكتباً مرتبة

وهو أول من وضع كتاب الفرائض ، وأول من وضع كتاب الشروط ، وهو كما قال المتنبي :

« إمام رست للعـلم في كنه صـدره
جبالٌ جبالُ الأرض في جنبها قفُّ »

٥ – انتشار مذهبه فى أقاليم ليس فيها غيره وهى : الهند ، والسند والروم، والترك ، وبلاد ما وراء النهر ، وغالب بلاد العجم وغير ذلك

٦ – أنه كان يأكل وينفق على أهل العلم وغيرهم من كسبه ، ولم يقبل الجوائز (العطايا)

٧ – أنه مات محبوساً ساجداً لله

٨ – أنه كان كثير العبادة ، والقيام بالليل ، وقراءة القرآن

روى عنه : أنه كان يحيى نصف الليل ، وقد ختم القرآن فى شهر رمضان ستين ختمة : ختمة بالليل ، وختمة بالنهار

وأنشد الامام أبو المؤيد فى خصائصه :

« إن الامام أبا حنيفة لم تذق　　عيناه قط لذاذةَ الإغفاء »
« وعلى كتاب الله مذهبه بُنى　　لله ثم السنةِ الغراء »
« ثم اجتماع المسلمين فانهم　　نظروا بنور الحق فى الظلماء »
« ثم القياس على النصوص فانه　　زهرٌ لأهل الملَّة الزهراء »

٩ – أنه كان يخاف الله ، ويؤثر رضا ربه على كل شىء ، ولو أخذته السيوف فى الله تعالى لاحتمل ، وكان يصلى ويبكى ويدعو ويقول :

« رب ارحمنى يوم تبعث عبادك ، وقنى عذابك ، واغفر لى ذنوبى يوم يقوم الأشهاد »

١٠ – قيامه لله حق القيام ، فانه كان إذا رأى منكراً ذهب ذلك

اللين،واحمرت عيناه، وانقلبتا فى أم رأسه ، وانتفخت أوداجه ، ومارأى منكراً قط إلا أزاله

مناقب الإمام رضى الله عنه

ترفعه ورفضه لمناصب الدولة - عرض الخلفاء والولاة والأمراء

مناصب الدولة على الإمام أبى حنيفة فأبى أن يتولى واحداً منها،فضربوه وعذبوه وحبسوه على هذا الإباء فأصر عليه حتى مات مسجوناً من جراء امتناعه من أن يتولى القضاء، ويدل على ذلك ما يأتى :

١ - روى الخطيب عن الربيع بن عاصم قال : أرسلنى يزيد بن هبيرة ولى العراقين لمروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية فقدمت بأبى حنيفة فأراده على بيت المال فأبى فضربه أسواطاً

٢ - وعن أبى حفص الكبير وغيره قالوا : كان ابن هبيرة والياًعلى العراق فى زمن بنى أمية فظهرت الفتنة بالعراق فجمع ابن هبيرة فقهاء العراق ببابه فيهم (ابن أبى ليلى، وابن شُبْرمة ، وداود بن أبى هند) وغيرهم ، فولى كل واحد منهم شيئا من عمله ، وأرسل إلى أبى حنيفة ليكون على خاتمه،ولا ينفذ كتاب إلا من تحت يد أبى حنيفة، ولا يخرج شىء من بيت المال إلا من تحت يد أبى حنيفة،فامتنع أبو حنيفة ، فحلف ابن هبيرة إن لم يفعل ليضربنَّه

فقال له جماعة هؤلاء الفقهاء : إنا ننشدك الله أن تملك نفسك فانا إخوانك وكلنا كاره لهـذا الأمر لم نختره، ولم نجد بداً من ذلك ، فأبى وقال :

لو أرادني أن أعد له أبواب المسجد لم أفعل ، فكيف وهو يريد أن يكتب بضرب عنق رجل مسلم ، وأختم أنا على ذلك الكتاب ؟ فوالله لا أدخل فى هذا أبداً .

فحبسه صاحب الشرطة جمعتين لم يضربه ثم ضربه أربعة عشر سوطاً

٣ - روى الخطيب عن عبد الله بن عمرو قال : كلم ابن هبيرة أبا حنيفة فى أن يلى قضاء الكوفة فأبى ،فضربه مائة سوط وعشرة أسواط ، فى كل يوم عشرة أسواط ، وهو على الامتناع،فلما رأى ذلك خَلَّى سبيله

٤ - روى عن بشر بن الوليد قال : كان أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين أرسل إلى أبى حنيفة وأراد أن يوليه القضاء فأبى

فحلف عليه أبو جعفر ليفعل،فحلف أبو حنيفة لا يفعل. فقال الربيع لأبى حنيفة ألا ترى أمير المؤمنين قد حلف؟فقال : أبو حنيفة أمير المؤمنين أقدر على كفارة يمينه منى على كفارة يمينى،فأمر بحبسه،ثم دعا به فقال:أترغب عما نحن فيه ؟ فقال أبو حنيفة : أصلح الله أمير المؤمنين ، يا أمير المؤمنين اِتق الله ، ولا تشرك فى أمانتك من لا يخاف الله ، والله ما أنا مأمون

الرضا ، فكيف أكون مأمون الغضب ؟ فلا أصلح لذلك

فقال أمير المؤمنين : كذبت، أنت تصلح لذلك

فقال : يا أمير المؤمنين، قد حكمتَ على نفسك ، إن كنتُ صادقاً فقد أخبرت أمير المؤمنين أنى لا أصلح ، و إن كنت كاذبًا فكيف يحل لك أن تولى قاضياً كذاباً ؟ ومع ذلك فانى رجل مولى ، ولا تكاد العرب ترضى بأن يكون عليهم مولى، فأمر به إلى السجن ولبث به إلى أن مات ودفن فى مقابر الخيزران

٥ ـ وفى رواية أخرى ، ان أبا جعفر المنصور دعا أبا حنيفة وسفيان الثورى وشريكا النخعى فدخلوا عليه ، فقال لسفيان : هذا عهدك على قضاء البصرة فألحق بها ، وقال لشريك : هذا عهدك على قضاء مدينتى وما يليها فامْضِ ، وقال لحاجبه : وجِّه معهم متوكلا بهم ، فمن أبى منهم فاضربه مائة سوط ، فأما شريك فانه تقلد القضاء، وأما سفيان فانه هرب إلى اليمن ، وأما أبو حنيفة فَلَمْ يقبل ، فضربه مائة سوط وحبس إلى أن مات رضى الله عنه ورحمه رحمة واسعة

زهده وورعه : ١ ـ عن ابن المبارك قال : قدمت الكوفة فسألت عن أزهد أهلها ؟ فقيل : أبو حنيفة

٢ ـ وعن الحسن بن صالح قال : كان أبو حنيفة شديد الورع ،

هائباً للحرام، تاركاً لكثير من الحلال مخافة الشبهة، ما رأيت فقيها أشد ديانة منه لنفسه ولعلمه، وكان جهاده كلّه الى قبره

٣ ـ وعن الحسن بن زياد قال : والله ما قبل أبو حنيفة جائزة ولا هدية

٤ ـ وعن بكر بن ابن ابراهيم قال : جالست الكوفيين فلم أر فيهم أروع من أبي جنيفة

٥ – روى أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال : أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها ؟

٦ – روى عن محمد بن شعاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبى حنيفة : قد أمر لك أبو جعفر أمير المؤمنين بعشرة آلاف درهم ، قال : فما رضى أبو حنيفة . فلما كان فى اليوم الذى توقع أن يؤتى بالمال فيه صلَّى الصبح ثم تغشى بثو به فلم يتكلم ، فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه ، فقال من حضر : ما يكلمنا إلَّا بالكلمة بعد الكلمة ، أى هذه عادته فقال : ضعوا المال فى هذا الجراب فى زاوية البيت

ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته ، وقال لابنه : اذا مت ودفنتمونى فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له : هذه وديعتك التى أودعتها أبا حنيفة ، قال ابنه : ففعلت ذلك . فقال

الحسن : رحمة الله على أبيك لقد كان شحيحاً على دينه

٧ - قيل لأبى حنيفة : تعرض عليك الدنيا فتعرض عنها ولك عيال؟ فقال : الله تعالى للعيال ؛ وإنما قوتى أنا فى الشهر درهمان ، فما جمعى لمن يسألنى الله تعالى عن الجمع لهم إن أطاعوه تعالى أو عصوه ؟ فان رزق الله تعالى غادٍ ورائح على العاصين والمطيعين . ثم قرأ : ﴿ وَفِى السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾

٨ - وعن عبد الله بن المبارك قال : وقعت الى الكوفة أغنام من الغارة واختلطت بغنم أهل الكوفة فسأل أبو حنيفة : كم تعيش الغنم ؟ فقالوا : سبع سنين ، فترك أكل لحم الغنم سبع سنين

ورأى بعض الجند أكل لحماً ورمى فضلته فى نهر الكوفة ، فسأل عن عمر السمك فقيل له : كذاوكذا . فامتنع من أكل السمك تلك المدة

٩ - وقال الإمام القشيرى : كان أبو حنيفة لايجلس فى ظل شجرة غريمه ويقول : كل قرض جرَّ منفعة فهو ربا

---

١٠ - وعن يزيد بن هارون قال : مارأيت رجلاً أورع من أبى حنيفة ، رأيته يوماً جالساً فى الشمس عند باب انسان فقلت له :

يا أبا حنيفة لو تحولت الى الظل ؟ فقال: لى على صاحب هذه الدار دراهم ولا أحب أن أجلس فى ظل فناء داره . قال يزيد : فأى ورع أكثر من هذا ؟

أمانته — عن عبد الله بن صالح قال : قال رجل للحكم بن هشام أخبرنى عن أبي حنيفة ؟ قال : كان أعظم الناس أمانة ، فقد أراده السلطان على مفاتيح خزانته أو يضرب ظهره ، فاختار عذابه على عذاب الله . قال : ما رأيت أحداً يصف أبا حنيفة كما وصفته . قال : هو والله كما قلت

وعن وكيع قال : كنت عند أبى حنيفة فجاءت امرأة بثوب خَزٍّ (حرير) فقالت : بعه لى . فقال : بكم قيل لكِ تبيعينه ؟

قالت : بمائة درهم . قال : هو خير من ذلك

قالت : تهزأ بى ؟ قال : هاتى رجلاً . فجاءت برجل فاشتراه بخمسمائة درهم

وعن على بن حفص البزاز قال : كان حفص بن عبد الرحمن شريك أبى حنيفة فبعث اليه أبو حنيفة بمتاع وأعلمه أن فى ثوب كذا وكذا عيباً فاذا بعته فبين ، فباع حفص المتاع ونسى أن يبين ولم يعلم من اشتراه

فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمن المتاع كله ، وكان ثلاثين ألف درهم ، وفاصل شريكه (باينه) أى قاطعه

قناعته ـ كان إذا وضع بين يديه الطعام ترك منه بقدر ما يأكله ثم يطعمه لانسان فقير أو لمن فى بيته يحتاج اليه

قال أبو حنيفة لعيسى بن موسى أمير الكوفة :

« كسرة خُبزٍ وقعبُ ماء   وفرد ثوب مع السلامه »

« خير من العيش فى نعيم   يكون من بعـده ندامه »

وفور عقله ـ لقد بلغ الإمام أبوحنيفة من وفور العقل ماجعله يستنبط مذهباً وما جعل الإمام الشافعى يقول : ما قامت النساء عن رجل أعقل من أبى حنيفة

وذُكر أبو حنيفة عند هارون الرشيد يوماً فترحم عليـه وقال : كان ينظر بعين عقله ما لا يراه غيره بعين رأسه

وقال ابن المبارك : ما رأيت رجلا أعقل من أبى حنيفة

وقال على بن عاصم : لو وزن عقل أبى حنيفة بنصف عقل أهل الأرض لرجح بهم

وقال الإمام أبو يوسف : ماصاحبت أحداً يقدر أن يقول انه رأى أكمل عقلاً أو أتم مروءةً من أبى حنيفة

وروى القاضى بن كاس : أن أبا حنيفة كان جالساً فى المسجد فسقط فى حجره من السقف حيّة عظيمة، فما تغير ولا تحول؛ بل قال : ﴿ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا ﴾

وأخذها بيده اليسرى ورمى بها عنه

فراسته ـ كان أبو حنيفة ينظر الى الانسان فيعرف مافى نفسه بشدة فراسته ، وكان بمجرد معاشرته لشخص يعرف مايؤول اليه أمره،ويحدثه عما يحصل له فى مستقبله ، فكأنه كان يقيس مستقبله على ماضيه

ولقد بلغ من حسن فراسته وصدقها أنه قال لداود الانطاكى : أنت تتخلى للعبادة . وقال لأبي يوسف : أنت تميل الى الدنيا . فكان كما قال

ومما يدل على فراستـه أن محمد بن ابراهيم الفقيه قال : كان أبو حنيفة جالساً فى المسجد فمرّ عليه رجـل فقال أبو حنيفة : هذا الرجل غريب ، وفى كمه شىء من الحلوى ، وهو معلم صبيان ، فقام بعض أصحاب أبي حنيفة وتبع الرجل فوجده غريباً ، ووجد فى كمه زبيباً ، ووجد أنه معلم صبيان

فسألوا أبا حنيفة عن هـذه المسائل ؟ فقال : رأيتـه ينظر يميناً وشمالاً وكذلك الغريب يفعل، ورأيت الذباب على كمه فعلمت أن فى كمه شيئاً من الحلوى ، ورأيته ينظر الى الصبيان فعلمت أنه معلم صبيان

ذكاؤه ـ كان أبو حنيفة آية فى الذكاء والفطنة ، فكانت توجه اليه الأسئلة المعقدة المبهمة فيجيب عنها على البديهة إجابة مسكتة

كان يعرف كيف يتقى المكايد ، ويتخلص من الورطات ، وينجو من المهالك

ومما يدل على ذكائه القصة الآتية :

قال محمد بن مقاتل : قصد رجل أبا حنيفة فقال له : ماتقول فى رجل لايرجو الجنة ، ولا يخاف من النار ، ولا يخاف الله تعالى ، ويأكل الميتة ، ويصلى بلا ركوع ولا سجود ، ويشهد بما لايرى ، ويبغض الحق ، ويحب الفتنة ، ويفر من الرحمة ، ويصدق اليهود والنصارى ؟

فقال أبو حنيفة ـ وكان يعرفه شديد البغض له : يافلان سألتنى عن هذه المسائل فهل لك بها علم ؟ فقال الرجل : لا

فقال أبو حنيفة لأصحابه : ماتقولون فى هذا الرجل ؟

قالوا : شر رجل ، هذه صفات كافر

فتبسم أبو حنيفة وقال لأصحابه : هو من أولياء الله تعالى حقاً

ثم قال للرجل : إن أنا أخبرتك أنه من أولياء الله تعالى تكف عن سوء لسانك ؟

قال : نعم

قال أبو حنيفة : أما قولك ، لايرجو الجنة ولا يخاف من النار ، فانه يرجو رب الجنة ، ويخاف رب النار

وقولك : لايخاف الله ، فانه لايخاف الله تعالى أن يجور عليه فى عدله وسلطانه قال تعالى :

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾

وقولك : يأكل الميتة ، فهو يأكل السمك

وقولك : يصلى بلا ركوع ولا سجود ، أراد الصلاة على النبى أو صلاة الجنائز

وقولك : يشهد بما لم يره ، فهو شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله

وقولك : يبغض الحق ، فهو يبغض الموت ، وهو الحق ، ويحب البقاء حتى يطيع الله تعالى

قال تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾

وقولك : ويحب الفتنة ، أراد أنه يحب المال والولد

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾

وقولك : يفر من الرحمة ، أراد أنه يفر من المطر (وهو غيث ورحمة)

وقولك : يصدق اليهود والنصارى . أراد قول الله تعالى عنهم :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَىْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَىْءٍ ﴾

فقام الرجل وقبل رأس أبى حنيفة وقال : أشهد أنك على الحق

حلمه وعفوه ـ استطال السفهاء على أبى حنيفة ما استطالوا ، وناله من

بذاءة الجهال ، وكيد الحاقدين والحساد مانا له ، فكان ممن إذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاما ، واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما

ومما يدل على حلمه الحوادث الآتية :

١ ـ قال يزيد بن الكميت : شهدت أبا حنيفة قد شتمه رجل ، واستطال عليه وقال له : يازنديق ، فقال له أبو حنيفة : غفر الله لك ، هو يعلم منى خلاف ماتقول ، وهو يعلم أنى ماعدلت به أحداً منذ عرفته ، ولا أرجو إلّا عفوه ، ولا أخاف إلا عقابه ، ثم بكى عند ذكر العقاب وسقط صريعاً ثم أفاق

فقال له الرجل : اجعلنى فى حلٍّ . فقال : كل من قال فىّ شيئًا من أهل الجهل فهو فى حلٍّ ، وكل من قال فىَّ شيئًا مما ليس فىّ من أهل العلم فهو فى حرج ، فان غيبة العلماء لاتبقى شيئًا بعدهم

وقيل له : الناس يتكلمون فيك ، ولا تتكلم فى أحد ؟

قال : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذو الْفَضْلِ الْعَظِيم ﴾

٢ ـ وقال عصام بن يوسف : قام رجل فى ناحية المسجد وجعل يسب أبا حنيفة ويشتمه ، فما قطع أبو حنيفة حديثه ، ولا التفت اليه ، ولا أجابه ، ونهى أصحابه عن مخاطبته

فلما فرغ من درسه وقام تبعه ذلك الرجل البذىء

فلما وصل أبو حنيفة الى باب داره قام على بابه واستقبل الرجل

بوجهه وقال : هذه دارى ، فان كنت تريد أن تتم باقى كلامك فأتمه حتى لايبقى معك شىء

فاستحيا الرجل وقال : اجعلنى فى حل . فقال : أنت فى حل

كرم أخلاقه _ ما كان أبو حنيفة إماماً فى العلم والفقه فحسب ؛ ولكنه كان إماماً أيضاً فى الفضيلة ومكارم الأخلاق

روى عن ابراهيم بن سعيد الجوهرى أنه قال :

كنت عند أمير المؤمنين هارون الرشيد إذ دخل عليه أبو يوسف ، فقال له الرشيد :

يا أبا يوسف صف لى أخلاق أبى حنيفة ، فقال : إن الله عز وجل يقول : ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾

وهو عند لسان كل قائل ، علمى بأبى حنيفة أنه كان شديد الذب عن محارم الله تعالى أن تؤتى ، شديد الورع ، لاينطق فى دين الله إلَّا بعلم ، يحب أن يطاع الله تعالى ولا يعصى ، مجانباً أهل الدنيا فى زمانهم ، لاينافس فى غيرها ، طويل الصمت ، دائم الفكر ، على علم واسع ، لم يكن مهذاراً ولا ثرثاراً ، إن سُئل عن مسألة كان عنده فيها علم نطق به ، وأجاب فيها بما سمع ، وإن كان غير ذلك قاس على الحق واتبعه ، صائناً نفسه ودينه ، بذولاً للعلم والمال ، مستغنياً بنفسه عن جميع الناس ، لايميل الى طمع ، بعيد عن الغيبة ، لايذكر أحداً إلا بخير

فقال الرشيد : هذه أخلاق الصالحين حقًا

وقال ابن عمران الموصلى : كان فى أبى حنيفة عشر خصال ، ما كانت واحدة منها فى أحد إلا صار رئيسًا فى قومه ، وساد قبيلته وهى :

الورع ، والصدق ، والفقه ، ومداراة الناس ، والمروءة الصادقة ، والإقبال على ماينفع ، وطول الصمت ، والإصابة فى القول ، ومعونة اللهفان عدواً كان أو صديقًا .

أكله من كسب يده ـ تواترت الروايات على أن الإمام رضى الله عنه كان يتجر فى البزّ (الثياب من الكتان أو القطن) وكان مسعوداً فى ذلك ، ماهراً فيه ، وكان له حانوت بالكوفة وشركاء يسافرون له فى شراء ذلك وفى بيعه

قال أبو يوسف : كان أبو حنيفة باذلًا للمال ، مستغنيًا بنفسه عن جميع الناس ، لايميل الى طمع ، وقال عمر بن حماد بن أبى حنيفة : كان أبو حنيفة بزازاً (بائع البز) ودكانه معروف فى دار عمر بن حريث . وقال محمد بن مقاتل : كان أبو حنيفة خَزازاً (بائع الخز) فجاءت امرأة فطلبت ثوب خَز فقال لغلامه : أخرج لها ثوب خز ، فأخرجه الغلام وضرب يده عليه وقال : صلى الله على محمد ، فغضب أبو حنيفة وقال : تمدح ثوبى بالصلاة على محمد ، لا أبيع ثوبى اليوم ، فلم يبع ذلك اليوم شيئًا من متاعه

كرمه ومؤاساته ـ كان أبو حنيفة أبرَّ الناس بأصحابه ، وأكرمهم مجالسة ، ولا يكاد يُسأل عن حاجة إلا قضاها ، وقديمًا قالوا : إن ذوى الشرف أتم عقولًا وكرمًا من غيرهم

ومما يدل على كرمه الحوادث الآتية :

١ ـ قال اسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة : ان أبا حنيفه حين حفظ حماد ابنه (سورة الحمد) وهب للمعلم خمسمائه درهم ، وفى روايه ألف درهم ، فقال المعلم : ماصنعت حتى أرسل الى هذا ؟ فأحضره واعتذر اليه فقال : ماهذا إلا مستحقراً فيما علمت ولدى ، والله لو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه اليك تعظيماً للقرآن

٢ ـ وعن قيس بن الربيع قال : كان أبو حنيفة يبعث بالبضائع الى بغداد فيشترى بها الأمتعة ويحملها الى الكوفة ، ويجمع الأرباح عنده من سنة الى سنة فيشترى بها حوائج الأشياخ المحدثين وقوتهم وكسوتهم وجميع حوائجهم ، ثم يدفع باقى الدنانير من الأرباح اليهم فيقول :

أنفقوا فى حوائجكم ، ولا تحمدوا إلَّا الله تعالى ، فانى ماأعطيتكم من مالى شيئًا ، ولكن من فضل الله تعالى فيكم ، وهذه أرباح بضاعتكم فانه هو والله مما يجريه الله تعالى لكم على يدى

٣ ـ وكان رضى الله عنه إذا جلس اليه الرجل سأل عنه ، فان كان

به فاقة أعطاه ، فجلس اليه رجل عليه ثياب رثة ، فلما تفرق الناس أمره بالجلوس حتى خلا به ، فقال له : ارفع هذا المصلى وخذ من تحته ألف درهم أصلح بها حالك . فقال الرجل : أنا موسر وأنا فى نعمة . فقال له : أما بلغك الحديث : « ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » فينبغى لك أن تغير حالك حتى لايغتم بك صديقك

٤ — وعن مِسعَر قال : كان أبو حنيفة اذا اشترى لعياله شيئاً أنفق على شيوخ العلماء مثل ما أنفق على عياله ، واذا اكتسى ثوباً فعل كذلك ، واذا جاءت الفاكهة والرطب وكل شىء يريد أن يشتريه لنفسه ولعياله لايفعل ذلك حتى يشترى لشيوخ العلماء مثله ، ويشترى بعد ذلك لعياله

٥ — وعن أبى يوسف قال : كان أبو حنيفة شديد البرّ لكل من عرف ، وكان يهب للرجل خمسين ديناراً أو أكثر ، فاذا شكره بحضرة قوم غمه ذلك وقال : اشكر الله تعالى ، فانما هو رزق ساقه الله تعالى اليك

٦ — وعن اسحق بن اسرائيل قال : سمعت أبى يقول : كان أبو حنيفة جواداً يواسى أصحابه المؤاساة الكثيرة ، ويبرّهم فى الأعياد ، ويرسل الى كل واحد منهم قدر منزلته ، ويزوج من احتاج اليه ، وينفق عليه من عند نفسه ، ويقوم بحوائجهم .

٧ — وعن سفيان بن ابراهيم قال : كنت مع أبى حنيفة فى طريق

يعود مريضاً ، فرأى رجلا من بعيد فاختبأ الرجـل منه ، وأخذ فى طريق آخر فصاح أبو حنيفة : أى فلان ، عليك بالطريق الذى أنت فيه ، لاتأخذ فى طريق آخر . فلما علم الرجل أن أبا حنيفة بَصُر به خجل ووقف ، فقال له أبو حنيفة : لِمَ عدَلت عن طريقك الذى كنت عليه ؟ قال الرجـل : لكَ علىّ عشرة آلاف درهم ، وقد طال علىّ الوقت وامتد ، ولم أقدر أن أؤدّى ؛ فلما رأيتك استحييت منك ، فقال له أبو حنيفة : سبحان الله بلغ بك الأمر كل هذا ، حتى اذا رأيتنى تواريت عنى . . . قد وهبت لك مثل ذلك كله ، وأشهدت على نفسى ، فلا تتوَار منى بعد هذا ، واجعلنى فى حلٍّ مما دخل فى قلبك منى حيث لقيتنى

٨ ــ وعن شريك قال : كان أبو حنيفة يصبر على من يعلمه ، وان كان فقيراً أغناه ، وأجرى عليه وعلى عياله حتى يتعلم ، فاذا تعـلم قال له : قد وصلت الى الغني الأكبر بمعرفة الحلال والحرام

٩ ــ وعن يحيى بن خالد قال : حبس ابراهيم بن عيينة بسبب دين لزمه وهو أكثر من أربعة آلاف درهم فقام بعض اخوانه فجمع له من الناس وصار إلى أبى حنيفة

فقال أبو حنيفة : كم دينه ؟ قال : أكثر من أربعة آلاف درهم قال : فهل أخذت من أحد شيئاً ؟ قال : نعم . قال : رد ما أخذت على

من أخذت منه ، وأنا أقضى جميع ماعليه من الدين

١ ـ وعن السعدى الكوفى قال : أهديت الى أبى حنيفة هدايا فكافأنى بأضعاف ذلك ، فقلت له : لو علمت أنك تفعل مثل هذا لم أفعل مافعلت . فقال : لاتفعل مثل هذا ، فان الفضل للسابق والبادى. ألم تسمع هذا الحديث الشريف « من صنع اليكم معروفا فكافئوه ، فان لم تجدوا ماتكافئونه به فأثنوا عليه » ؟

فقلت : هذا الحديث أحب الى من جميع ما أملك

تفقده لأصحابه ـ قال الوليد بن قاسم : كان أبو حنيفة حسن التفقد لأصحابه، يسأل عن أحوالهم ، فمن عرف به حاجة واساه ، ومن مرض منهم أو مرض قريب له عاده ، ومن مات منهم أو مات قريب له شيع جنازته ، ومن نابته منهم نائبة سعى فى حوائجهم ، وكان كريم الطبع ، وكان لايكلمه أحد فى حاجة إلاّ قضاها

حسن جواره ـ كان الإمام أبو حنيفة حسن الجوار ، حسن السمت ، حسن العشرة والمواساة ، والاحتمال والمداراة

وكان له جار فاسق سكير عوّاد مُغَنٍّ اذا جَنَّ الليل أقبل على لعبه ولهوه ، وكان أكثر صياحه وغنائه اذا ثمل هو وأصحابه

« أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر »

حتى حُفظ عنه كل غنائه لكثرة ما كان يردده ، فأخذه الحرس

من داره وهو سكران وحبسوه ، فافتقد أبو حنيفة صوته ، فقال : ماذا فعل جارنا ؟ لقد فقدنا صوته . فقيل : أخـذه الحرس البارحة وحبسوه . فقال أبو حنيفة : قوموا بنا نسعى فى خـلاص جارنا ، فان حق الجار واجب ، وقد أوصى به جبريل محمداً صلى الله عليـه وسلم . فقام وقمنا معه حتى أتينا مجلس الأمير . فلما بصر بأبى حنيفة قام الأمير وأخذ بيـد أبي حنيفة ورفعه مكانًا عليًا وقال : ماجاء بك ؟ قال : جئت لمحبوس عندك من جيرانى أخذه الحرس البارحة وأسألك أن تطلقه وتهب لى جرمه

فقال الأمير : قد فعلت ، ولجميع من معه فى الحبس ، هلا بعثت برسول حتى أقضى به حقك وأخرج عن واجبك ؟ فجزاه أبو حنيفة خيراً ، ثم بعث الى الحبس فأخرج كل من كان فيه ، وجىء بهم مع الفتى جار أبى حنيفه . فلما وقفوا بين يدى الأمير قال لهم :

خلَّيت سبيلكم لحرمة شيخى أبى حنيفة ، فاشكروا له وادعوا ، ففعلوا . ثم قال لهم : اذهبوا فقام أبو حنيفة وأخذ بيد جاره وقال له : هل أضعناك يافتى ؟ قال : لاياسيدى ومولاى ، لاترانى بعد اليوم أفعل شيئًا تتأذى به

ثم أخرج أبو حنيفة عشرة دنانير وأعطاها لجاره وقال له : استعن بهذا المال على نقصان دخلك وقت الحبس ، ومتى كان لك حاجة

فابسطها الينا ، واترك الحشمة فيما بيننا و بينك، ثم قال : ادخل على أهلك ليسروا بك

فقام الرجل وقبل رأس أبى حنيفة ودخل منزله ، ثم اختلف الى درس أبى حنيفة وتفقه حتى صار من فقهاء الكوفة

وكان فى هذا درس عظيم لهداية جاره ، وامتناعه عن تعاطى المسكر

نزاهته وعفته ، ورده جوائز الأمراء والخلفاء

عرضت على الإمام جوائز الخلفاء والأمراء وأرباب الدولة فردَّها وما قبل هدية منهم بدليل ما يأتى :

١ ـ قال يوسف بن خالد : أجاز المنصور أبا حنيفة بثلاثين ألف درهم فى دفعات . فقال : يا أمير المؤمنين إنى ببغداد غريب ، وليس لها عندى موضع ، إجعلها فى بيت المال . فأجابه المنصور الى ذلك

فلما مات أبو حنيفة أُخرجت . فقال أبو جعفر المنصور : خدعنا أبو حنيفة

٢ ـ وقال خارجة بن مصعب : أجاز المنصور أبا حنيفة بعشرة آلاف درهم ، فدعى ليقبضها ، فشاورنى وقال : إن رددت عليه هديته غضب ، وإن قبلتها دخل على فى دينى ما أكرهه ، فقلت له : إن هذا

المال عظيم فى عينه ، فاذا دعيت لتقبضها فقل له : لم يكن هذا أملى من أمير المؤمنين

فدعى ليقبضها فقال ذلك : فرفع اليه خبره فحبس الجائزة

وكان دائما يتمثل بهذين البيتين :

« عَطاء ذى العرش خير من عطائكمُ
وفضله واسع يُرجى لمنتظرِ »

« أنتم يُكدِّر ماتعطون مَنُّكمُ
والله يُعطى بلا مَنٍّ ولا كدَرِ »

وصايا الامام فى آداب القضاء

عن نوح بن أبى مريم قال : كنت أسأل أبا حنيفة عن معانى الأحاديث ، فكان يفسرها ويبينها ، وكنت أيضاً أسأل عن المسائل الغامضة ، وعامة ما كنت أسأله عن مسائل القضاء والأحكام

فقال لى يوماً : يانوح ، انك ستولى القضاء

فلما رجعت الى (مرو) لم ألبث إلَّا قليلا حتى ابتليت بالقضاء ، فكتبت اليه كتاباً أعلمه بذلك ، وأعتذر اليه فكتب الى :

من أبى حنيفة الى أبى عصمة :

أما بعد ، فقد ورد علىّ كتابك ، ووقفت على مافيه ، وقد قُلدت

أمانة عظيمة يعجز عنها الكبار من الناس ، وأنت كالغريق ، فاطلب لنفسك مخرجًا ، وعليك بتقوى الله فانها من قوام الأمور ، والخلاص فى الميعاد ، والنجاة من كل بلية ، وبها يدرك أحسن العواقب

قرن الله تعالى بخير العواقب أمورنا ، ووفقنا لمرضاته إنه سميع مجيب

واعلم أن أبواب القضاء لايدركها إلّا العالم النحرير الذى وقف على أصول العلم بالكتاب والسنة وأقاويل الصحابة ، وكان له بصر ورأى ونفاذ ؛ فاذا أشكل عليك شىء من ذلك فارحل الى الكتاب والسنة والإجماع ، فان وجدت ذلك ظاهراً فاعمل به ، وإلّا فردّه الى النظائر واستشهد عليه بالأصول

ثم اعمل بما كان الى الأصول أقرب وبها أشبه ، وشاور أهل المعرفة والبصيرة ، فان فيهم من يدرك مالا تدركه أنت

فاذا جلس اليك الخصمان للحكومة فسوِّ بين القوى والضعيف ، والشريف والوضيع فى المجلس ، والإقبال والكلام ، ولا تظهرن من نفسك شيئًا يطمع منك الشريف بشرفه ، وييئس الوضيع لضعفه

واذا جلس الخصمان بين يديك فدعهما حتى يستمكنا فى الجلوس ، ويذهب عنهما خجل المجلس والروع ، ثم كلمهما برفق وأفهمهما كلامك ،

واستوعب كلام كل واحد منهما ، ولا تعجلهما ، ودعهما حتى يفرغا من جميع مايريدان ، إلاَّ أن يأخـذا فى فضل فتمنعهما عن ذلك، وتبين لهما ذلك ، ولا تقض عند الضجر والغضب والحزن ، ولا تقض حاقناً ولا جائعاً ولا خائفاً ، ولا تقض وأنت مشغول البال ، ولا تعجل بفصل القضاء بين القرابات، وردهم مجالس لعلهم يصطلحون، فان كان وإلَّا قضيت بينهم ، ولا تقض على أحد حتى تتبين لك الوجوه التى تلزمه ذلك ، ولا تلقن الشاهد ، ولا تشر فى مجالسك ، ولا تومىء الى أحد ، ولا تكلن إلى قرابتك شيئاً من الأمور ، ولا تجيبن أحداً فى دعوته فتلزمك التهمة ، ولا تتحدث فى مجالس القضاء ، (وآثر تقوى الله على ماسواه يكفك أمور دنياك وآخرتك ويرزقك السلامة)

أنعم بهذه الوصايا وحبذا لو عمل بها قضاتنا

وصاياه فى سياسة الناس ومعاشرتهم

بعـد أن أخذ يوسف بن خالد السمتى العلم عن أبى حنيفة وأراد الرجوع الى بلدته البصرة استأذن أبا حنيفة فى ذلك . فقـال له أبو حنيفة: حتى أزوّدك بوصية فيما تحتاج اليه فى معاشرة الناس ومراتب أهل العلم ، وتأديب النفس وسياسة الرعية ، ورياضة الخاصة والعامة ،

وتفقد أمر العامة ، حتى اذا خرجت بعلمك كان معك آلة تصلح له تزينه ولا تشينه . وهاهى الوصية التى زوّده بها

الوصية الذهبية

إنك متى أسأت معاشرة الناس صاروا لك أعداء ، وإن كانوا لك آباء وأمهات ، ومتى أحسنت معاشرة قوم ليسوا لك بأقرباء صاروا لك أمهات وآباء

كأنى بك وقد دخلت البَصرة،وأقبلت على من يخالفوننا بها،ورفعت نفسك عليهم ، وتطاولت بعلمك لديهم ، وانقبضت عن معاشرتهم ومخالطتهم ، وخالفتهم وخالفوك ، وهجرتهم وهجروك ، وضللتهم وضللوك وبدعوك ، واتصل ذلك الشين بنا وبك ، فاحتجت الى الانتقال عنهم ، والهرب منهم ، وهذا ليس من رأيي ، لأنه ليس بعاقل من لم يدار من ليس له من مداراته بُد، حتى يجعل الله تعالى له مخرجا

إذا دخلت البَصرة استقبلك الناس وزاروك وعرفوا حقك ، فأنزل كل رجل منهم منزلته ، وأكرم أهل الشرف ، وعظم أهل العلم ، ووقّر الشيوخ ، ولاطف الأحداث ، وتقرب من العامة ، ودار الفجار ، واصحب الأخيار ، ولا تتهاون بالسلطان ، ولا تحقرن أحداً ، ولا

تقصرن فى إقامة مروءتك ، ولا تخرجن سرَّك الى أحـد ، ولا تثقن بصحبة أحد حتى تمتحنه ، ولا تخادن خسيساً ولا وضيعاً ، ولا تألفن ماينكر عليك فى ظاهرك ، و إياك والانبساط الى السفهاء ، ولا تجيبن دعوة، ولا تقبلن هدية ، وعليك بالمداراة والصبر ، والاحتمال وحسن الخلق وسعة الصدر ، واستجد ثيابك ، واستفره دابتك ، وأكثر استعمال الطيب ، واجعل لنفسك خلوة ترم بها حوائجك ، وابحث عن أخبار حشمك ، وتقدم فى تأديبهم وتقويمهم ، واستعمل فى كل ذلك الرفق ، ولا تكثر العتاب فيهون العدل ، ولا تل تأديبهم بنفسك فانه أبقى وأهيب لك

وحافظ على صلواتك ، وابذل طعامك ، فانه ماساد بخيل

ولتكن لك بطانة تعرفك أخبار الناس، فمتى عرفت بفساد بادرت الى إصلاحه ، ومتى عرفت بصلاح ازددت فيه رغبة وعناية

وزر من يزورك ومن لايزورك ، وأحسن الى من يحسن إليك أو يسىء ، وخذ العلم وأمُر بالعرف ، وتغافل عما لايعنيك ، واترك كل من يؤذيك ، و بادر فى إقامه الحقوق

ومَن مرض من إخوانك فعُده بنفسك ، وتعاهده برسلك ؛ ومَن غاب منهم افتقدت أحواله ، ومن قعد منهم عنك فلا تقعد أنت عنه ، وصل من جفاك ، وأكرم من أتى ، واعفُ عمن أساء اليك ، ومن

تكلم فيك بالقبيح فتكلم فيه بالحسن والجميل ، ومن مات منهم قضيت حقه ، ومن كانت له فرحة هنأته بها . ومن كانت له مصيبة عزيته عنها ومن أصابته جائحة توجعت بها

ومن استنهضك بأمر من أموره نهضت له ، ومن استغاثك فأغثه ، ومن استنصرك نصرته ، وأظهر تودداً الى الناس ما استطعت ، وأفش السلام ، ولو على قوم لئام ، ومتى جمع بينك و بين غيرك مجلس أوضمك و إياهم مسجد ، وجرت المسائل وخاضوا فيها بخلاف ماعندك لاتبدلهم منك خلافا ، فان سُئلت عنها أخبرت بما يعرفه القوم ثم تقول: فيها قول آخر ،وهو كذا وكذا ، والحجة له كذا ،فان سمعوه منك عرفوا منزلتك ومقدارك ، وأعط كل من يختلف اليك نوعاً من العلم ينظر فيه ، وخذهم بجليّ العلم دون دقيقه ، وآنسهم ومازحهم أحياناً ، وحادثهم فانه يستديم لك المودة ، وأطعمهم أحياناً وتغافل عن زلاتهم ، واقض حوائجهم ، وارفق بهم وسامحهم ، ولا تبد لأحد منهم ضيق صدر أو ضجر ، وكن كواحد منهم

وعامل الناس معاملتك لنفسك ، وارض منهم ماترضاه لنفسك ، واستعن على نفسك بالصيانة لها والمراقبة لأحوالها ، ودع الشغب ، واستمع لمن يستمع منك ، ولا تكلف الناس مالايكلفونك ، وارض لهم مارضوا لأنفسهم ، وقدم اليهم حسن النية ، واستعمل الصدق ،

واطرح الكبر جانباً ، و إياك والغدر و إن غدروا بك ، وأدِّ الأمانة و إن خانوك ، وتمسك بالوفاء ، واعتصم بالتقوى ، وعاشر أهل الأديان حسب معاشرتهم ، فانك إن تمسكت بوصيتى هذه رجوت لك أن تسلم ثم قال له : إنه يحزننى مفارقتك ، وتؤنسنى معرفتك ، فواصلنى بكتبك ، وعرفنى حوائجك ، وكن لى كلك فانى لك كلى . وكان يقول: من كان فقيراً فليأت إلىَّ أعطه رأس مال يستغنى بذلك ، ألَا وهو : الأمانة

مناجاته ربه

كان الإمام يناجى ربه فيقول :

إلٰهى ، إن كان صغيراً فى جنب طاعتك عملى ، فقد كَبُرَ فى جنب رجائك أملى

إلٰهى ، كيف أنقلب بالخيبة محروماً ، وظنى بجودك أن تقبلنى مرحوماً

إلٰهى ، إن عَزب رأيى عن تقديم مايصلحنى ، فما عَزب يقينى عنى فيما ينفعنى

إلٰهى ، أعززت نفسى بايمانك ، فكيف تذلها بين أطباق نيرانك

إلٰهى ، إذا تلونا من كتابك شديد العقاب أشفقنا ، و إذا تلونا منه الغفور الرحيم فرحنا ، فنحن بين أمرين : لايؤمننا كتابك سخطك ، ولا يُيْئِسُنا من رحمتك أن قصر سعينا عن استحقاق نظرك ،

فَأَفِضْ علينا رحمتك ، إنك لم تزل بى باراً أيام حياتى ، فلا تقطع برّك عنى أيام وفاتى ، إن غفرت فبفضلك ، وإن عذبت فبعدلك ، يامن لايرجى إلّا فضله ، ولا يخشى إلّا عذابه ، ومن شواهد نعماء الكريم استتمام نعمائه ، ومن محاسن الجواد استكمال آلائه

إلٰهى ، إن أخطأت طريق النظر لنفسى بما فيه كرامتها ، فقد تبينت طريق الفزع بما فيه سلامتها

إلٰهى ، إن كنت غير مستأهل لما أرجو من رحمتك ، فأنت أهل أن تجود على المذنبين بفضلك

إلٰهى ، أمرت بالمعروف وأنت أولى به من المأمورين ، وأمرت بصلة السؤال وأنت خير المسئولين

إلٰهى سترت على فى الدنيا ذنوباً أنا الى سترها يوم القيامة أحوج ، فلا تفضحنى بها على رءوس الأشهاد

إلٰهى ، لاتردنى عن حاجة أفنيت عمرى فى طلبها منك

اللّٰهم ، هب لى توبة نصوحاً تذيقنى من حلاوتها ، ويصل الى قلبى برد رأفتها

اللّٰهم لاأنزل حاجتى إلّا بك ، ولا أطلبها إلّا اليك ، فاقض يارب حاجتى ، فأنت منتهى الحوائج ، واجعلنى فى رحمتك مع الأبرار

دعاؤه عند موت ابنه

لما وضع ابنه فى قبره قال : اللهم هذا ابنى ، رزقتنيه ، ومتعتنى به مدة من الدنيا ، وتوفيته بأجله ورزقه ولم تظلم أحداً

اللهم ، ماوعدتنى عليه من الأجر فى مصيبتى هذه ، فقد وهبت جميع ذلك له ، فهب لى عذابه ولا تعذبه . فأبكى الناس جميعاً

وفاته وسببها

إن امتناع الإمام عن تولى القضاء كان سبباً فى أن أبا جعفر المنصور أمر بحبسه ، وضيق عليه تضييقاً شديداً فى الطعام والشراب ، وأمر بضربه كل يوم عشرة أسواط ، وفعل به ذلك عشرة أيام ، فلما تتابع عليه الضرب بكى وأكثر الدعاء ، ومكث بعد ذلك خمسة أيام ، وتوفى رحمة الله تعالى عليه ورضى الله عنه . وبعضهم قال : انه مات مسموماً ، واتفقوا على أنه رضى الله عنه مات سنة ١٥٠ هجرية واختلفوا فى الشهر الذى مات فيه ، فبعضهم قال فى رجب ، وقال بعضهم فى شعبان ، وقال أبو يوسف فى النصف الأول من شوال ، ودفن بالرصافة شرقى بغداد

وقال الإمام أبو المؤيد : أكثر الروايات المعتمد عليها أن وفاته

كانت فى رجب وعمره يوم وفاته ٧٠ سنة، ولم يكن له من الأولاد غير ابنه حماد

ولما أحس الإمام بالموت سجد ، فصعدت روحه الى ربها وهو ساجد ، وقد روى الإمام أحمد ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد » فهنيئًا للإمام لأنه من المقربين حقًا عند الله

الرثاء

لما توفى الإمام أبو حنيفة بكاه الناس ورثاه الشعراء وأبنه الخطباء وهذا نموذج من المرثيات التى قيلت فيه :

« لقد طلع النعمانُ من أرض كوفة
كغُرةُ صُبح يَستفيض ابتلاجُها »

« هو المرتضى فى الدين والمقتدى به
وصدرُ الورى فى الخافقين وتاجُها »

« إذا مرض الإسلام والدين مرضةً
فمن نُكَتِ النعمان يُلقَى علاجُها »

« وإن كسدَت سوقُ الهدى وتراجعت
فمن مذهب النعمان يُلفَى رَواجُها »

« وإن فُتحت أبواب جهل وبدعةٍ
على النـاس يوما كان منها رِتاجُها »

« وإن غُمَّة عمت فمنه انجلاؤها
وإن شدةٌ ضاقت فمنه انفراجها »

« حوى العذبَ من بحر الشريعة صافياً
وحظ جميع العـالمين أجاجُها »

« لقد خصص الله النبي محمداً
بأشـياء منها النفس دام ابتهاجها »

« فأُمَّتهُ قد أُخرجَت خير أمةٍ
كما جاءَ والنعمانُ فيها سراجُها »

« فهاهو فى أرض ببغداد قد ثوى
أضاءت به أرجاؤها وفجاجها »

المذهب الحنفى

قال المرحوم أحمد باشا تيمور فى رسالته عن المذهب الحنفى ما يأتى باختصار :

المذهب الحنفى هو أقدم المذاهب الأربعة، وصاحبه الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان الكوفى رضى الله عنه المولود سنة ٨٠ والمتوفى ببغداد سنة ١٥٠ على الأصح

وكان أهل مصر لايعرفون هذا المذهب حتى ولّى قضاءها اسماعيل ابن اليسع الكوفىّ من قبل المهدى سنة ١٦٤ وهو أول قاضٍ حنفى بمصر، وأول من أدخل اليها مذهب أبى حنيفة فكان من خير القضاة إلّا أنه كان يذهب الى إبطال الأحباس (الوقف) فثقل أمره على أهل مصر وقالوا : أحدثت لنا أحكامًا لانعرفها ببلدنا فعزله المهدى

وفشا مذهب أبى حنيفة فى مصر بعد ذلك مدة تمكن العباسيين ، إلا أن القضاء بها لم يكن مقصوراً على الحنفية ؛ بل كان يتولاه الحنفيون تارةً ، والمالكيون أو الشافعيون أخرى

ولما حكم الفاطميون مصر أظهروا مذهب الشيعة الاسماعيلية وولوا القضاة منهم، فقوى هذا المذهب بالدولة وعمل بأحكامه، إلا أنه لم يقض على المذاهب الأخرى فى العبادات؛ لأن الفاطميين كانوا يبيحون للرعية

التعبد بما يشاءون من المذاهب . ويقول القلقشندى فى صبح الأعشى : أن الفاطميين كانوا يتألفون أهل السنة والجماعة، ويمكنونهم من إظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم

وكانت مذاهب مالك والشافعى وأحمد بن حنبل ظاهرة الشعار فى المملكة الفاطمية بخلاف مذهب أبى حنيفة ، وكانوا يراعون مذهب مالك ، ومن سألهم الحكم به أجابوه

ثم لما قامت الدولة الأيوبية بمصر، وكان سلاطينها شافعية ، قضوا على التشيع وأنشأوا المدارس للفقهاء الشافعية والمالكية،وكان نور الدين الشهيد حنفياً ، فنشر مذهبه ببلاد الشام، ومنها كثرت الحنفية بمصر

وقدم اليها أيضاً عدة من بلاد المشرق فبنى لهم صلاح الدين الأيوبى (المدرسة السيوفية بالقاهرة) وما زال مذهبهم ينتشر ويقوى وفقهاؤهم تكثر بمصر والشام من حينئذ ؛ ولكن لم يبلغ المذهب مبلغه فى القوة والكثرة بمصر إلا فى آخر هذه الدولة

وأول من رتب دروساً للمذاهب الأربعة الصالح نجم الدين أيوب فى مدرسة الصالحية بالقاهرة سنة ٦٤١

ثم لما استولى العثمانيون على مصر حصروا القضاء فى الحنفية وأصبح الحنفى مذهب أمراء الدولة وخاصتها ورغب كثيرون من أهل العلم فيه لتولّى القضاء ، إلا أنه لم ينتشر بين أهل الريف والصعيد انتشاره فى المدن ولم يزل كذلك الى اليوم

٢ – الامام مالك بن أنس رضي الله عنه

عالم المدينة

مولده ونسبه – ولد رضى الله عنه بالمدينة سنة ٩٣ هجرية على المشهور ، وهو مالك بن أنس ، بن أبى عامر الأصبحى ، بن عمرو ، بن الحرث ابن سعد ، بن عوف ، بن عدى ، بن مالك ، بن يزيد

وأما أمه فقيل اسمها (العالية) بنت شريك بن عبد الرحمن بن شريك من الأزد ، حملت به فمكث فى بطنها سنتين وقيل : ثلاث سنين

نشأته – نشأ الإمام مالك بالمدينة بين الصحابة والتابعين والأنصار والعلماء والفقهاء

نشأ بينهم غلاماً عاقلاً ، حافظاً ، ضابطاً ، متقناً للسنة ، برّاً تقياً ، فتعلم منهم وجمع علومهم ، وحفظ آراءهم ، ونقل آثارهم ، وعرف مذاهبهم ، وأحكم قواعدهم ، وكدّ وكدح ، حتى صار إماماً فى السنة ، وسيد فقهاء الحجاز ، وهو الذى قيل فيه : « لا يفتى ومالك فى المدينة » وأصبحت مثلا .

وكان رحمه الله فى أول أمره فقيراً ، ثم توالت عليه منح الخلفاء ،

فحسنت حاله ، وأظهر نعمة الله عليه ، وواسى أهل العلم ، وأشركهم فى ماله ، وكان منهم الإمام الشافعى رضى الله عنه

هيئته وخلقته — كان رحمه الله حسن الهيئة ، يكره الثياب الخَلِقة ، ويعدها مُثلة ، وكان يكره حلق الشارب ويراه مُثلة ، وكان طويلاً عظيم الهامة ، أصلع الرأس ، أبيض الشعر واللحية ، شديد البياض الى الشقرة ، وكان لباسه الثياب العدنية الجياد ، والخرسانية والمصرية المرتفعة ، ويتطيب بطيب جيد ويقول : ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا أن يرى أثر نعمته عليه ، وخصوصا أهل العلم ينبغى لهم أن يظهروا مروآتهم فى ثيابهم إجلالا للعلم

وكان له خاتم منقوش عليه ﴿ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيل ﴾

فسُئل يوماً عن ذلك فقال : سمعت قول الله تعالى عقب هذه الآية :

﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَم يَمْسَسهُم سوءٌ ﴾

مناقبه

أخلاقه وآدابه — كان رحمه الله على جانب عظيم من الأدب وكرم الأخلاق ، حسن السيرة ، طيب السريرة ، وكان شديد الاهتمام بتشييع الجنائز ، وعيادة المرضى ، ومواساة الفقراء ، وقضاء الحقوق ،

فلما كبر انقطع عن ذلك كله، واحتمل له الناس ذلك ، وكان رحمه الله شديد الكراهية للغيبة ومن قوله فيها :

« كان عندنا بالمدينة قوم لا عيوب لهم ، فلما تكلموا فى عيوب الناس صارت لهم عيوب ، وكان عندنا قوم لهم عيوب ، فلما سكتوا عن عيوب الناس نسيت عيوبهم »

أدبه ولطفه فى معاملة ضيفانه - هيأ الإمام مالك رضى الله عنه دعوة للطلبة ، فلما مضوا الى داره ودخلوا قال لهم : هذا المستراح ، وهذا الماء ثم دخلوا ولم يدخل معهم ؛ بل دخل بعد ذلك

فسأله بعضهم فيما قال ، وفيمَ عدم دخوله معهم ؟

فقال : أما اعلامى بالمستراح والماء ، فانما دعوتكم لأبرّكم ، ولعل أحدكم يصيبه حصر بول أو غيره فلا يدرى أين يذهب ؟ وأما تركى الدخول معكم البيت ، فلعلى أقول ها هنا يا فلان ؟ وهاهنا يا فلان ، فأنسى بعضكم ، فيظن انى تركته بغضاً فيه ، فتركتكم حتى أخذتم مجالسكم ودخلت عليكم

علومه - كان رحمه الله متقدماً فى العلوم ، وقد أخذ العلم عن نحو مائة شيخ انتقاهم وارتضاهم ، فما لبث فيهم إلَّا وقد تبين فضله ، واشتهر علمه ، ونبل قدره ، وعظمت منزلته ، وعرفت مكانته ، وظهرت سيادته ، فأقروا بفضله ، وأذعنوا لعلمه ، فساد جميع أقرانه ، وفاق أهل

زمانه ، حتى سُمِّى (عالم المدينة) (وإمام أهل الهجرة) واشتهر خبره فى الأمصار، وانتشر علمه فى سائر الأقطار ، وضربت له أكباد الإبل ، وارتحل اليه الناس من كل مصر ، وأتوه من كل قطر

فجلس لتدريس العلم وهو ابن سبع عشرة سنة وأشياخه متوافرون. فمتع الله المسلمين بطول حياته ، فعاش قريباً من تسعين سنة ، ومكث يفتى الناس نحواً من سبعين سنة ، وشهد له التابعون بالفقه والحديث ، واحتاج اليه معلموه ومشايخه،وسألوه عن أمر دينهم ، وروى عن الأئمة المشهورين، والعلماء المذكورين منهم: محمد بن شهاب الزهرى إمام السنة ، وربيعة بن عبد العزيز فقيه أهل المدينة ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وموسى بن عقبة هؤلاء كلهم أشياخه ، ورووا عنه، وألف كتابه المشهور (بالموطأ)

وروى أن مالكا رضى الله عنه لما أراد أن يؤلف كتابه بقى متفكراً بأى شىء يسمى تأليفه . قال : فنمت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال لى : وطِّىء للناس هذا العلم ، فسمَّى كتابه (الموطأ) وقيل أنه وضع فيه أربعة آلاف حديث أو أكثر

وقيل: أن مالكا حفظ مائة ألف حديث ، وكان أحفظ أهل زمانه كما قال أبو قدامة

تبشير النبي ﷺ به

قال التابعون وتابعوهم : انه العالم الذى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه الترمذى وغيره، وهو قوله صلى الله عليه وسلم:

« ينقطع العلم فلا يبقى عالم أعلم من عالم المدينة »

وفى حديث آخر :

« ليس على ظهر الدنيا أعلم منه، فتضرب الناس إليه أكباد الإبل»

وفى حديث آخر :

« يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة »

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يوشك أن يضرب الرجل أكباد الإبل فلا يجد عالماً أعلم من عالم المدينة »

وعن أبى موسى الأشعرى قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« يخرج ناس من الشرق والغرب فى طلب العلم ، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة »

وفى معنى هذا الحديث نظم بعضهم :

« قال نبىُّ الهدى حديثاً من حفَّه الله بالسكينه »
« يخرج من شرقها وغرب من طالبى الحكمة المبينه »
« فلا يروا عالماً إماماً أعلم من عالم المدينه »

ثناء العلماء والفضلاء عليه

١ ـ قال الإمام الشافعى رضى الله عنه فى مدحه : إذا جاءك الحديث عن مالك فشدَّ يدك به

٢ ـ وقال الإمام الشافعى أيضاً : إذا ذكر الحديث فمالك النجم وما أحد آمن على علم من مالك

٣ ـ وقال حماد بن سلمة : لو قيل لى اختر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم إماماً يأخذون عنه العلم ، لرأيت مالكاً لذلك موضعاً وأهلاً ، ورأيت ذلك صلاحاً للأمة

٤ ـ وقال عبد الله بن المبارك : ما رأيت أحداً ممن كتب عنه علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أهيب فى نفسى من مالك، ولا أشدَّ إعظاماً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من مالك،ولا أشحَّ على دينه من مالك فلو قيل لى اختر للأمة إماماً لاخترت لها مالكا

٥ ـ وقال الليث بن سعد رضى الله عنه : علم مالك علم تقى ، علم

مالك أمان لمن أخذ به من الأنام ، وقال أيضاً : والله ماعلى وجه الأرض أحب الىّ من مالك

مجلسه للعلم — كان مجلسه للعلم ، مجلس وقار وحلم ، تحوطه الهيبة ، وتحفه العظمة والبركة ، لأنه كان رجلاً مهيباً ،عظيماً نبيهاً ،ليس فى مجلسه شىء من المِراء ، واللغط ، والجدل

وكان الغرباء يسألونه الحديث والحديثين ، أو قال الحديث بعد الحديث وربما أذن لبعضهم فقرأ عليه

وكان له كاتب لنسخ كتبه يقال له : (حبيب) يقرأ للجماعة فليس أحد ممن حضره يدنو منه ، ولا ينظر فى كتابه ، ولا يستفهمه ، هيبةً له وإجلالاً ، وكان حبيب إذا أخطأ أصلح له مالك

تزاحم طلاب العلم على بابه ، وسكوتهم فى مجلسه

قال أبو مصعب : كان الناس يزدحمون على باب مالك ، ويقتتلون عليه من الزحام لطلب العلم ، وقال : كنا نكون عند مالك فلا يكلم ذا ذا ، ولا يلتفت ذا الى ذا ، والناس مائلون برؤوسهم (هكذا) وكانت السلاطين تهابه وهم قاعدون يستمعون

وكان يقول فى المسئلة : نعم ، أولا ، فلا يقال له : من أين قلت هذا ؟

وقال يحيى بن شعبة : وصلت المدينة سنة ١٤٤ أربع وأربعين ومائة

ومالك بن أنس رضى الله عنه أسود الرأس واللحية ، والناس حوله سكوت، لايتكلم أحد منهم هيبةً له وتعظيماً لقدره

ولا يفتى أحد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره، فجلست بين يديه، فسألته فحدثنى، فاستزدته فزادنى، ثم غمزنى أصحابه فسكت

أمانته للعلم : ارتفعت أمانة العلم عنده لدرجة لاتقوى عليها نفوس العلماء فنزل منزلا لم يخرج عنه حتى خرج من الدنيا

قال عبد الرحمن بن مهدى : كنا عند مالك فجاءه رجـل فقال : يا أبا عبد الله جئتك من مسيرة ستة شهور ، حملنى أهل بلادى مسألة أسألك عنها

فقال له : سَل . فسأله . فقال له : لا أُحْسِنْ . فقطع بالرجل وكأنه قد جاء الى من يعلم كل شيء

قال الرجل : وأى شيء أقول لأهل بلادى إذا رجعت اليهم ؟

قال له : تقول لهم : قال مالك بن أنس : لا أُحْسِنْ

تعظيمه للمدينة

من آدابه العالية أنه كان مع ضعفه وكبر سنه يمشى ولا يركب دابة فى المدينة تعظيماً لبلد بها جثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدليل على ذلك ماقاله الإمام الشافعى رضى الله عنه

قال الإمام الشافعي رضى الله عنه : رأيت على باب مالك دواب من أفراس خراسان ، جاءته هدية، وقيل : من مصر ، مارأيت أحسن منها . فقلت : ما أحسن هذه !

فقال : هذه هدية منى اليك

فقلت : دع لنفسك منها دابة تركبها

فقال : إنى لاستحى من الله عز وجل أن أطأ تربة فيها نبى الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة

تعظيمه لحديث رسول الله ﷺ

قال عبد الله بن المبارك : كنت عند مالك وهو يحدثنا ، فلدغته عقرب ،ست عشرة مرة، وهو يتغير لونه،و يصفر،ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما تفرق الناس عنه ، قلت له : يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجباً . قال : نعم ، إنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال مطرف : كان مالك اذا أتى الناس إليه خرجت اليهم الجارية فتقول لهم :

يقول لكم الشيخ : تريدون الحديث أو المسائل؟ فان قالوا: المسائل خرج اليهم بحالته ، وإن قالوا : الحديث ، دخل مغتسله فاغتسل

وتطيَّب ،ولبس ثيابًا جددًا،ولبس تاجه، وتعمم،ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصته،فيخرج ويجلس عليها، وعليه الخشوع ، ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل : أنه لم يكن يجلس على تلك المنصة إلا اذا حدَّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد سُئل فى ذلك ، فقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحدِّث به إلا على طهارة متمكنًا . وكان يكره أن يحدث فى الطريق،أو وهو قائم، أو مستعجل وقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

و إذا رفع أحد صوته فى المجلس قال له : اخفض صوتك فان الله تعالى يقول :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ الحجرات

فمن رفع صوته عند حديثه فكأنما رفعه عند صوته

وذكر القاضى أبو الفضل عياض بسنده : أن أبا جعفرالمنصور ناظَرَ مالكاً فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك : يأمير المؤمنين لاترفع صوتك فى هذا المسجد فان الله عز وجل أدب قومًافقال:

﴿ لَاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ الحجرات

ومدح قومًا فقال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴾ الحجرات

وذم قوماً فقال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الحجرات

و إن حرمته ميتاً ، كحرمته حيًّا ، فاستكان لها أبو جعفر

احترامه و تعظيمه للعلم

قال عتيق بن يعقوب الزبيرى رحمه الله : قدم هارون الرشيد المدينة وكان قد بلغه أن الإمام مالك بن أنس عنده الموطأ يقرؤه على الناس

فتوجه اليه البرمكى وقال له : أبلغه عنى السلام، وقل له : يحمل إلىَّ الكتاب فيقرؤه على

فجاءه البرمكى وأخبره، فقال له : أبلغه عنى السلام، وقل له : إن العلم يزار ولا يزور ، و إن العلم يؤتى اليه، ولا يأتى

فذهب البرمكى وأخبر هارون الرشيد ، وكان عنده أبو يوسف القاضى، فقال : يأمير المؤمنين، يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك ابن أنس فى أمر فخالفك، اعزم عليه

فبينما هو كذلك إذ دخل مالك ابن أنس، فسلم وجلس

فقال الرشيد : يابن أبي عامر أبعث اليك فتخالفنى

فقال مالك : يأمير المؤمنين ، إن الله تبارك وتعالى قد رفعك وجعلك فى هذا الموضع الكريم ، فلا تكن أنت أول من يضع عز العلم ، فيضع الله عزّك ، وإنى لم أخالفك؛ بل أردت أن أمير المؤمنين يرفع العلم ويعظمه،حتى يرفع الله قدره

فقام الرشيد يمشى مع مالك إلى منزله ليسمع منه كتابه الموطأ وأجلسه معه على المنصة ؛ فلما أراد أن يقرأ مالك . قال لمالك : تقروه علىّ ؟

قال : ماقرأته على أحد من زمان

قال الرشيد : فلتخرج الناس حتى أقرأ أنا عليك

فقال مالك : إن العلم إن مُنع عن العامة لأجل الخاصة لا ينفع الله به الخاصة

فأمر أن يقرأ معن بن عيسى الفزارى عليه

فلما بدأ بالقراءة قال مالك رضى الله عنه لهارون الرشيد :

يأمير المؤمنين أدركت أهل العلم ببلدنا ، وأنهم ليحبون التواضع للعلم

فنزل هارون عن المنصة فجلس بين يديه تواضعاً لعلمه وانقياداً لقوله

وسُئل مالك رضى الله عنه عن طلب العلم ؟ فقال : جميل ، ولكن انظر الذى يلزمك من حين تصبح الى حين تمسى فالزمه

وكان رحمه الله تعالى فى تعظيم علم الدين مبالغاً حتى اذا أراد أن

يحدث توضأ وصلى ركعتين ، وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ، واستعمل الطيب ، وتمكن فى الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث ، فقيل له : ما السبب فى ذلك ؟ فقال :

أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهكذا يكون تعظيم العلم ، فالعلماء إذا عظموا العلم عظمهم الله عند الناس وجعل لهم الهيبة فى قلوب الملوك ومن دونهم

تعظيم الخلفاء والأمراء له

أما رفعة قدره عند الخلفاء ، وعظم منزلته عند الأمراء ، ورجوعهم الى رأيه دون غيره من الآراء ، وتقديمهم له على من سواه ، ونفوذ كلمته فى العامة ، وانقيادهم له بالطاعة ، وكمال سيادته عند الكافة ، فقد كان له فى ذلك المقام الأترف ، والمحل الرفيع الأشرف ، بحيث أنه لم يكن فى وقته مَن يساويه ، ولا مَن يقرب منه فيساميه ، ولذا كانت الخلفاء تقتدى بعلمه ، والأمراء تستضىء بنور رأيه ، والعامة منقادة الى قوله ، وكان يأمر فيمتثل أمره بغير سلطان ، ويقول فلا يُسأل عن دليل على قوله ، ويأبى الجواب فلا يجسر أحد على مراجعته ، ولذلك قال فيه بعض محبيه :

« يأبى الجواب فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان »

« لبس الوقار وعز سلطان التقى   فهو المطاع وليس ذا سلطان »

وكانت الملوك تسائله أن يراسلهم، فلا يرضى بذلك ، وتعرض عليه أن يقضى لهم فيعرض عن ذلك ، وكانوا مع ذلك يسألونه ويتعلمون منه ، ويأتونه ولا يستنطقون عنه ، ويجلسون اليه ، ويتمثلون اليه بين يديه،ويأمرون نوابهم باستشارته ، ولا يقضى أمر دون مشورته

أبو جعفر المنصور والإمام مالك

١ – بلغ أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين أن العلماء يطعنون عليه ويتكلمون فيه فبعث الى مالك ليلاً ، فأتاه خائفاً منه ، فدخل اليه بين صفوف الرجال، معتدين بالسلاح،قائمين عن يمينه وعن يساره،حتى خلص اليه، فوجده فى بيته جالساً ليس معه أحد

قال مالك : فجعل يدنينى حتى جلست قريباً منه ، ثم استدنانى حتى مست ركبتى ركبته

فقال : ماهذا الذى يبلغنا عنكم معاشر الفقهاء؟ وأنتم أحق الناس بالطاعة ، وأعرفهم بما يلزم من حق الأئمة ؟

فقال : فقلت : يأمير المؤمنين إن الله تعالى يقول فى كتابه :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ

تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَافَعَلْتُم نَادِمِينَ ﴾ الحجرات

فجرى بينهما كلام ومذاكرة، إلى أن ذكرله مالك، أنه لما بعث اليه ليلاً وطلبه، خاف منه القتل على نفسه

فقال أبو جعفر : حاشالله يا أبا عبد الله أن أثْلِم ركناً للمسلمين. فان لم أكن بالذى أبنيه لهم، فلست بهادمه ؛ ولكن إن أردت ماعندنا فاذهب معى الى مدينة السلام، فلا أقدم أحداً عليك

فقال له مالك : إن تكن عزيمة من أمير المؤمنين فلا سبيل الى مخالفته ، و إن تكن غير ذلك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون »

فقال له المنصور : فلا أحمل عليك شيئاً تكرهه

فبينما هما فى أثناء الكلام، خرج عليهما بعض أولاد المنصور ؛ فلما رأى مالكا رجع كالفزع

فقال المنصور : أتدرى مِمَّ فزع ؟

قال مالك : قلت: لا يأمير المؤمنين

قال : لأنه لم ير أحداً جلس مني هذا المجلس غيرك

فلما انصرف مالك أجازه المنصور بجائزة سنية ، قيل : أنها ثلاث صرر كل صرة ألف دينار

فلما خرج مالك قال ولد المنصور لأبيه :

أتدنى رجلا من رعيتك حتى يجلس منك هذا المجلس ؟

فقال له المنصور : يابنى والله ماعلى وجه الأرض رجل يستحيا منه

إلا مالك بن أنس،وسفيان الثورى

قال مالك: ووجدت المنصور أعلم الناس بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم،وآثار من مضى . وهذا معنى ماذكره ابن قتيبة دون لفظه

وقال جرير : أن أبا جعفر المنصور عزم على أن يحمل الناس على موطئه فقال له :

لاتفعل يأمير المؤمنين ، فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل،وسمعوا أحاديث،ورووا روايات ،وأخذ كل قوم بما سبق لهم،وعملوا به ودانوا ، وقد أصبح ردهم عما اعتقدوا شديداً ، فدع الناس وماهم عليه ، وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم

المهدى ومالك بن أنس

٢ – قال أبو مصعب : لما قدم المهدى المدينة استقبله مالك وغيره من أشراف المدينة على أميال منها

فلما أبصر المهدى مالكاً وعليه ثياب سود عدنية انحرف اليه المهدى وعانقه ، وسلم عليه ، وسايره ، فالتفت اليه مالك فقال :

يأمير المؤمنين انك تدخل الآن المدينة فيمن يقوم عن يمينك وعن يسارك، وهم أولاد المهاجرين والأنصار ، فسلم عليهم، فانه ماعلى وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة ولا بلد خير من المدينة

فقال له : لِمَ يا أبا عبد الله ؟

قال : لأنه لايعرف قبر نبى على وجه الأرض غير قبر محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كان قبر محمد صلى الله عليه وسلم عندهم ينبغى أن يعلم فضلهم على غيرهم ، ففعل المهدى ما أمره به مالك

فلما دخل المدينة ونزل ، وجَّه الى مالك ببغلة ليركب ويأتيه ، فرد مالك البغلة وقال : إِنى لأستحيي من الله أن أركب فى مدينة فيها جثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ماشيًا ، وكانت به علة فاتكأ على المغيرة بن عبد الرحمن المخزومى ، وعلى حسن بن أبى زيد العلوى وعلى ابن على اليمنى ، وكانوا من علماء المدينة وأشرافها

فقال المهدى : سبحان الله رد البغلة إجلالًا لرسول الله صلى عليه وسلم، فقيض الله له هؤلاء، فوالله لو دعوتهم أنا الى هذا ما أجابونى اليه

فقال له المغيرة : نحن يأمير المؤمنين قد افتخرنا على أهل المدينة لما اتكأ مالك علينا

امتناعه عن القضاء محافظة على الدين

روى أن أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين قال لمـالك :

ماتقول فى مالى ؟ قال : خير مال . فقال : انصرف إن شئت.

ثم قال لأبي حنيفة : ماتقول فى مالى ؟ قال : يأمير المؤمنين أنت أعلم به . فقال له : انصرف إن شئت

وقال لابن أبي ذئب : ماتقول فى مالى ؟ فقال له : شر مال : فقال له : انصرف إن شئت

ثم مكث مدة : ثم أرسل الى مالك بمـال ، وقال لرسوله : إن لم يقبله فاضرب عنقه ، فقبله مالك وسلم

فأرسل الى ابن أبي ذئب بمـال ، وقال لرسوله : إن قبله فاضرب عنقه ، فرده ابن أبي ذئب وسلم

وأرسل الى أبي حنيفة بمال وقال لرسوله: قل له: أمير المؤمنين يأمرك أن تضعه حيث ترى ، فان قبله فحسبه ، و إن رده فحسبه

فقال أبو حنيفة للرسول : أمير المؤمنين يعرف من أين جمعه ؟ وهو يعرف أين يضعه ؟

ثم أرسل اليهم الثلاثة وقال لمـالك : إنى أريد أن أوليك القضاء . فقال له : لاأصلح لذلك (لأنى محدود)

وقال لأبي حنيفة : مثل ذلك ؛ فقال له أبو حنيفة
لا أصلح لذلك (لأنى مولى) ولا يصلح أن يقضى بين الناس إلَّا
ذو شرف فى قومه

وقال لابن أبى ذئب : مثل ذلك ، فقال : لا أصلح لذلك (لأنى
قرشى) ومن كان شريكك فى نسبك فلا يصلح أن يكون شريكك
فى سلطانك

و إنما قالوا ذلك رضى الله عنهم واعتذروا به هروباً منهم عن القضاء
ورغبة عنه، خوفاً على أديانهم

(وأما قول مالك إنى محدود) فانمـا أراد بذلك السياط التى ضربه
بها جعفر بن سليمان الهاشمى أمير المدينة من جهة أبي جعفر المنصور سنة
سبع وأربعين ومائة لمـا أفتى أن يمين المكره لايلزم ، فلماسمع أبو جعفر
حمله الى العراق على قبة ، ثم قال لمـالك بعد ذلك :

اقتص منه فانه قد ظلمك . فقال له : يأمير المؤمنين ليس لى عليه
قصاص؛ لأنى جعلته فى حل ٍّ لأنه من قرابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فاستحييت أن آتى يوم القيامة متعلقاً برجل من قرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم أطلبه بمظلمة

وكانت تلك السياط على مالك عند الناس كالحلل المنشورة لمـا

علموا أنه أفتى بحق ، وضرب بباطل ، عفا عن هذه المظلمة تعظيماً لجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولتعظيم أمير المؤمنين له ، وتمكينه من القصاص من نائبه وابن عمه

وقد قيل: ان أبا جعفر هو الذى نهى مالكا عن حديث . (ليس على مكره طلاق)

ثم دس اليه من سأله عنه ، فحدثه به على رؤوس الناس ، فضربه بالسياط ، وإن كتف مالك انخلعت حينئذ رضى الله عنه

وما زال الله سبحانه وتعالى يعلى من قدر سيدنا مالك رضى الله عنه بعد ذلك الضرب حتى أصبح فى رفعة لا يسمو عليها مقام ، وتجلى عليه مولاه بمظهر العزة والكرامة، حتى كانت تلك السياط حلية تحلى بها ، وفضيلة سما قدره اليها

صلاحه وتقواه

وأما تقواه لربه ، ومعرفته بعظيم قدر نبيه، وصحبه وآله ، وتعظيمه لشريعته وإتباعه لسنته ، ونصيحته لأمته ، وانفاذ همته ، وكمال مروءته ، وكمال هيئته ، ووفور هيبته ، فقد كان من ذلك على غاية من التحفظ وفى نهاية التيقظ ، مبرزاً فى ذلك بالتقدم، معروفاً به و بالعلم والتوسم ، وفيما ذكر دلالة ظاهرة عليه

قال ابن وهب : قيل لأخت مالك ما كان يشغل مالكاً فى بيته ؟

قالت : المصحف والتلاوة

وقال مصعب بن عبد الله : كان مالك إذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم يتغير لونه ويصفر حتى يصعب ذلك على جلسائه ، فقيل له : ما السبب فى ذلك ؟ فقال :

لو رأيتم مارأيت لما أنكرتم علىَّ ماترون؛ لقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم ، فاذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم اصفرَّ

وقال القاضى عياض رحمه الله : كان مالك لايركب فى المدينة دابة ويقول :

« أستحيى من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة »

وقد روى : أن مالكاً رضى الله عنه ماجالس سفيهاً قط ، وهذه خصلة لاتعرف لأحد غيره ، وكان كثير الصلاة والأذكار ، والأوراد فى الأسحار ، والدروس فى العلوم والتكرار

زهده وورعه

قيل : لما اشتهر مالك رضى الله عنه بالعلم ، وانتشر وصفه وذكره

فى البلاد ، حملت إليه الأموال فكان يفرقها على أصحابه ، وأصحابه يفرقونها فى وجوه الخير ، موافقة لفعله ، وما كان يدخرها، وكان يقول : ليس الزهد فقد المال ، و إنما الزهد فراغ القلب منه

ومما يؤثر عنه: أن المهدى أمير المؤمنين سأله وقال له : هل لك دار؟ فقال : لا ، ولكن أحدثك : سمعت ربيعة بن أبى عبد الرحمن يقول : نسب المرء داره

وسأله الرشيد : هل لك دار؟

فقال : لا . فأعطاه ثلاثة آلاف دينار ، وقال: اشتر بها داراً فأخذها ولم ينفقها ، فلما أراد الرشيد الرحيل إلى بغداد قال له : ينبغى لك أن تخرج معنا، فانى عزمت أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن

فقال له : أما حمل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل؛ لأن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده فى الأمصار فحدثوا فعند أهل كل مصر علم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اختلاف أمتى رحمة

وأما الخروج معك فلا سبيل اليه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد

وهذه دنانيركم كما هى ، إن شئتم فخذوها، و إن شئتم فدعوها

يعنى انك إنما كلفتنى مفارقة المدينة بما اصطنعته لدى من أخذ هذه الدنانير، فالآن خذها فانى لا أوثر الدنيا وما فيها على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفاته

توفى مالك رضى الله عنه لعشرة أيام خلت من ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة،ومرض يوم الأحد، ومات يوم الأحد،وعاش تسعين سنة ، وأوصى أن يكفن فى بعض ثياب بيض ، ويصلى عليه بموضع الجنائز،فصلى عليه أكثر الناس ، فمنهم: ابن عباس وهاشم وابن كنانة وشعبة بن داود وكاتبه حبيب وابنه ، ووجد عليه أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجداً عظيماً

ودفن بالبقيع فى ظاهر المدينة، ونزل فى قبره جماعة رضى الله عنهم ولما بلغ أهل العراق موت الإمام مالك رحمه الله ارتجت له العراق وعظمت مصيبتهم بموته

تأبينه

أنشد أبو عمار فى تأبين مالك وفى موطأه قصيدة طويلة نذكر منها ما يأتى:

« أيا طالباً للعلم إن كنت طالباً   حقيقة علم الدين تحظى وترغب »

« فبادر موطأ مالك قبل فوته فما بعده إن فات للعلم مطلب »

« ودع للموطأ كل علم تريده فان الموطأ الشمس والعلم كوكب »

« هو الحق عند الله بعـد كتابه وفيه لسان الصدق بالحق معرب »

« هو الأصل طاب الفرع منه لطيبه ولم لا يطيب الفرع والأصل طيب »

« ومن لم يكن هـذا الموطأ ببيته فذاك من التوفيق بيت مخيب »

« جزى الله عنا فى موطّاه مالكا بأفضل مايجزى اللبيب المهذب »

« فقد أحسن التحصيل فى كل ماروى كذا فعل من يخشى الإلٰه ويرغب »

« لقد رفع الرحمٰن بالعلم قدره غلاماً وكهلاً ثم إذ هو أشيب »

« لقد فاز أهل العلم شرقاً ومغرباً فأضحى به الأمثال فى الناس تضرب »

« وما فاقهم إلّا بتقوى وخشية وأن كان يرضى للإلٰه ويغضب »

« فلا زال يسقى قبره كل عارض من العفو إذ يهمى عليه ويسكب »

أولاده

خلف من الولد رضى الله عنه أربعة : يحيى ،ومحمداً ، وحمادة ، وأمَّ أبيها

فأما يحيى وأم أبيها ، فلم يوص بهما الى أحد ، كانا مالكين لأنفسهما

وأما محمد وحمادة فوصى بهما الى ابراهيم بن حبيب من أهل المدينة

بعض أقواله وحكمه

من حكمه : العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم . ليس العلم بكثرة الرواية ؛ ولكنه نور يضعه الله تعالى فى القلب

من أقوال مالك : من طلب الدين بالكلام تزندق ، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ، ومن طلب غريب الحديث كذب . الدنو من الباطل هلكة ، والقول فى الباطل يصد عن الحق . ولا خير فى شىء من الدنيا بفساد دين المرء أو مروءته . ولا تأس على الناس فيما أحلّ الله لهم . إياكم وأصحاب الرأى فانهم أعداء السنة . السنة سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق

أوصى مالك رجلا فقال له : عليك بتقوى الله ، وطلب العلم من عندأهله . وقال مالك : ما كان فى كتاب الله أو فيما أحكمته السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق لاشك فيه ، وما كان من اجتهاد الرأى فالله أعلم به . لايُؤخذ العلم من أربعة ، ويؤخذ من سواهم : لايؤخذ من مبتدع يدعو الى بدعة ، ولا من سفيه معلن بسفهه ، ولا عمن يكذب فى حديث الناس ، وإن كان يصدق فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عمن يعرف هذا الشأن

وقال : إذا قلَّ الكلام أصيب الجواب ، و إذا كثر الكلام كان من صاحبه فيه الخطأ

وقال : إذا لم يكن للانسان فى نفسه خير لم يكن للناس فيه خير

وقال رضى الله عنه : الفظاظة مكروهة لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

ولقوله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾

وقال مالك رضى الله عنه : قال سعيد بن عباد : صلِّ صلاة إمرئ مودع يظن أن لن يعود ، وأظهر اليأس عما فى أيدى الناس فانه الغنى ، و إياك وطلب الحاجة فانه الفقر الحاضر ،وقد علمت أنه لابد لك من قول، فاياك وما يعتذر منه

وقال رضى الله عنه : من أكثر الكلام ومراجعة الناس ذهب بهاؤه

وقال رضى الله عنه : لاينبغى أن تتكلم بشىء تستحى منه ولا تمشى فى حاجة تستحى فيها

وقال رضى الله عنه : حق على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية ، والعلم حسن لمن رزق خيره ، وهو قسم من الله فلا تمكن الناس من نفسك ، وان من سعادة المرء أن يوفق للخير ، وان

من شقاوة المرء ألّا يزال يخطئ ويزل ، وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه

وقال رضى الله عنه : ينبغى للعالم ألّا يتولى شراء حوائجه من السوق بنفسه، وان كان يقع عليه فى ذلك نقص فى ماله ، فان العامة لايعرفون قدره أو نحو هذا

قال خالد بن خداش : ودعت مالكا فقلت : أوصنى يا أبا عبد الله قال : عليك بتقوى الله ، وطلب العلم من عند أهله

المذهب المالكى

قال المرحوم أحمد باشا تيمور فى رسالته عن المذهب المالكى ما يأتى باختصار :

أما المذهب المالكى فهو منسوب الى إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحى رضى الله عنه المولود سنة ٩٣ هجرية والمتوفى بالمدينة سنة ١٧٩ وهو ثانى الأربعة فى القدم، ويقال لأصحابه (أهل الحديث)

وقد نشأ المذهب بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ثم انتشر فى الحجاز وغلب عليه ، وعلى البَصرة ومصر ، وما والاها من بلاد إفريقية، والأندلس، وصقلية، والمغرب الأقصى، الى بلاد السودان . وظهر ببغداد ظهوراً كثيراً ثم ضعف فيها بعد القرن الرابع

وأول من قدم به الى مصر على ماجاءفى خطط المقريزى عبدالرحيم ابن خالد بن يزيد بن يحيى مولى جمح ، ثم نشره بها عبد الرحمن بن القاسم،واشتهر بها أكثر من مذهب أبى حنيفة لكثرة أصحاب مالك فيها ، ولم يكن مذهب أبى حنيفة يعرف بمصر

والآن يتبع مذهب مالك فريق كبير من المصريين ، ويكاد يعمّ الوجه القبلى (الصعيد)

ومن العجب أن تكون بلاد الصعيد محوطة بالمذهب المالكى من كل ناحية وتبقى بلدة (فرشوط) شافعية المذهب الى يومنا هـذا كما قال فضيلة الاستاذ الشيخ التفتازانى

٣ — الامام الشافعى رضى الله عنه

مولده ـ ولد الإمام الشافعى رضى الله عنه بغزة عسقلان (الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط بأرض فلسطين) سنة خمسين ومائة فى شهر رجب

نسبه من جهة أبيه ـ هو محمد أبو عبد الله ، بن إدريس ، بن العباس ، بن عثمان ، بن شافع ، بن السائب ، بن عبد يزيد ، بن هاشم ابن عبد المطلب ، بن عبد مناف ، ويجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف (وهاشم الذى فى أجداد الشافعى غير هاشم الذى فى أجداد النبى صلى الله عليه وسلم) وقيل فى نسبه :

« نسب كأنّ عليه من شمس الضحى
نوراً ومن خلق الصباح عمودا »

« مافيه إلَّا سيِّد من سيِّد
حاز المكارم والتقى والجودا »

نسبه من جهة أمه — أمه السيدة فاطمة بنت عبد الله، بن الحسن ، بن حسين، بن على ، بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وقيل : ان السيدة فاطمة لما حملت به رأت فى نومها كأن كوكب المشترى خرج من

بطنها وارتفع فى الجو ، وسقطت منه أجزاء أصاب كل جزء منها بلداً فأضاءه ، فقامت السيدة مذعورة من نومها ، وفى الصباح قصت رؤياها على المعبرين ، فأخبروها بأنها ستضع ولداً يملأ أطباق الأرض علماً

فلما وضعته فى رجب من السنة المذكورة سمته (محمداً) وبعد الوضع بأيام جاءت الأخبار من بغداد إلى (غزة) بأن الإمام أبا حنيفة النعمان توفى، وأنهم دفنوه (بالرصافة) فى شرق بغداد ، ولما حسب أهل الشافعى حسابهم ظهر لهم أن وفاته رضى الله تعالى عنه كانت فى نفس اليوم الذى وضعت فيه السيدة فاطمة ابنها محمداً فاتخذوا هذه الحادثة تاريخاً لميلاده وفيه إشارة الى أنه يخلفه فى علمه

نشأته – لما كبر الشافعى وبلغ من العمر سنتين ، رأت أمه أنه إذا مابقى فى (غزة) ضاعت نسبته من قريش، فحملته الى (مكة المكرمة) ونزلت بحى هناك بجوار الحرم يقال له (شعب الخيف) وقد نشأ يتيماً فقيراً يؤاسيه ذوو قرابته من قريش ، وحفظ القرآن وهو ابن تسع ، وأولع بالشعر واللغة ، ورحل الى البادية فى تطلبها ، ثم تفقه فى الدين ، وجالس أهل العلم ، وفتح الله عليه من العلم مالم يفتح على غيره ، حتى أفتى وهو ابن خمس عشرة سنة كما سيأتى ذكره

بشارة المصطفى ﷺ به

قد ورد ذلك فى حديثين فى كل منهما إشارة اليه :

الحديث الأول : حديث عالم قريش – ورد من حديث ابن مسعود ومن حديث أبى هريرة، ومن حديث على بن أبى طالب، ومن حديث ابن عباس

أما حديث ابن مسعود فقد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتسبوا قريشاً فان عالمها يملأ الأرض علماً ، اللهم أذقت أولهم عذاباً ، فأذق آخرهم نوالاً »

وأما حديث أبى هريرة فقد قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اهد قريشاً فان (عالمها يملأ طبق الأرض علماً) اللهم كما أذقتهم عذاباً فأذقهم نوالاً (دعا بها ثلاث مرات)

وأما حديث على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« لاتؤموا قريشاً ، وائتموا بها ، ولاتقدموا على قريش ، وقدموها ، ولا تعلموا قريشاً ، وتعلموا منها ، فان أمانة الأمين من قريش تعدل أمانة اثنين من غيرهم ، وأن علم عالم قريش يسع طباق الأرض »

وأما حديث ابن عباس فقد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«اللّهم اهد قريشًا، فان علم العالم منهم يسع طباق الأرض، اللّهم أذقت أولها نكالًا فأذق آخرها نوالًا »

الحديث الثانى : وهو أن الله سبحانه وتعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها

عن أحمد بن حنبل يقول : يروى فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : أن الله يمنّ على أهل دينه فى رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتى يبين لهم أمر دينهم ، وانى نظرت فى مائة سنة فاذا هو رجل من آل رسول الله (وهو عمر بن عبد العزيز) وفى رأس المائة الثانية ، فاذا هو (محمد بن إدريس الشافعى)

وقال ابن عدى : سمعت محمد بن على بن الحسين يقول : سمعت أصحابنا يقولون : كان فى المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وفى الثانية محمد بن إدريس الشافعى

وقال الحاكم : سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول غير مرة : سمعت شيخًا من أهل العلم يقول لأبى العباس بن سريج : إبْشر أيها القاضى ، فان الله منَّ على المسلمين بعمر بن عبد العزيز على رأس المائة ، فأظهر كل سُنَّةٍ ، وأمات كل بدعة ، ومنَّ الله على رأس المائتين بالشافعى حتى أظهر السنة ، وأخفى البدعة ، ومنَّ الله على رأس الثلثمائة بك

طلبه للعلم والاجتهاد فيه

لما بلغ الشافعى رضى الله عنه تسع سنين ، وكان قد أتم حفظ القرآن كله ، رأى أنه لم تكن هناك فائدة من بقائه فى الكتّاب ، فانسلخ منه ، ودخل المسجد الحرام يجالس العلماء ، ويحفظ الحديث ، وعلوم القرآن ، وغيرها من مختلف العلوم فى ذلك الزمان ، فقرأ القرآن على اسماعيل بن قسطنطين ، والحديث على سفيان بن عيينة ، ومسلم ابن خالد الزنجى وغيرهما ، وكان لشدة فقره يجمع العظام ليكتب عليها مذكراته عن الدروس التى يتلقاها عن أساتذته ؛ وكان يذهب الى دواوين الحكومة ومصالحها ، ويلتقط قصاصات القراطيس من تحت أقدام الكتاب ليكتب على ظاهرها ، وفى المسافات الخالية فيها المذكرات المذكورة ويقول :

« العلم صيدٌ ، والكتابة قيده قيّد صيودك بالحبال الواثقة »

« فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بين الخلائق طالقة »

ولم يرَ الشافعى فى ذلك غضاضةً ؛ بل بالعكس كان يعتقد أن من أهم أسباب الفلاح فى العلم الفقر ، ولذلك كان يقول : ما أفلح فى العلم إلّا من طلبه فى القلة

كثرت القصاصات والعظام عند الشافعى ، وضاق بها صندوقه

وحجرته ، ولم يعد يجد مكاناً ليستريح فيه فى الحجرة ، أو ينام فيه ، فصمم أن يحفظ ماجمعه فى تلك القصاصات والعظام عن ظهر قلب ، ويستغنى عنها ، وفعلاً حبس نفسه فى الحجرة، وأخذ يحفظ كل ما كتبه فوق العظام والقصاصات بعزيمة صادقة لاتعرف الملل، حتى أتم حفظها ، واستغنى عنها وخرج من الحجرة وهو يقول :

« علمى معى حيثما يَممت ينفعنى
صدرى وعاء له لابطن صندوق »

« إن كنت فى البيت كان العلم فيه معى
أو كنت فى السوق كان العلم فى السوق »

إن هذه العملية قوّت الحافظة عند الشافعى الى حد مدهش جداً ، حيث بلغت به الدرجة أنه اذا فتح كتاباً ليحفظ فيه ، اجتهد أن يغطى بطرف كمه الصحيفة اليسرى ، مخافة أن يقع نظره عليها فيحفظها قبل أن يحفظ الصحيفة اليمنى

ولم يصل الشافعى الى هذا القدر من الذكاء المفرط ، والحفظ الخارق للعادة ، والفهم السريع، إلَّا بفضل قوة إيمانه ، وصدق يقينه ، وحسن اعتقاده، فهو يقول : انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى نومه، فقال له: مَن أنت ياغلام ؟ فقال : أنا من رهطك يارسول الله . فقال : ادن منى ، فدنا منه ، فأخذ من ريقه ، وأمرَّ على لسان الشافعى وفمه

وشفتيه ، وقال له : امض بارك الله فيك

قام الشافعى من نومه ، وهو يعتقد تمام الاعتقاد أنه إذا جىء له بالجبال صحفًا حفظها ، وكانت هذه الرؤيا مفتاح باب الفتوح على الشافعى ، حيث أصبح وله رغبة فى تحصيل العلم إلى حد أنه كان إذا سُئل عنه قال : أسمع الكلمة التى لا أعرفها فتود أعضائى أن يكون لكل واحد منها سمع يتنعم بسماع تلك الكلمة

وإذا قيل له : كيف حِرصك عليه ؟ قال : حرص البخيل الجموع على المال

وإذا قيل له : كيف طلبك له ؟ قال : طلب المرأة التى ضلّ ولدها وليس لها غيره

وكان يقول : ليس العلم ماحفظ ، وإنما العلم مانفع

وكان الشافعى يقسم الليل ثلاثة أقسام : ثلث للعلم ، وثلث للصلاة ، وثلث للنوم

حفظه للقرآن — قال الربيع رحمه الله : كان الإمام الشافعى يختم القرآن فى كل يوم مرة ، وفى رمضان يختم القرآن ستين مرة ، كل ذلك فى الصلاة

وكان جميل الصوت فى القراءة جداً ، حتى أن علماء مكة كانوا ، وهو فى الثالثة عشرة من العمر ، إذا ما أرادوا البكاء من خشية الله تعالى جمع بعضهم بعضًا وقالوا : هيًا بنا الى ذلك الصبى المطلبى ليسمعنا

القرآن فيبكينا ، فاذا جاءوا وسمعوه ، رأيتهم يتساقطون بين يديه من كثرة البكاء ، ورأيت أعينهم تفيض من الدمع طرباً واستحساناً وخشوعاً وخضوعاً ، وكان إذا رأى منهم ذلك أمسك عن القراءة شفقة عليهم ورحمة بهم

وكان بالرغم من جمال صوته يقرأ القرآن قراءة الفاهم لمعناه ، الواقف على دقائق مغزاه

تبحره فى الحديث والفقه واللغة والأدب – ولما بلغ من العمر الخامسة عشرة كان قد أتم علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب والشعر حتى أن الأصمعى نفسه ، وهو شيخ الشعراء ، كان يفتخر بأنه حضر أشعار الهذليين على الشافعى وهو فى الخامسة عشرة ، وكان يجيد الشعر ، فهو وان كان القائل :

« ولولا الشعر بالعلماء يُزرى لكنتُ اليوم أشعر من لَبيد »

إلَّا أنه كان أشعر من لبيد حقيقة ، ولم يكن شعره قاصراً على التصوف والزهد أو المواعظ والحكم ؛ بل كان يقول فى الغزل والحب والتعازى ، وله نَظْم كثير جمعه المرحوم محمد افندى مصطفى فى رسالة خاصة سماها (الجوهر النفيس فى أشعار الإمام محمد بن إدريس)

إجازته للفتوى – ولما رأى استاذه الإمام مسلم بن خالد الزنجى أن الشافعى وصل الى هذا الحد فى العلوم أجازه بالفتوى فكنت

تدخل المسجد الحرام،فترى الشافعى وهو فى الخامسة عشرة جالساً على كرسيه يعلم الناس العلم ، ويفتيهم فى أمور دينهم ، وكان يقول :

« كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلَّا الحديث وعلم الفقه والدين »

« العلم ما كان فيـه قال حدثنا وماسوى ذلك وسواس الشياطين »

رحلاته

كان رضى الله عنه يقول :

« مافى المقام لذى عقل وذى أدب

من راحة فدع الأوطان واغترب »

« سافر تجـد عوضًا عمن تفارقه

وانصَبْ فان لذيذ العيش فى النَّصَب »

رحلة الإمام الشافعى الى المدينة لطلب العلم وحضوره درس الإمام مالك وحفظه للموطأ

استمر الشافعى فى تحصيل العلم وتدريسه ببيت الله الحرام ، تحضر عليه العـلماء والشعراء والأدباء ، كالأصمعى وغيره ، الى أن تجاوز العشرين من عمره بقليل ، حيث ظهر للناس وقتها كتاب الموطأ للإمام

مالك ، واشتهر بينهم ، فاشتاقت نفس الشافعى إلى رؤية الإمام مالك رضى الله عنه بالمدينة المنورة والاستفادة من علمه ، فاستعار كتاب الموطأ من رجل من أهل مكة وحفظه فى زمن يسير كعادته ، ثم تقدم الى والى مكة ورجاه فى أن يكتب له جواب توصية لوالى المدينة كى يقدمه للإمام مالك ، ولفرط حب الوالى للشافعى كتب له جوابين ، أحدهما لوالى المدينة، والثانى للإمام مالك،وسلمهما للشافعى

أخـذ الشافعى الجوابين، وعاد إلى البيت مسرعًا مسروراً ، ومن شدة فرحه قرع الباب قرعة عنيفة فقالت أمه : مَن الطارق ؟ فقال : أنا الشافعى . فقالت : ارجع وتعـلم الأدب ، ثم عُد، هذا التعنيف من أمه أثر فى نفسه ، وأدرك أنه لم يتم تأديبه بعـد ، فعزم على ألَّا يرجع اليها إلَّا وقد كمل أدبًا وعلمًا ، ثم عاد لوقته ولحق بركبه الى المدينة ، وتعرف بشيخه ، وكان من المتغالين فى حب الإمام مالك

فلما رأى شيخ الركب شوق الشافعى إلى مالك فرح به ، وقدم له أحسن بعير فى قافلته ، وكان اسمه (الأبرق) وأخذ هو فى الدرس حتى ختم من مكة الى المدينة ست عشرة ختمة ، بالليل ختمة ، و بالنهار ختمة، ودخل المدينة فى اليوم الثامن بعد صلاة العصر ،فصلى فى مسجد النبى صلى الله عايه وسلم، ثم دنا من القبر وسلم على صاحبه عليه الصلاة والسلام ، و بعـد ذلك ذهب الى والى المدينة ودفع اليه الجوابين ،

ففتح الوالى الجواب الخاص به وقرأه ، ثم نظر الى الشافعى وقال له :

« والله يا بُنىَّ لو أن والى مكة طلب إلىَّ السعى من جوف المدينة إلى جوف مكة ماشياً حافياً لكان أهون علىَّ من الذهاب الى بيت الإمام مالك »

فقال الشافعى : يمكنك أن تحضره إلى هنا ، فقال الوالى : هيهات ! ليتنا إذا ركبنا اليه ووقفنا على بابه يفتح لنا الباب ، ولكن هيَّا بنا على بركة الله

ركب الوالى وأخذ الشافعى معه إلى أن وصلا إلى دار مالك، فتقدم رجل وقرع الباب ، فخرجت جارية سوداء ، فقال لها الوالى : قولى لمولاك إننى بالباب ، فدخلت الجارية وأبطأت ، ثم خرجت تقول : إن مولاى يقول لك : إن كانت لك مسألة فارفعها فى رقعة حتى يخرج لك الجواب عليها ، و إن كان المجىء لشىء آخر فقد عرفت يوم المجلس فانصرف اليه . فقال لها الوالى : قولى لمولاك إن معى كتاباً له من والى مكة فى مهمة خاصة به

فدخلت الجارية ، ثم خرجت وفى يدها كرسى ، و بعد ذلك خرج مالك ، فاذا هو شيخ طويل القامة ، أشقر اللون ، عليه المهابة والوقار ، ومتطليس ، فدفع الوالى الكتاب اليه

فلما بلغ إلى قوله : إن محمد بن ادريس رجل شريف ، من أمره

ومن حاله كذا وكذا ، رمى مالك الكتاب من يده وقال : ياسبحان الله صار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يطلب بالوسائل « أى بالوسائط والتوصيات »

فتقدم الشافعى اليه وقال : أصلحك الله تعالى إنى رجل مطلبى ، ومن حالى ومن قصتى كذا وكذا ، فلما سمع مالك كلامه عطف عليه ونظر اليه ساعة ، وكان لمالك فراسة فسأله : ما اسمك ؟ قال : محمد قال له : يامحمد اتق الله ، واجتنب المعاصى ، إنى أرى فى قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية ، فانه سيكون لك شأن فى الناس

فقال الشافعى : نعم وكرامة . قال مالك : اذا كان الغد فتجىء لنقرأ لك الموطأ

فقال الشافعى : إنى أقرؤه يامولاى حفظاً . قال مالك اقرأ . فأخذ الشافعى يقرأ ومالك يسمع له ، وكلما خاف الشافعى على مالك من الملالة سكت ، فيقول له : زد يافتى فانى أستحسن قراءتك

وهكذا استمر الشافعى على الحضور إلى بيت الإمام مالك ، فى كل يوم يقرأ عليه الموطأ ، ومالك يسمعه له ، حتى قرأ عليه الموطأ كله فى أيام يسيرة

و بعد ذلك رأى الشافعى أن يحضر مجلس الإمام مالك فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم للسماع منه ، فرآه داخلاً من باب المسجد

« الواقع بالوجهة الشرقية » مؤتزراً ببردة ، متشحاً بأخرى ، متطيباً مغتسلاً ، مسرحاً لحيته ، وكانت هذه عادته عند قراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقام له مَن فى المسجد ، وقد هابه الشافعى مهابة عظيمة ، وجلس حيث انتهى به المجلس بعد ماجلس مالك والحاضرون

ثم بدأ مالك فى قراءة الحديث ، والشافعى يكتب بريقه على يده مايسمعه ، حتى فهم وحفظ كل ماحدث به ، فتعجب مالك من ذلك

وأقام الشافعى ضيفاً عند مالك ثمانية أشهر ، يلازمه فى البيت وفى المسجد ، ويقدم له مالك الطعام والماء بيده ، ويأخذه فى صحبته الى المسجد ، وبعد مايقرأ مالك على الناس الموطأ يعطيه للشافعى ليمليه عليهم ، وهم يكتبونه ، فازداد بذلك الشافعى حفظاً للموطأ وفهماً له وعرفته الناس

شهادة الإمام مالك بسعة علمه

كان الإمام مالك رضى الله عنه يثنى على فهم الشافعى وحفظه ، وشهد له بسعة علمه ، ووصله بهدية لما رَحَل عنه

وكان الشافعى يقول : مالك معلمى وأستاذى ، منه تعلمنا ، وماأحد آمن علىَّ من مالك ، وقد جعلت مالكا حجة بينى و بين الله

وكان المصريون من عادتهم ، بعـد قضاء الحج فى مكة ، أن يحضروا الى المدينة المنورة للصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستماع الموطأ من مالك ، وكان الشافعى يمليـه عليهم ، ومن ذلك الحين عرف المصريون الشافعى ، ومالت قلوبهم اليه ، واهتموا بالوقوف على أخبـاره ، وكان فيمن أملى عليهم الموطأ فى المدينة من المصريين (عبد الله بن الحـكم ، وأشهب ، وابن القاسم ، والليث بن سعد) حتى ان الشافعى لمـا قدم على مصر كان عبد الله بن عبد الحـكم أعظم نصيراً له ، وكان أهل العراق كالمصريين حينما يقدمون الى المدينة بعد أداء فريضة الحج لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ولسماع الموطأ كان الشافعى يملى عليهم الموطأ كغيرهم

رحلته الى العراق

لمـا سمع الشافعى من بعضهم أخبار علمـاء العراق ، كأبى يوسف ، ومحمد بن الحسن، صاحبى الإمام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه اشتاق إلى السفر معهم الى العراق للاجتماع بأولئك العلماء وأمثالهم ، فدخل على الإمام مالك وقال له : خرجت من مكة فى طلب العلم ولم أستأذن والدتى، فهل أعود اليها أو أرحل فى طلب العلم ؟ فقال له مالك : يابنى العلم فائدة يرجع منها إلى فائدة ، ألم تعـلم أن الملائـكة تضع أجنحتها

لطالب العلم رضاء بما يطلبه ؟

فقـال الشافعى : أريد السفر الى العراق ، فزوّده مالك بست وأربعين ديناراً ، واكترى له راحـلة الى الـكوفة بأربعة دنانير ، وخرج يودعه إلى البقيع ، وهناك سأله الشافعى من أين لك هذا المال يا مولاى ؟

فقال مالك : ان ابن القاسم المصرى أعطانى مئة دينار اقتسمتها بينى و بينك

و بعد أربعة وعشرين يومًا من المدينةوصل ركب الحاج الى الكوفة فقصد الشافعى على بن أبي طالب كرَّم الله وجهه فى ظاهر الـكوفة وصلى العصر

و بينما هو فى المسجد إذ رأى غلامًا يصلى فلم تعجبه صلاته فنصحه ، فلم يقبل الغلام ، وقال : أنا أصلى هكذا خمس عشرة سنة بين يدى أبي يوسف وابن الحسن صاحبى أبى حنيفة فما عابا علىَّ شيئًا وأنت تعيبها ، ونهض خارجًا غضبان

وصادف أنه وجد لدى باب المسجد الإمام أبا يوسف ومحمد بن الحسن،فسألهما الغلام عما اذا كان فى صلاته عيب؟فقالا : اللَّهم لا . فقال الغلام : إن فى المسجد رجـلاً عابها ، فقال له ابن الحسن اذهب اليه وقل له : بمَ تدخل الصلاة ؟ فذهب الغلام الى الشافعى وسأله هـذا

السؤال فجاوبه الشافعى : إنى أدخل الصلاة بفرضين وسنة . فقال له ابن الحسن إرجع اليه واسأله عن الفرض والسنة ، فقال له الشافعى : أما الفرضان فهما النية وتكبيرة الإحرام ، وأما السنة فهى رفع اليدين . فعاد الغلام إلى الشيخين وأخبرهما بالجواب ، فعرفا أن هـذا قول من نظر فى العلوم ، فدخلا المسجد،فقام لهما الشافعى إجلالاً وتعظيماً ،وأظهر البشاشة لهما، وجلس بين يديهما، فسأله محمد بن الحسن عن نسبه و بلده فأخبره عنهما،ثم سأله عما اذا كان رأى الإمام مالكا، فقال: من عنده أتيت . فقال : هل نظرت فى الموطأ ؟ قال حفظته عن ظهر قلب

فعظم ذلك على محمد بن الحسن وأخذ يسأله عدة أسئلة فى الطهارة والزكاة والبيوع وغيرها والشافعى يجاوب عليها أحسن إجابة فازداد إعجابه به ، وأخذه الى داره وأباح له أن ينسخ من مكتبته ما شاء من كتبه

وأقام الشافعى مدة فى الكوفة ضيفاً على محمد بن الحسن نسخ فى خلالها كثيراً من الكتب ، ولما أتم غرضه أراد السياحة فى بلاد فارس وما حولها من بلاد الأعاجم ، والطواف بالعراق ، فعرض ذلك على محمد بن الحسن فوافق عليه وأعطاه ثلاثة آلاف ليستعين بها فى سياحته

رحلته الى بلاد فارس وغيرها

أخذ الشافعى المال وساح فى بلاد فارس وماحولها من بلاد الأعاجم ثم سافر الى (ديار ربيعة ومضر) ومنها رحل الى بلاد شمال العراق ، حتى وصل الى جنوب بلاد الروم ، وهى الأناضول الآن ، وعرج على (حران) وأقام فيها زمنًا ، ثم سافر منها الى فلسطين وأقام فى الرملة فى جنوب بيت المقدس

وقد استغرقت هـذه السياحة حولين كاملين من سنة ١٧٢ هـ الى سنة ١٧٤ هـ ازداد الشافعى فيهما علمًا بما حفظه من العلماء بأمور العباد وأخلاقهم وعاداتهم ولغاتهم وتعرف بكثير ممن أملى عليهم الموطأ وهو فى المدينة فكانوا خير معين له فى هذه البعثة

عودته الى المدينة

وبينما هو فى الرملة إذا بركب المدينة قد جاء من الحجاز ، فسألهم الشافعى عن الإمام مالك، فقالوا أنه بخير ، واتسعت أرزاقه ، فاشتاق الشافعى الى السفر الى المدينة لرؤيته ، فاشترى راحلة وسافر عليها الى المدينة المنورة ، فوصلها بعـد ٢٧ سبعة وعشرين يومًا ، ودخلها ساعة العصر حوالى سنة ١٧٤ هـ وقصد مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فسلم

على صاحبه ، وصلى العصر ، وحضر درس الإمام مالك ، الذى لما علم بوجوده استدعاه وضمه الى صدره ، ونزل عن كرسيه ، وقال له : أتمم أنت الدرس ياشافعى ، و بعد ما أتم الشافعى الدرس أخذه مالك الى بيته

ولم يمض على الشافعى زمن طويل بعد عودته الى المدينة حتى جاءت الأخبار من مصر بوفاة (الإمام الليث بن سعد) فى نصف شعبان سنة ١٧٥ هـ ، وأنهم دفنوه فى القرافة الصغرى ، فحزن لوفاته مالك والشافعى ، وسيأتى الكلام عليه

وأقام الشافعى بعد ذلك فى المدينة المنورة أربع سنوات وأشهراً ملحوظاً بعين الإمام مالك الى أن توفى الإمام مالك فى شهر ربيع سنة ١٧٩ ، ودفن بالبقيع فى ظاهر المدينة ، ووجدت عليه أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجداً عظيماً كما مرّ ذكره

رحلته الى اليمن وزواجه

مات مالك ، وبقى الشافعى ، ولا معين له فى المدينة إلّا الله تعالى ، وكان عمره وقتئذ ٢٩ سنة تقريباً ، وصادف أن جاء والى اليمن الى المدينة ، فكلمه جماعة من قريش فى موضوع الشافعى ، فأخذه الوالى كاتباً له

ولما عاد إلى (صنعاء) قلده عملاً مستقلاً أحسن الشافعى إداراته وأثنى عليه الناس وأحبه الوالى

وقد تزوج الشافعى فى هـذه الأثناء من السيدة (حميدة) بنت نافع (حفيدة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه) ورزق منها ابنه (أبا عثمان محمداً) وابنتيه (فاطمة وزينب) وقد ارتقى أبو عثمان محمد فى المناصب حتى كان قاضياً لمدينة حلب

حسن معاشرته لزوجته

وكان الشافعى رضى الله عنه رقيق المعاشرة مع زوجته ، حتى بلغت به الدرجة من الرقة أن كنى ابنه منها باسم جدها سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه فكنَّاه (بأبى عثمان محمد) ولم يكنِّه بأبى إدريس أو الشافعى

وكان مثلاً أعلى للحياة الزوجية الصريحـة ، حيث كان يوصى زوجته ألَّا تعارضه فى القول عند سورة غضبه، مخافة أن يمحو أثر هذه المعارضة مافى قلبه من المحبة لها فيقول :

« خذى العفو منى واستديمى مودتى

ولا تنطق فى سورتى حين أغضب »

« فانى وجدت الحب فى القلب والأذى

اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب »

وأقام الشافعى فى اليمن على عمله، يحكم بين الناس بالعدل ، ملازماً الإمام يحيي بن حسان صاحب الإمام الليث بن سعد ، غير منقطع عن طلب العلم وتدريسه لحظة ، ولم يدع الفرص تفوته مدة وجوده فى هذه البلاد ، بل تعلم فيها علوم الفراسة ، وهى علوم خاصة ببلاد اليمن وقتها وقد تفوق فيها

حقد حساده عليه ووشايتهم به عند الرشيد

ثم ان تقدمَ الشافعى فى اليمن ، ومكانته عند الوالى والناس ، وعلو قدره فى العلوم والمعارف ، سواء أكانت فقهية ، أو رياضية ، أو فلسفية ، أو طبية ، أو فلكية الخ . كان سبباً فى حقد صدور الحاسدين عليه ، فوشوا فى حقه للخليفة هارون الرشيد وهو فى بغداد ، واتهموه بأنه رئيس حزب العلويين فى اليمن ، وأنه يدعو إلى عبد الله بن الحسين ، فأرسل الخليفة أحد قواده الى اليمن ، فبعث له ذلك القائد بكتاب يخوفه من العلويين ، ويذكر له فيه الشافعى ، ويقول عنه : انه يعمل بلسانه ، مالايقدر المقاتل عليه بحسامه وسنانه ، وإن أردت ياأمير المؤمنين أن تبقى الحجاز عليك ، فاحملهم اليك ، فبعث الرشيد إلى والى اليمن يأمره بأن يحمل العلويين إلى بغداد ومعهم الشافعى مكبلاً بالحديد

حادثته مع الرشيد

اعتقل العلويّون وفى جملتهم الشافعى ، ووضع فى رجليه الحديد تنفيذاً لأوامر الخليفة ، وأرسلوا الى بغداد ، فدخلوها فى غسق الليل ، وأحضروا بين يدى هارون الرشيد ليـلاً ، وكان جالساً من وراء ستار ، وكانوا يقدمون اليه واحداً واحداً ، وكل من تقدم منهم قطع رأسه كل ذلك والشافعى بالباب يدعو ربه بدعائه المشهور عنه وهو :

« اللّهم يالطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير »

ولمـا جاء دوره حملوه الى الخليفة ، وهو مثقل بالحديد ، فرمى من بحضرة الخليفة بأبصارهم اليه

فقال الشافعى : السلام عليـك يأمير المؤمنين وبركاته ، ولم يقل ورحمة الله

فقال الرشيد : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، بدأت بسنة لم تؤمر باقامتها ، ورددنا عليك فريضة قامت بذاتها ، ومن العجب أن تتكلم فى مجلسى بغير أمرى

فقال الشافعى : إن الله تعالى قال فى كتابه العزيز :

﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ

الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾

وهو الذى إذا وعد وفى ، فقد مكنك فى أرضه ، وأمنتنى بعد خوفى ، حيث رددت على السلام بقولك (وعليك رحمة الله) فقد شملتنى رحمة الله بفضلك يأمير المؤمنين

فقال الرشيد : وما عذرك من بعد ماظهر أن صاحبك يريد عبدالله ابن الحسن ، طغى علينا وبغى ، وأتبعه الأرذلون ، وكنت أنت الرئيس عليهم ؟

فقال الشافعى : أما وقد استنطقتنى يأمير المؤمنين فسأتكلم على العدل والانصاف ؛ لكن الكلام مع ثقل الحديد صعب ، فان جدت على بفكه عن قدمى ، جثيت على ركبتى ، كسيرة آبائى عند آبائك ، وأفصحت عن نفسى ، وإن كانت الأخرى ، فيدك العليا ، ويدى السفلى ، والله غنى حميد

فالتفت الرشيد إلى غلامه (سراج) وقال له : خلِّ عنه يا سراج فأخذ سراج مافى قدميه من الحديد ، فجثا الشافعى على ركبتيه وقال : قال الله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾

حاشا لله أن أكون ذلك الرجل ، لقد أفك المبلغ فيما أبلغك به

يأمير المؤمنين ، إن لى حرمة الإسلام ، وذمة النسب ، وكفى بهما وسيلة ، وأنت أحق من أخذ بأدب كتاب الله تعالى ، أنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذاب عن دينه ، المحامى عن ملته ،

فتهلل وجه الرشيد،ثم قال : ليفرخ روعك (ليزول فزعك) فانا نراعى حق قرابتك وعلمك ، ثم أمره بالقعود فقعد ، وأخذ الرشيد يسأله أسئلة فى علوم القرآن ، وهو يجاوبه بما أدهشه ، والحاضرين ، وسره سروراً عظيماً ، ثم قال له : عِظنى ياشافعى

فأخذ الشافعى يعظ الرشيد وعظاً تصعدت له القلوب التى فى الصدور ، حتى بكى الرشيد بكاءً شديداً ، فهاج الحاضرون ، فنظر إليهم الشافعى غضباً واستمر فى وعظه

ولما أفاق الرشيد من بكائه قال : أمرنا لك بصلة ألفى دينار ؛ فنهض الشافعى وقال : كلاً والله يأمير المؤمنين ، لايرانى الله عز وجل ، وقد سوّدت وجه موعظتى بقبول الجزاء عنها، ثم استأذن فى الانصراف فأذن له وخرج

لم يكن الشافعى بالرجل البسيط ، وإنما هو يدرى مقدار مسئولية الاعتذار عن عدم قبول صلة الخليفة

فبعد أيام قليلة طلب الإذن فى مقابلة الرشيد ، فأذن له . وفى هذه المرة أمر له الرشيد بألف دينار ، فتقبلها الشافعى ، ودعا لأمير المؤمنين

فضحك الرشيد وقال : ما أفطنك ، قاتل الله عدوك

ولما خرج الشافعى أمر الرشيد غلامه سراجا باتباعه حتى يرى ماذا يفعل بالمال ، فجعل الشافعى يفرق ذلك المال قبضة قبضة على رجال حاشية القصر ، حتى انتهى الى خارج القصر ومامعه إلّا قبضة واحدة ، فدفعها إلى سراج وقال له : انتفع بها . فرجع سراج الى الرشيد وأخبره بما رأى . فقال الرشيد : ألَا إن بنى المطلب مافارقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شرف ولا فى سخاء

حضوره مجلس العلماء ببغداد ومناظرته لهم

وأقام الشافعى فى بغداد بمجالس علماءها ، ويحضر عليهم ، كالإمام وكيع بن الجراح ، وأبى أسامة وغيرهما ، ويصنف التصانيف ، وأتم فيها وضع كتابه القديم ، وأقبلت عليه الناس ، وأصبحت حلقته أكبر الحلقات ، فأوغر ذلك صدور بعض علماء العراق ، وبخاصة قلوب المقربين منهم إلى الخليفة ، فاتفقوا فيما بينهم أن يضعوا عدة مسائل على شكل الألغاز التى توضع لمقياس قوة الذكاء عند الناس ، ثم يطرحونها على الشافعى أمام الخليفة فى مجلس المناظرة ليعجزوه . وكان الرشيد يحضر هذا المجلس للفكاهة والعلم

وبعد أن طرحوا عليه الأسئلة ، وأجاب عليها الشافعى أجوبة سديدةً ، تبسم الرشيد وقال : « أكثر الله فى أهلى مثلك » وأمر له بألفى دينار ، فتسلمها الشافعى وفرقها على خدم القصر وحاشيته كعادته رضى الله عنه

امتناعه عن تولية القضاء

على أثر هذه المناظرة أراد الرشيد أن يولى الشافعى قضاء اليمن ، فقال الشافعى :

أطال الله عمر أمير المؤمنين ، لاحاجة لى فى ذلك ؛ ولكن حاجتى أن يكون لى نصيب من سهم ذوى القربى فى مصر إن سمحت مكارمه

فقال الرشيد : هو كذلك إن شاء الله

مكانة الشافعى

ومن ذلك الحين أخذت مكانة الشافعى تزداد لدى الخليفة ، وأصبح فى بغداد موضع إكرام أمرائها وعلمائها وساداتها طول مدة إقامته فيها ، حتى بلغت الدرجة من احترامه أن مرض الإمام أحمد ابن حنبل (ولا يجهل أحد من هو أحمد بن حنبل وما هى مرتبته عند

أهل بغداد) فعاده الشافعى فى بيته ، فنزل ابن حنبل من سريره ، وأجلس الشافعى مكانه ، وجلس هو على الأرض يُسائله ساعة

ولما أراد الشافعى الانصراف أركبه ابن حنبل دابته ، ومشى تحت ركابه ، وهو مريض مخترقاً شوارع بغداد وأسواقها حتى أوصله الى بيته

إن هذه العظمة التى نالها الشافعى من علماء بغداد وعظمائها ، لم تكن لتثنى عزمه عن ديمقراطيته ومخالطة الجمهور، والوقوف على عاداتهم ومعاملاتهم ، حتى إذا رأى فى شيء منها نقصاً أو عيباً ألف التآليف ، وصنف التصانيف ، حتى أن الإمام أبا يوسف نفسه قال له :

« أنت أولى من يصنف فى هذا الزمان ياشافعى »

وقد ألف كتاباً فى أربعين مجلداً وسمَّاه (الزعفران) وعرف هذا الكتاب بالحجة وهو أحد الكتب القديمة التى وضعها الشافعى بالعراق

عودته الى مكة

بعد ذلك رأى الشافعى أن يرجع الى مكة ، فسافر اليها حوال سنة ١٨١ هـ وضرب خباءه فى ظاهرها، فخرجت اليه أهل مكة للسلام عليه ، فقسم بينهم ماجاء به من العراق من ذهب وفضة ، عملا بوصية أمه له كلما جاء الى مكة . وهكذا دخل الشافعى مكة فارغاً كما خرج منها

فارغًا ، وأقام فى مكة سبع عشرة سنة يعلم الناس العلم ، و ينشر مذهبه بين الحجاج وهم ينقلونه عنه الى بلادهم .

وفى خلال السبع عشرة سنة هذه مات الإمام أبو يوسف فى سنة ١٨٢ ﻫ ، ومات بعده بست سنوات الامام محمد بن الحسن سنة ١٨٨ﻫ ومات بعده بخمس سنوات الخليفة هارون الرشيد سنة ١٩٣ ﻫ وقيل بعده بخمس سنوات ابنه الأمين سنة ١٩٨ ﻫ ، وانفرد بالخلافة الخليفة المأمون فى هذه السنة واشتهر عنه حبه للعلويين وعطفه عليهم

عودته الى بغداد

فرأى الشافعى أن يعود الى بغداد ، فعاد اليها فى تلك السنة ، وهى سنة ١٩٨ ﻫ وأقام فيها شهراً واحداً ، وكان يلقى دروسه فى جامعها الغربى ، وكانت حلقات العلماء فى هذا الجامع تربو على العشرين حلقة ، فأصبحت ثلاثًا فقط ، وانضم الباقون إلى حلقة الإمام الشافعى

سفره الى مصر

وصادف أن غضب المأمون على عامله فى مصر ، وكان المطلب بن عبد الله، فأمر بعزله وتولية العباس بن موسى مكانه، وهو أحد رجال بنى العباس ، فرأى الشافعى السفر من بغداد الى مصر مع العباس بن موسى

فخرج أهل بغـداد لوداعه ، وفى مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل فمسك الشافعى بيد ابن حنبل ساعة الوداع وقال :

« لقد أصبحت نفسى تتوق الى مصر
ومن دونهـا أرض المهامة والقفر »

« فوالله لا أدرى ألعز والغنى
أساق اليها أم أساق إلى القبر ؟ »

وكأن الشافعى أحس بأنه سيموت فى مصر ، وأن قبره سيكون فى مصر فبكى ، وبكى لفراقه ابن حنبل والمودعون ، وعاد ابن حنبل وهو يقول لأهل العراق : لقد كان الفقه قفلاً ففتحه الله بالشافعى

ورافق الشافعى فى رحلته هذه الى مصر الربيع بن سليمان المراوى وعبد الله بن الزبير الحميدى وغيرهما

وفى ٢٨ شوال سنة ١٩٨ دخل الشافعى مصر مع العباس بن موسى الذى أراد أن ينزله فى داره فاعتذر ونزل عند أهله من بنى أزد ، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم لمـا دخل المدينة المنورة ونزل عند أخواله من بنى النجار

وفى الصباح دخل على الشافعى عبد الله بن الحكم ، وكان من كبار علماء مصر وأعيانها ، وممن أملى عليهم الشافعى الموطأ فى المدينة ، فرآه

مخضباً شعره بالحمرة ، طويل القامة ، جهورى الصوت ، كلامه حجة فى اللغة ، عليه دلائل الشجاعة والفراسة ، قليل لحم الوجـه ، مستطيل الخدين ، طويل العنق ، طويل عظم العضد والساعد والفخذ والساق ، ورأى فى يده اليسرى خاتماً منقوشا عليه : « وكفى بالله ثقة لمحمد بن إدريس » فسلم عليه ، فرد عليه الشافعى السلام ، ثم وضع عبد الله بن عبد الحكم بين يدى الشافعى أربعة آلاف دينار ، منها ألف من عنده وثلاثة آلاف من عند أعيان مصر وتجارها ، فشكر له الشافعى جميله وإكرام المصريين له

القاء دروسه فى جامع عَمرو

وابتدأ الشافعى رضى الله عنه فى القاء دروسه بجامع عَمرو بن العاص من بعد صلاة الصبح إلى الظهر ، ثم يأخذ عصاه وينصرف إلى داره ومعه بعض تلاميذه (كالمزنى والربيع الجيزى ومحمد بن عبـد الله بن عبد الحكم) ويقول : الدنيا دار سفر ، ولابد للمسافر من العصا

وهو أول من سن سنة العمل فى مصر الى الظهر ، وكان يعمل فى المسجد ثمانى ساعات ، أى من الساعة الرابعة صباحاً الى الثانية عشرة ، وكان يطلق لتلاميذه الحرية فى التفكير فى أدلة المسائل وبراهينها ،

ويقول لهم : إذا ذكرت لكم دليلاً أو برهانًا لم تقبله عقولكم فلا تقبلوه ؛ لأن العقل مضطر لقبول الحق

وكانت العلماء تسمع منه فى الجامع ، وعلى باب داره ، إلّا محمد بن عبد الحكم ، فانه كان يصعد إلى أعلى الدار ، وربما تغدى مع الشافعى ، وإذا نزل أركبه دابته وأتبعه بصره حتى يغيب ، فاذا غاب كان يقول : « وَددت لو أن لى ولداً مثله ، وعلى ألف دينار لا أجدها وفاء »

وكانت العلماء تحضر على الشافعى رجالًا ونساءً كنظام جامعات أوروبا الآن ، ولم يكن هناك حرج من هذا النظام اذ ذاك ، لوجود العفة والحياء بين الرجال والنساء

مَن نبغ من المصريين والمصريات على يديه

ونبغ على الشافعى كثير من المصريين والمصريات ، فمن الرجال : الربيع الجيزى ، وحرملة ، والمزنى ، والبويطى ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وغيرهم ، وكلهم صاروا أئمة فى الدين أساتذة فى الأدب

ومن النساء كثيرات كذلك ، كالسيدة أخت المزنى التى أخذ عنها العلماء ودرج اسمها فى جدول كبار فقهاء الشافعية رضى الله عنها

وكان الربيع الجيزى أكثر الناس ملازمة للإمام الشافعى رضى الله عنه ، وقد سمى باسمه شارع فى الجيزة ، وقبر الربيع لم يزل موجودا

الى وقتنا هـذا فى داخل شونة من شون الغلال التى على النيل فى جنوب بندر الجيزة

تآليف الشافعى

وضع الشافعى فى مصر كتبه الجديدة ، وكانت نحو عشرين مجلداً : منها كتابه الجديد ، وكان يدرس فيه مذهبه بمسجد سيدنا عَمرو بن العاص رضى الله عنه . و « كتاب الأم » وقد طبعه المرحوم أحمد بك الحسينى « وهو من أجل الـكتب فى أصول الفقه جمع بين حجة المأخذ وبين متانة العبارة ، فهو الأم الولود حقيقة لـكل حقيقة فى علم الفقه ومعرفة الأحكام » والاملاء الصغير ، والأمالى الـكبرى ، ومختصر الربيع ، ومختصر المزنى ، ومختصر البويطى وكتاب الرسالة ، وكتاب الجزية وغيرها من كتب التفسير والأدب

ووضع وهو فى مصر علم أصول الفقه ، وهو أول من وضع هذا العلم .

مناقبه

١ — زهده — كان رضى الله عنه زاهداً فى دنياه ، مقتصداً فى لبسه ، يلبس الثياب الرفيعة من الـكتان والقطن البغدادى ، وكان ربما يلبس قلنسوة ليست مشرفة جداً ، ويلبس العمامة والخف

وكان يعيش وهو فى مصر على ما كان مرتبًا له من جهـة السيدة نفيسة رضى الله عنها ، وعلى ما كانت ترسله اليه السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد من بغداد من نقود وثياب وشى ، وكان يقسمها كلها بين الناس كعادته

٢ – ورعه – مما يدل على ورعه رضى الله عنه أن عبد القاهر بن عبد العزيز ، وكان رجـلا صالحًا ورعاً سأل الشافعى عن مسائل فى الورع والشافعى يقبل عليه لورعه

فقال للشافعى : أيما أفضل ؟ الصَّبْرُ أو المحبة أو التمـكين ؟

فقال الشافعى رضى الله : التمـكين درجـة الأنبياء ، ولا يكون التمـكين إلاَّ بعـد المحبة فاذا امتحن وصبر مكن ، ألَا ترى أن الله سبحانه وتعالى امتحن ابراهيم عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكا ، والتمكين أفضل الدرجات .

وكان يقول رضى الله عنه فى الورع :

« المرء إن كان عاقلاً وَرِعاً   أشغله عن عيوب غيره ورعه »

« كما العليل السقيم أشغله   عن وجع الناس كلهم وجعه »

٣ – تقواه وخوفه من الله تعالى – كان رضى الله عنه تقيًا يخاف

الله فلا يرتكب خطيئة ، ولا يقع فى منكر ، وقيل : انه قرأ بعضهم عنده يوما قوله تعالى :

﴿ هَذَا يَوْمُ لاَيَنْطِقُونَ وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾

فتغير لونه ، واقشعر جلده ، واضطربت مفاصله ، وخرَّ مغشياً عليه فلما أفاق قال : أعوذ بك من مقام الكاذبين ، واعراض الغافلين ، اللّهم لك خضعت قلوب العارفين ، وذلت هيبة المشتاقين ، إلهى هب لى جودك وجَلّلْنى بسترك ، واعف عنى فى تقصيرى بكرمك

فاذا كان هذا خوف الشافعى من الله مع علمه به فكيف حالك أيها الانسان مع جهلك بجميل صفاته ؟

ويل للجاهلين الغافلين ! وويل ثم ويل للقاسية قلوبهم

وقال عبد الله بن محمد البكرى : كنت مع الإمام الشافعى رضى الله عنه بشط بغداد فرأى شاباً يتوضأ فقال له : ياغلام أحسن وضوءك أحسن الله اليك فى الدنيا والآخرة ، ثم مضى

فأسرع الشاب فى وضوئه ثم لحق بالإمام الشافعى ولم يعرفه فالتفت اليه الإمام وقال له : هل لك من حاجة ؟ قال : نعم ، فعلمنى مما علمك الله

فقال له : اعلم أن من عرف الله نجا ، ومن أشفق على دينه سلم من الردى ، ومن زهد فى الدنيا قرّت عيناه بما يراه من ثواب الله غداً ، أفلا أزيدك ؟ قال : بلى . قال : من كانت فيه ثلاث خصال فقد

استكمل الايمان : من أمر بالمعروف وأتمر به ، ونهى عن المنكر وانتهى عنه ، وحافظ على حدود الله تعالى، ألا أزيدك ؟ قال : بلى .قال : كن فى الدنيا زاهداً، وفى الآخرة راغباً،واصدُق الله فى جميع أمورك تنج به غداً مع الناجين ، ثم مضى

فسأل الشاب عنه ، فقيل له : هـذا الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وكان يقول : وَددت لو أن الناس انتفعوا بهذا العلم ولم ينسب الى منه شىء

وقال أيضاً رضى الله عنه : ماناظرت أحـداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله عز وجل ، وما كلمت أحداً قط إلَّا لا أبالى أن يبين الله تعالى الحق على لسانى أو على لسانه

وقال أيضاً : ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها منى إلا هبته واعتقدت مودته ، ولا كابرنى أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عينى ورفضته

مثال من تقواه وتوحيده لله – روى سويد بن سعيد رحمه الله قال: كان الشافعى رضى الله عنه جالساً بعد صلاة الصبح فى المسجد النبوى إذ دخل عليه رجل فقال له : إنى أخاف من ذنوبى أن أقدم على ربى وليس لى عمل غير التوحيد

فقال له الإمام الشافعى رضى الله عنه : يامؤمن لو أراد الله عز وجل

أن يُؤْيسك (يحل بك اليأس) من المسامحة لديه . لمـا أحالك فى مغفرة الذنوب عليه ، حيث قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ ﴾

ولو أراد عقوبتك فى جهنم وتخليدك فى النار لمـا ألهمك معرفتك به وتوحيدك إياه ، ثم أنشد فقال :

« إن كنت تغدو فى الذنوب جليداً

وتخاف فى يوم المعـاد وعيداً »

« فلقد أتاك من المهيمن عفوه

وأباح من نعم إليك مزيدا »

« لاتيأسن مِن لاطف بك فى الحشا

فى بطن أمك مضغةً ووليـدا »

« لو شاء أن تصلى جهنم خالداً

ما كان ألهم قلبـك التوحيدا »

فبكى الرجل ، وأقبل على العبادة ، وفرح بكلامه رضى الله عنه

مثال من أدعيته — روى عبد الله بن مروان قال : كنت أجلس فى حلقة العـلم عند الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وأ كتب ما أفهمه ، فجئته سحراً فوجدته فى المسجد وهو قائم يصلى ؛ فجلست حتى فرغ من صلاته ، ثم دعا بدعوات حفظتها منه . فكان من جملة ذلك : « اللّهم

امنن علينا بصفاء المعرفة ، وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا و بينك على السنة ، وارزقنا صدق التوكل عليك ، وحسن الظن بك ، وامنن علينا بكل مايقربنا اليك ، مقرونا بالعفو فى الدارين برحمتك يا أرحم الراحمين »

قال : فلما فرغ من دعائه خرج من المسجد وخرجت خلفه فوقف ينظر الى السماء وهو يتمثل بهذه الأبيات :

« بموقف ذلى دون عزتك العظمىٰ

بمخفى سر لا أحيط به علما »

« باطراق رأسى باعترافى بزلتى

بمد يدى أستمطر الجود والرحما »

« بأسمائك الحسنىٰ التى بعض وصفها

لعزتها تستغرق النثر والنظما »

« بعهد قديم من ألست بربكم

بمن كان مجهولا فعلمته الاسما »

« أذقنا شراب الأُنس يامن اذا سقى

محبًا شرابًا لايضام ولا يظما »

مثال آخر من دعائه — من جملة دعائه رضى الله عنه الذى دعا به حين دخل على الرشيد : اللّهم إنى أعوذ بنور قدسك ، وعظمة طهارتك ،

وبركة جلالك ، من كل آفة وعاهة وطارق من الإنس والجن إلاَّ طارقاً يطرق بخير .

اللّٰهم أنت عياذى بك أعوذ ، وأنت ملاذى بك ألوذ ، يامن ذلَّت له رقاب الجبابرة ، وخضعت له مقاليد الفراعنة ، أعوذ بجلالك وكرمك من خزيك ، وكشف سترك ونسيان ذكرك ، والانصراف عن شكرك ، أنا فى كنفك فى ليلى ونهارى ، وظعنى وإسفارى ، ذكرك شِعارى ، وثناؤك دِثارى ، لا إلٰه إلا أنت تنزيهاً لاسمك ، وتكريماً لسبحات وجهك ، أجرنى من خزيك ومن شر عذابك ، وقنى سيئات مكرك واضرب علىَّ سرادقات حفظك ، وادخلنى فى حفظ عنايتك برحمتك يا أرحم الراحمين .

عفته عن اللغو وفحش الكلام — كان الشافعى رضى الله عنه عفيفاً عن اللغو وفحش الكلام ، فيحكى أنه مرَّ يوماً برجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت اليه الشافعى وقال : نزهوا أسماعكم عن سماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به ، فان المستمع شريك القائل ، وإن السفيه لينظر الى أخبث شىء فى وعائه ، فيحرص أن يفرغه فى أوعيتكم ، ولوردت كلمةُ السفيه لشقى رادها كما يشقى قائلها :

وكان ينشد ويقول :

« يخاطبنى السفيه بكل قبح فأكره أن أكون له مجيباً »
« يزيد سفاهةً فأزيد حلماً كعود زاده الإحراق طيبا »

وقال رضى الله عنه :

« إذا سبنى نذل تزايدت رفعة وما العيب إلَّا أن أكون مسابه »
« ولو لم تكن نفسى علىَّ عزيزة لمكنتها من كل نذل تحاربه »

وقال رضى الله عنه :

« قل بما شئت فى مَسَبّة عرضى فسكوتى عن اللئيم جوابْ »
« ما أنا عادم الجواب ولكن مامن الأسد أن تجيب الكلابْ »

عزة نفسه — لم يكن فى نظره شىء أحط من أن يذل المرء نفسه لمنصب يتولاه ، أو مرتب يتقاضاه ، مع أنه فى هذه الحياة الدنيا يكفيه للمعيشة كِسرة ، وبعد الموت حفرة

وكان يقول :

« أمطرى لؤلؤاً جبال سرنديب وفيضى آبار تكرور تبرا »
« أنا ماعشت لست أعدم قوتا واذا مت لست أعدم قبرا »
« همتى همة الملوك ونفسى نفس حرّ ترى المذلة كفرا »
« واذا ماقنعت بالقوت عمرى فلماذا أزور زيداً وعمرا »

ويحكى أنه دخل على الإمام الشافعى طالب بعد انتهاء الدرس

وقال له : أوصنى ، فقال له الشافعى : يا بُنى خَلقك الله حرًّا فكن كما خَلقك الله

قناعته – كان رضى عنه يرى الحرية الصحيحة فى القناعة ، والذل كل الذل فى الطلب والسؤال فيقول :

« العبد حرٌّ إن قنعَ والحرُّ عبد إن قنِع »

ويقول :

« رأيت القناعة رأس الغنى فصرت بأذيالها متمسك »
« فلا ذا يرانى على بابه ولا ذا يرانى به منهمك »
« فصرت غنياً بلا درهم أمرُّ على الناس شبه الملك »

قال الربيع : قال عبد الله بن عبد الحكم للشافعى : إذا أردت أن تسكن البلد يعنى (مصر) فليكن لك قوت سنة ، ومجلس من السلطان تتعزز به

فقال له الشافعى : يا أبا محمد، من لم تعزه التقوى فلا عزَّ له ، ولقد ولدت بغزة ، وربيت بالحجاز ، وما عندنا قوت ليلة ، وما بتنا جياعاً قط ، وكان يقول :

« إذا أصبحت عندى قوت يومى فخل الهَمَّ عنى يا سعيد »
« ولا تخطر هموم غد ببالى فان غداً له رزق جديد »
« أسلم إن أراد الله أمراً وأترك ما أريد لما يريد »

وكان يقول :

« قنعت بالقوت من زمانى   وصنت نفسى عن الهوان »

« خوفاً من الناس أن يقولوا   فضل فلان على فلان »

« ومَن كنت عن ماله غنياً   فلا أبالى إذا جفانى »

« ومَن رآنى بعـين نقص   رأيته بالذى رآنى »

« ومَن رآنى بعـين تِمٍّ   رأيته كامل المعـانى »

كرمه وسخاؤه — أحبـه المصريون لـكرمه ومروءته ، وصدق رؤياه ، ولعلمه وفضله وتقواه ، ولقربه من نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمن كرمه، أنه خرج يوم وقفة العيد الـكبير من مسجد سيدنا عَمرو ابن العاص مع تلميذه المزنى ، ولمـا وصل الى البيت رأى غلاماً ينتظره لدى الباب ومعه كيس مملوء بالنقود ، فتقدم الغلام إلى الشافعي وقال له : يقُرئك سيدى السلام ، ويقول لك : خذ هذا الـكيس

أخذ الشافعى الـكيس ، ووضع قدمه على سلم الدار يريد الصعود ، فخرج له رجل من أهل الفسطاط وقال له : وضعت إمرأتى الساعة ، ولم يكن معنا شىء ، فناوله الشافعى الـكيس بما فيه ، ودخل هو بيته ولم يكن معه شىء

وأخرج البيهقى من طريق الحسن بن حبيب قال : سمعت الربيع يقول : رأيت الشافعى ركب حماراً فمر على سوق الحذائين (صانعى الأحذية) فسقط سوط من يده فوثب غلام من الحذائين فمسح السوط بكمه وناوله إياه ، فقال الشافعى لغلامه : ادفع تلك الدنانير التى معك لهذا الفتى ، قال : ما أدرى إن كانت تسعة أو سبعة

وروى الحميدى : أن الشافعى رضى الله عنه خرج الى اليمن فى بعض أشغاله ثم انصرف الى مكة ومعه عشرة آلاف درهم ، فضرب خيمة خارج مكة ، فكان الناس يأتونه فما برح من مكانه حتى فرقها جميعها

برّه بأقاربه — كان بارًّا بأقاربه، يحترمهم ، ولا يتكبر عليهم، وكان يقول : أظلم الظالمين لنفسه الذى إذا ارتفع جفا أقاربه ، وأنكر معارفه ، واستخف بالأسواق ، وتكبر على ذوى الفضل

مواساته وتفقده للفقراء — كان لا يأتى عليه يوم إلَّا يتصدق فيه ، وكان يتصدق بالليل ولا سيما فى رمضان، ويتفقد الفقراء والضعفاء، وكان نفقته على أهله مايتعارف من سعة التجار وأهل الفضل ، وكان أكرم الناس مجالسة

حلمه وعفوه — كان رضى الله عنه عفواً حليماً لمن أساء اليه ، يقابل السيئة بالحسنة ، ولا يضمر حقداً لأحد ، وفى ذلك يقول :

« لما عفوت ولم أحقد على أحد   أرحت نفسى من هم العداوات »

« إنى أحيى عدوى عند رؤيته   لأدفع الشر عنى بالتحيات »

« وأظهر البشر للانسان أبغضه   كأنه قد حشى قلبى مودات »

ثناء النـاس عليه _ قال هارون بن سعيد : مارأيت مثل الشافعى قط ، ولقد قدم علينا مصر ، فقالوا: قدم علينا رجل من قريش فقيه ، فجئناه وهو يصلى ، فمـا رأيت أحسن منه وجهاً ، ولا أحسن صلاة ، فافتتنا به ، فلما قضى صلاته تكلم ، فما رأينا أحسن منه منطقاً ، وكان يتكلم فى الحقيقة ، وفى الزهد ، وفى أسرار القلوب ، وكان يقول :

كيف يزهد فى الدنيا من لايعرف قدر الآخرة ؟

وكيف يسلم من لايسلم الناس من لسانه ويده ؟

وكيف ينطق بالحكم من لايريد بقوله وجه الله عز وجل ؟

وسأله بعض الناس عن الرياء فقال له : أنت إذا خفت على نفسك العجب فانظر طلب رضا مَن تطاب ، وفى أى نعيم ترغب ، ومَن أى عقاب ترهب ، وفى أى عافية تشكر ، وأى بلاء تذكر ؟

ثناء الإمام أحمد بن حنبل على الإمام الشافعى

اتفق أن الإمام الشافعى بات عند الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنهما . وكانت بنت الإمام أحمد تسمع كثيراً عن الشافعى ، وكان

أبوها يعظمه جداً ، فكانت تودُّ لو رأت الشافعى ، فلما نزل عند أبيها فرحت لعلها ترى أفعاله الطيبة العظيمة ، أو تسمع أقواله الكريمة

ولما كان الليل ، قام الإمام أحمد الى الصلاة وذكره كعادته ، والإمام الشافعى مستلق على ظهره (نائم على ظهره) والبنت ترقبه الى الفجر ، فجاءت الى أبيها الإمام أحمد وقالت له : رأيتك تعظم الشافعى ، وما رأيت له فى هذه الليلة صلاةً ولا ذكراً ولا ورداً ؛ وبينما هم فى الحديث إذ قام الإمام الشافعى ، فقال له الإمام أحمد : كيف كانت ليلتك ؟ فقال : مارأيت ليلة أطيب منها ، ولا أبرك ولا أربح ، فقال : كيف ذلك ؟ فقال الشافعى : لأنى رتبت فى هذه الليلة مائة مسألة وأنا مستلق على ظهرى كلها فى منافع المسلمين ، ثم ودعه ومضى

فقال الإمام أحمد بن حنبل لابنته : هذا الذى عمل الشافعى الليلة وهو نائم أفضل مما عملته وأنا قائم

(المغزى) العالم الذى يشتغل بالعلم لينفع الناس أفضل من العابد الذى يعبد ويذكر ، وأن طلب العلم قد يفضل العبادة

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : ماصليت صلاةً منذ أربعين سنة إلَّا وأنا أدعو للشافعى

فقال له ابنه : يا أبت ، أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء ؟

فقال الإمام أحمد بن حنبل : يابنى ، الشافعى كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن ، فانظر يا بنى هل من هذين خلف ؟

وقال عبد الملك بن عبدالحميد الميمونى : كنت عند أحمد بن حنبل وجرى ذكر الشافعى، فرأيت أحمد يعظمه وقال : بلغنى، أو قال: يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم : أن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلاً يقيم لها أمر دينها ، فكان عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى ، وأرجو أن يكون الشافعى على رأس المائة الأخرى

مرضه – أقام الشافعى فى مصر خمس سنين وتسعة أشهر من ٢٨ شوال سنة ١٩٨ هـ الى ٢٩ رجب سنة ٢٠٤ هـ يعلم الناس، ويؤلف كتبه الجديدة السالفة الذكر، وينشر مذهبه بين الناس

وفى نهاية هذه المدة أصابه نزف شديد بسبب داء (البواسير) حيث بلغت به الدرجة أنه إذا ركب الدابة ملأ الدم سراويله والسرج وربما وصل الى الخفين

ولما اشتد به الضعف لازم بيته فزاره تلميذه المزنى فوجد أهله وقد ثقبوا له السرير ووضعوا تحته الطشت ليجتمع الدم فيه ، فسأله عن حاله فقال : أصبحت والله لا أدرى أروحى تساق الى الجنة فأهنئها ،

أو الى النار فأعزيها ، ثم رفع بصره الى السماء وقال :

« ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى جعلت رجائى نحو عفوك سلّما »

« تعـاظمنى ذنبى فلما قرنته بعفوك ربى كان عفوك أعظما »

وبعـد ذلك نظر إلى من حوله من أهله وقال لهم : إذا أنا مُتُّ فاذهبوا الى الوالى واطلبوا اليه أن يغسلنى

وفاته – فى ليلة الجمعة الأخيرة من شهر رجب سنة ٢٠٤ هـ ، وبعد العشاء الأخيرة فاضت روحه الطاهرة إلى ربها راضية مرضية بين يدى تلميذه الربيع الجيزى

وما انتشر خـبر نعيه فى مصر إلَّا وقد عم أهلها الحزن والأسى وخرجت الناس من بيوتهم يريدون حمله فوق أعناقهم من شدة هول المصاب

أصبح يوم الجمعة ٣٠ رجب سنة ٢٠٤ هـ ولا حديث للناس إلَّا طلب الرحمة والرضوان للراحـل الـكريم ، وذهب أهله الى الوالى ، وكان محمد بن السرى بن الحـكم ، وطلبوا اليه الحضور لتغسيل الإمام الشافعى كما أوصى ، فقال لهم الوالى : هل ترك الإمام ديناً ؟ قالوا : نعم . فأمر الوالى بسداد ذلك الدين كله ، ثم نظر اليهم وقال لهم : هـذا معنى تغسيلى له (أى براءة ذمته من دينه)

جنازته ودفنه – وبعد صلاة العصر خرجت الجنازة من بيت الشافعى

مخترقة شوارع الفسطاط وأسواقها ، حتى اذا ماوصلت الى درب السباع وهو شارع السيدة نفيسة الآن ، أمرتهم السيدة نفيسة رضى الله عنها بادخال النعش الى بيتها ، فأُدخل النعش ، ونزلت هى الى فناء الدار وصلت عليه صلاة الجنازة وقالت : رحم الله الشافعى إنه كان يُحسن الوضوء

واستمرت الجنازة سائرة إلى أن وصلت الى القرافة الصغرى حيث تربة بنى زهرة وهم أولاد عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، وعرفت بتربة أولاد بن عبد الحكم ، وفيها دفن الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وعرفت بعد دفنه بتربة الشافعى الى وقتنا هذا

تأبينه — ورثى الشافعى خلق كثير يوم وفاته منهم تلميذه المزنى حيث قال :

« لقد كان كفؤاً للعداة ، وركناً لهذا الدين أيما ركن »

وبعد وفاته رثاه أبو بكر محمد بن دريد صاحب المقصورة المشهورة بقصيدة عصماء قال فيها :

« تسربل بالتقوى وليداً وناشئاً وخصَّ بلب الكهل مذ هو يافع »

« فمَن يك علم الشافعى أمامه فمرتعه فى ساحة العلم واسع »

« سلام على قبر تضمن جسمه وجادَت عليه المدجنات الهوامع »

« لئن فجعتنا الحادثات بشخصه وهن لما حكمن فيه فواجع »

« فأحكامه فينا بدور زواهر وآثاره فينا نجوم طوالع »

وعاد المشيعون وقد رأوا هلال شعبان وقد بدا فى السماء

ولازم أهل مصر زيارة قبره رضى الله عنه أربعين يوماً بلياليها ، وكان الزائر لايصل الى القبر إلّا بشِق الأنفس من كثرة الزحام

ولما آل ملك مصر الى صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٦٧ ﻫ أمر ببناء مدرسة لتدريس مذهب الشافعى بجوار قبره فبنيت (المدرسة الناصرية ، أو الصلاحية) نسبة الى صلاح الدين ورتبت لها الأساتذة والمدرسون ، وأوقفت عليها أرض (جزيرة الفيل) وهى منطقة (جزيرة بدران) بشبرا الآن

ولما مات العزيز عثمان بن صلاح الدين وأمه شمسة دفنا بجوار تربة الشافعى فى سنة ٥٩٥ ﻫ

نبذ من بليغ كلامه نثراً

له رضى الله عنه كلام منثور كثير جداً لو جمع لكان كتاباً على حدة فلنذكر نبذاً منه لاحتوائه على الحكمة والموعظة الحسنة

قال رحمه الله : سياسة الناس أشد من سياسة الدواب

إن للعقل حداً ينتهى اليه ، كما أن للبصر حداً ينتهى اليه

للمروءة أربعة أركان : حسن الخلق ، والسخاء ، والتواضع ، والشكر

لايكمل الرجل فى الدنيا إلاَّ بأربع : الديانة ، والأمانة ، والصيانة ، والرزانة

الانبساط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء ، والانقباض عنهم مكسبة للعداوة ، فكن بين المنقبض والمنبسط

ما أكرمت أحداً فوق مقداره إلا اتضع من قدرى عنده بمقدار ما أكرمته

مانظر الناس الى مَن هم دونه إلا بسطوا ألسنتهم فيه

ثلاثة إن أهنتهم أكرموك ، وإن أكرمتهم أهانوك : المرأة ، والعبد ، والفلاح

من حضر مجلس العلم بلا محبرة وورق كان كمن حضر الطاحون بغير قمح

أصل كل عداوة الصنيعة الى الأنذال

من أحسن ظنه بلئيم كان أدنى عقوبته الحرمان

صحبة من لايخاف العار عار يوم القيامة

أظلم الظالمين لنفسه ، من تواضع لمن لايكرمه ، ورغب فى مودة من لاينفعه ، (وقيل : مدح من لايعرفه)

طبع ابن آدم على اللؤم ، فمن شأنه أن يتقرب ممن يتباعد عنه ،

ويتباعد ممن يتقرب منه .

من برّك فقد أوثقك ، ومن جفاك فقد طلقك

خير الدنيا والآخرة فى خمس خصال : غنى النفس ، وكف الأذى ، وكسب الحلال ، ولباس التقوى ، والثقة بالله فى كل حال

الشفاعات ، زكاة المروءات ـ أصحاب المروءات فى جهد

مثل الذى يطلب العلم بلاحجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لايدرى . ليس العلم ماحفظ إنما العلم مانفع

رتبة العلماء التقوى ، وحليتهم حسن الخلق ، وجمالهم كرم النفس

من لايحب العلم لاخير فيه ، ولا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة

من أظهر شكرك بما لم تأت اليه ، فاحذر أن ينكر نعمتك فيما أتيت اليه

من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً

ليس سرور يعدل صحبة الاخوان ، ولا غمّ يعدل فراقهم

لاتقصر فى حق أخيك اعتماداً على مروءته

إنك لاتقدر أن ترضى الناس كلهم ، فأصلح مابينك وبين الله ، ثم لاتبال بالناس

من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان

التلطف فى الحيلة ، أجدى من الوسيلة

لاتشاور من ليس فى بيته دقيق

ترك العبادة ذنب مستحدث

ليس من المروءة أن تخبر الرجل بسنه

من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن نظر فى الفقه نبل قدره ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر فى اللغة رق طبعه ، ومن نظر فى الحساب جزل رأيه ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه

من نمّ لك نمّ بك ، ومن نقل اليك نقل عنك ، ومن إذا أرضيته قال فيك ماليس فيك كذلك إذا أغضبته قال فيك ماليس فيك

ليس العاقل الذى يدفع بين الخير والشر فيختار الخير، ولكن العاقل من عَقله عقله عن كل مذموم

ما أوردتُ الحق والحجة على أحد فقبلها منى إلّا هبته واعتقدت مودته ، ولا كابرنى على الحق أحد ودفع الحجة إلّا سقط من عينى

أشد الأعمال ثلاثة : الجود من قلة ، والورع فى خلوة ، وكلمة الحق عند من يرضى ويخاف

من طلب الرياسة فى غير حينها لم يزل فى ذل مابقى

وددت أنى إذا ناظرت أحداً أن يظهر الحق على يده

تفقه قبل أن ترأس ، فاذا رأست فلا سبيل الى التفقه

من طلب الرياسة فرّت منه

من سامى بنفسه فوق مايساوى ردَّه الله الى قيمته

أكثر الناس فضلا من لا يرى فضله

نبذ من عيون شعره مما ثبت بالأسانيد الجيدة

للشافعى رضى الله عنه شعر كثير فمن ذلك قوله فيما أنشده البيهقى بسند له :

« لاخير فى حشو الكلا م إذا اهتديت الى عيونه »

« والصمت أجمل بالفتى من منطق فى غير حينه »

« وعلى الفتى لطباعه سمة تلوح على جَبينه »

وأنشد له الرياشى فيما سمعه منه وأسنده البيهقى عن الرياشى :

« المرء يخطى ثم يعلو ذكره حتى يزين بالذى لم يفعل »

« وترى الشقى إذا تكامل عيبه يشقى وينحل كل مالم يعمل »

وله :

« ومن الشقاوة أن تحبَّ ومن تحب يحب غيرك »

« أو أن تريد الخير للإنسان وهو يريد ضيرك »

ذكر المزنى أن الشافعى رضى الله عنه أخذ بيده فقال :

« أحبّ من الإخوان كلّ موات وكل غضيض الطرف عن عثراتى »

« يصاحبنى فى كل أمر أحبه ويحفظنى حيًّا وبعد وفاتى »

« فمن لى بهذا ليت أنى أصبته فقاسمته مالى مع الحسنات »

وعن المزنى أن الشافعى رضى الله عنه أملى عليه :

« وأكثر من الإخوان ما اسطعت أنهم

بطون إذا استنجدتهم وظهور »

« وليس كثير ألف خِل لعاقل

وإن عدوًّا واحداً لكثير »

وقال رضى الله عنه :

« ثلاثة هن مهلكة الأنام وداعية الصحيح إلى السقام »

« دوام مدامة ودوام وطء وإدخال الطعام على الطعام »

وقال رضى الله عنه :

« إذا لم أجد خِلاًّ تقيًّا فوحدتى ألذ وأشهى من غوىٍّ أعاشره »

« وأجلس وحدى للعبادة آمنا أقرُّ لعينى من سفيه أحاذره »

وقال رضى الله عنه :

« الدهر يومان ذا إمن، وذا خطر والعيش عيشان، ذاصفو، وذا كدر »

« أما ترى البحر تعلو فوقه جيف ويستقر بأقصى قاعه الدرر »

« وفى السماء نجوم لاعداد لها وليس يكسف إلَّا الشمس والقمر »

وقال رضى الله عنه :

« العلم مغرس كل فخر فافتخر واحذر يفوتك فخر ذاك المغرس »
« واعلم بأن العلم ليس يناله من همه فى مطعم أو ملبس »
« إلَّا أخو العلم الذى يعنى به فى حالتيه عاريًا أو مكتسى »
« فاجعل لنفسك منه حظًا وافراً واهجر له طيب الرقاد وعبس »
« فلعل يومًا إن حضرت بمجلس كنت الرئيس وفخر ذاك المجلس »

وقال :

« كلما أدبنى الدهـــر أرانى نقص عقلى »
« وإذا ما ازددت علمًا زادنى علمًا بجهلى »

وقال رضى الله عنه فى الدعاء وطلب العفو والمغفرة :

« ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى جعلت الرجا منى لعفوك سلّما »
« تعاظمنى ذنبى فلما قرنته بعفوك ربى كان عفوك أعظما »
« فلله در العارف الندب انه تسحّ لفرط الوجد أجفانه دما »
« يقيم إذا ما الليل مدّ ظلاله على نفسه من شدة الخوف مأتما »
« فصيحًا إذا ما كان فى ذكر ربه وفى ماسواه فى الورى كان معجما »
« ويذكر أيامًا مضت من شبابه وما كان فيها بالجهالة أجرما »
« فصار قرين الهمّ طول نهاره ويخدم مولاه إذا الليل أظلما »
« يقول حبيبى أنت سؤلى و بغيتى كفى بك للراجين سؤلا ومغنما »

« ألست الذى غذيتنى وكفلتنى ولا زلت منانا علىَّ ومنعما »
« عسى مَن له الإحسان يغفر زلتى ويسترُ أوزارى وما قد تقدما »

وقال رضى الله عنه فى العفة وعدم ارتكاب الزنا :

« عفوا تعف نساؤكم فى المحرم وتجنبوا مالا يليق بمسلم »
« إن الزنا دين فان أقرضته كان الوفا من أهل بيتك فاعلم »
« ياهاتكاً حرم الرجال وقاطعاً سبل المودة عشت غير مكرم »
« لو كنت حرًّا من سلالة ماجد ما كنت هتَّاكاً لحرمة مسلم »
« من يزن يزن به ولو بجداره إن كنت ياهـذا لبيباً فافهم »

وقال رضى الله عنه فى الصبر والتأسى :

« دع الأيام تفعل ماتشاء وطب نفساً إذا حكم القضاء »
« ولا تجزع لحادثة الليـالى فمـا لحوادث الدنيا بقاء »
« وكن رجلاً على الأهوال جلداً وشيمتك السماحة والسخاء »
« يغطى بالسماحة كل عيب وكم عيب يغطيه السخاء »
« ولا حزن يدوم ولا سرور ولا بأس عليك ولا رخاء »
« ولا تُرِ الأعادى قط ذلا فان شماتة الأعدا بلاء »
« ولا ترج السماحة من بخيل فما فى النار للظمآن ماء »
« ورزقك ليس ينقصه التأنى وليس يزيد فى الرزق العناء »
« إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيـا سواء »

« ويرزق من يشاء بلا حساب ويحرم من يريد كما يشاء »
« ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرض تقيه ولا سماء »
« وأرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضا ضاق الفضاء »
« دع الأيام تغدر كل حين ولا يغنى عن الموت الدواء »

ونكتفى بذكر هذه الأشعار، ومن أراد الكثرة فليطلع على كتاب « الجوهر النفيس فى أشعار الإمام محمد بن إدريس » لجامعه ومصححه المرحوم محمد افندى مصطفى أحد موظفى دار الكتب ووزارة المعارف سابقاً

مذهب الشافعى رضى الله عنه

جاء فى رسالة المرحوم أحمد باشا تيمور الخاصة بالمذاهب الأربعة ماخلاصته :

يذكر أصحاب الطبقات أن ظهوره (أى مذهب الشافعى) كان أولا بمصر وكثر أصحابه بها ، ثم ظهر بالعراق ، وغلب على بغداد ، وعلى كثير من بلاد خراسان ، والداغستان ، وكان اصطلاح أهل خراسان إذا أطلقوا (أصحاب الحديث لايعنون إلَّا الشافعية) ثم ظهر بتوران والشام واليمن ، ودخل ماوراء النهر ، وبلاد فارس والحجاز ، وبعض بلاد الهند، ودخل شىء منه أفريقية والأندلس بعد سنة ٣٠٠ ه

والغالب على أهل مصر فى عصرنا هذا هو مذهب الشافعى رضى الله عنه ، وقد كان الحكم لأصحاب الشافعى فى أزمان كثيرة بمصر ، ولم يفقده صقل الدولة لمذهب أبى حنيفة بالحكم قيمته فى غلبته على المسلمين فى مصر تعبداً وتقليداً فى المعاملات

وكانت مشيخة الأزهر الشريف محصورة فى علمائه منذ عام ١١٣٧ ﻫ إلى أن تولاها من الحنفية المرحوم الشيخ محمد المهدى العباسى سنة ١٢٨٧ مضافة الى الافتاء

ولم تنحصر بعد ذلك فى مذهب من المذاهب إذ تولاها حنفية ومالكية ولم يتولها حنبلى لقلة عدد الحنابلة بمصر

وقد عادت الآن الى الشافعية مذ تولاها الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الحالى الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى حفظه الله ونفع به المسلمين

٤ - الامام احمد بن حنبل الشيبانى رضى الله عنه

مولده وأصله وكنيته - ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ فى ربيع الأول ، وجىء به حملاً من (مَرو) وتوفى أبوه وله ثلاثون سنة ، فوليته أمه فلم ير به أبوه ، لأنه تركه طفلاً ، وأصله من (مَرو) من أهل (خراسان) ويكنى : أبا عبد الله سدوسى

نسبه - هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ربيعة بن نزار ، ويتصل نسبه بسيدنا اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام ، ويجتمع نسبه والنبى صلى الله عليه وسلم فى نزار ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم مَضرى من ولد مَضر بن نزار ، وكل قريش من مَضر

نشأته - نشأ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ببغداد يتيماً وطلب العلم والحديث بها من شيوخها ثم رحل بعد ذلك فى طلب العلم الى البلاد

قال المروزى : قال لى أبو سراج بن خزيمة : كنا مع أبى عبد الله فى الـكُتَّاب فكان النساء يبعثن إلى المعلم ابعث الينا بابن حنبل ليكتب جواب كتبهم، فكان إذا دخل اليهن لايرفع رأسه ولا ينظر اليهن

قال أبو سراج : فقال أبى وذكره ، فجعل يعجب من أدبه وحسن طريقته

فقال لنا ذات يوم : أنا أنفق على أولادى وأجيئهم بالمؤدبين على أن يتأدبوا فما أراهم يفلحون ، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم انظر كيف يخرج ؟ وجعل يعجب

قال أبو بكر المروزى : وقال لى أبو عبد الله : كنت وأنا غلام أختلف الى الكُتَّاب ثم اختلفت الى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة

طلبه للعلم ورحلاته اليه

ابتدأ أحمد رضى الله عنه فى طلب العلم من شيوخ بغداد ثم رحل الى الكوفة والبَصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة وكتب عن علماء كل بلد

وأول من كتب عنه الحديث أبو يوسف وكان عمره ست عشرة سنة فى سنة تسع وسبعين ومائة وهى السنة التى مات فيها الإمام مالك ابن أنس رحمه الله

وكان رضى الله عنه لاينقطع عن طلب العلم ، وروى : أنه رآه رجل ومعه المحبرة فقال له : يا أبا عبد الله أنت قد بلغت هذا المبلغ وأنت إمام المسلمين . فقال : مع المحبرة الى المقبرة

وكان يقول : أنا أطلب العلم الى أن أدخل القبر ، وهذا يتفق مع

القول المـأثور : اطلب العلم من المهد الى اللحد

وقال محمد بن اسماعيل الصائغ : كنت فى إحدى رُحلاتى ببغداد فمرَّ بنا أحمد بن حنبل وهو يعدو ونعلاه فى يده ، فأخذ أبى بمجامع ثوبه فقال : يا أبا عبد الله ألَا تستحى إلى متى تعدو مع هؤلاء الصبيان ؟ فقال : الى الموت

تأدبه عند مشايخه إحتراماً للعلم

حدث اسماعيل الديلمى عن عمرو الناقد قال : كنا عند وكيع وجاء أحمد بن حنبل فقعد وجعل يصف من تواضعه بين يديه . فقال عمرو : فقلت : يا أبا عبد الله إن الشيخ يكرمك فمالك لاتتكلم ؟ قال : وإن كان يكرمنى فينبغى لى أن أجله

قال خلف : جاءنى أحمد بن حنبل يسمع حديث أبى عوانة فاجتهدت أن أرفعه فأبى وقال : لا أجلس إلا بين يديك ، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه

إقباله على العلم واشتغاله به

كان رضى الله عنه شديد الإقبال على العلم ، سافر فى طلبه السفر البعيد ، وتوفَّر على تحصيله الزمان الطويل ، ولم يتشاغل بكسب ولا زواج حتى بلغ منه ما أراد . وقيل : انه لم يتزوج إلَّا بعد الأربعين سنة حتى لايتشاغل عن العلم ، فبلغ منه ما أراد. كان علم الدنيا كأنه بين عينيه، جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف يقول ماشاء ويمسك ماشاء

كثرة حفظه للحديث

وقال ابن رجاء : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : سمعت أبا زرعة يقول : كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث فقيل له : وما يدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب

وقيل لأبى زرعة : أنت أحفظ أم أحمد بن حنبل ؟ قال : بل أحمد ابن حنبل . قيل : وكيف علمت ذلك ؟ قال : وجدت كتب أحمد ابن حنبل ليس فى أوائل الأجزاء أسماء المحدثين الذين سمع منهم فكان يحفظ كل جزء ممن سمعه وأنا لا أقدر على هذا

وقيل أيضًا لأبى زرعة : من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ ؟

قال : أحمد بن حنبل حرر كتبه اليوم الذى مات فيه فبلغت اثنى عشر حِملاً وعدلاً ؟ ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ، ولا فى بطنه حدثنا فلان ، وكل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبه

ولذا كان إمام المحدثين فى عصره

ويقول أحمد بن سعيد الرازى : مارأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعلم بفقهه ومعانيه من أبى عبد الله أحمد بن حنبل

رحلته فى طلب الحديث

بلغ الإمام أحمد بن حنبل أن رجلا فى بلد بعيد عنه ، يروى أحاديث ثلاثية ، أى يحفظ كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينقله الى من يريد

وكان الإمام أحمد يرغب فى ذلك كثيراً فرحل إلى هذا الرجل حتى أتى اليه فوجده يطعم كلباً . فسلم عليه الإمام أحمد رضى الله عنه فرد عليه السلام ثم اشتغل باطعام الكلب ولم يقبل على الإمام أحمد ، أى لم يلتفت اليه أو يكلمه ، فوجد الإمام أحمد فى نفسه شيئاً ؛ لأن الرجل أقبل على الكلب ولم يلتفت اليه ، وهذا بالطبع يكدر الانسان ويغيظه

فلما فرغ الرجـل من طعمة الكلب ، التفت الى الإمام وقال : لعلك وجدت فى نفسك إذ أقبلت على الكلب

قال الإمام أحمد : نعم . فقال الرجـل : حدثنى أبو الزناد عن الأعرج ، عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيـامة ، فلن يلج الجنة»

ثم قال الرجل : أرضنا هذه ليست بها كلاب ، وقد قصدنى هذا الكلب فخفت أن أقطع رجاءه ، فقال الإمام أحمد : يكفينى هـذا الحديث ، ثم رجع

ثناء مشايخه عليه

لما كانت علامات الذكاء فى المرء تظهر فى صباه،وتلمح فى بدء أمره ومنتهاه ، فقد كانت آيات العلم والتقى تظهر على الإمام أحمد بن حنبل فى بدايته ، ولذلك أثنى عليـه مشايخه وقدموه . فمن أثنى عليه من مشايخه (يزيد بن هارون)

قال أحمد بن شيبان : مارأيت يزيد بن هارون لأحد أشد تعظيماً منه لأحمد بن حنبل ، ولا رأيته أكرم أحـداً إكرامه لأحمد بن حنبل ، وكان يقعده إلى جنبه إذا حدثنا

وكان يوقر أحمد بن حنبل ولا يمازحه ، ومرض مرة أحمد بن حنبل فركب اليه يزيد بن هارون وعاده

قال خلف بن سالم : كنا فى مجلس يزيد بن هارون فمزح يزيد مع مستمليه فتنحنح أحمد بن حنبل فضرب يزيد بيده على خده وقال : ألا أعلمتمونى أن أحمد هٰهنا حتى لا أمزح ؟

ومنهم (اسماعيل بن علية) قال أبو بكر بن أبى عون ومحمد بن هشام : رأينا اسماعيل بن علية إذا أقيمت الصلاة قال : هٰهنا أحمد بن حنبل قولوا له يتقدم

قيل : كان جماعة عند اسماعيل بن علية وتكلم إنسان فضحك بعضنا، وثم أحمد بن حنبل ، قيل : فأتينا اسماعيل فوجدناه غضبان . فقال : أتضحكون وعندى أحمد بن حنبل ؟ (وغيرهما كثيرون وهم مذكورون فى كتاب مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزى)

ثناء نظرائه وأقرانه ومقاربيه فى السن عليه

فمنهم (١) محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه كان يقول : خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أورع ولا أتقى ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل

ومن المروى من شعر الإمام الشافعى :

« قالوا يزورك أحمد وتزوره   قلت الفضائل لا تفارق منزله »

« إن زارنى فبفضله أو زرته   فلفضله فالفضل فى الحالين له »

(٢) أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى كان يقول :

مادمت بالحجاز، وأحمد بالعراق، واسحٰق بخراسان، لا يغلبنا أحد

(٣) ابن أبى أويس كان يقول — حينما قال بعضهم عنده : ذهب أصحاب الحديث — أبقى الله أحمد بن حنبل فلم يذهب أصحاب الحديث

(٤) علىّ بن المدينى — وذكر عنده أحمد بن حنبل — فقال : حفظ الله أبا عبد الله ؛ أبو عبد الله اليوم حجة الله على خلقه

وكان يقول أيضاً : إن الله عز وجل أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث : أبو بكر الصديق يوم الردة ، وأحمد بن حنبل يوم المحنة

وكان يقول : ماقام أحد بأمر الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقام أحمد بن حنبل ، فقيل له يا أبا الحسن ، ولا أبو بكر الصديق ؟ قال : ولا أبو بكر الصديق ؛ ان أبا بكر الصديق كان له أعوان وأصحاب ، وأحمد بن حنبل لم يكن له أعوان ولا أصحاب

وغيرهم كثيرون مذكورون فى الكتاب السالف الذكر

ثناء كبار أتباعه عليه بما عرفوه منه فى صحبته

فمنهم (١) أبو داود السجستانى ، كان يقول : لقيت مائتين من مشايخ العلم، فما رأيت مثل أحمد بن حنبل، لم يكن يخوض فى شىء مما يخوض فيه الناس ، فاذا ذكر العلم تكلم

(٢) عبد الوهاب الورّاق كان يقول : أبو عبد الله إمامنا وهو من الراسخين فى العلم، إذا وقفت غداً بين يدى الله عز وجل فسألنى بمن اقتديت ؟ أقول : بأحمد ، وأى شىء ذهب على أبى عبد الله من أمر الإسلام وقد بلى عشرين سنة فى هذا الأمر؟

وكان يقول أيضًا : مارأيت مثل أحمد بن حنبل . قالوا له : وأى شىء بان لك من فضله وعلمه على سائر من رأيت ؟ قال : رجل سُئل عن ستين ألف مسألة فأجاب فيها بأن قال : حدثنا وأخبرنا

مصنفاته

كان الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه لايرى وضع الكتب ، وينهى أن يكتب عنه كلامه ومسائله ، ولو رأى ذلك لكانت له تصانيف كثيرة، ولنقلت عنه كتب عديدة

فكانت تصانيفه المنقولات هى : مصنف (المسند) وهو ثلاثون

ألف حديث ، وكان يقول لابنه عبد الله : احتفظ بهذا المسند فانه سيكون للناس إماماً

والتفسير ، وهو مائة ألف وعشرون ألفاً ، والناسخ والمنسوخ ، والتاريخ ، وحديث شعبة ، والمقدم والمؤخر فى القرآن ، وجوابات القرآن ، والمناسك الكبير والصغير وأشياء أخر

مناقبه

زهده — كان رضى الله عنه زاهداً فى الدنيا . قال سليمان بن الأشعث : ما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط ، وكان إذا جاع أخذ الكسرة اليابسة فنفضها من الغبار، ثم صبَّ عليها الماء فى قصعة حتى تبتل ثم يأكلها بالملح

وكانوا فى بعض الأوقات يطبخون له فى فخارة عدساً وشحماً وكان أكثر إدامه الخل

وقال اسحٰق بن هانئ النيسابورى. قال لى أبو عبد الله: بكِّر يوماً حتى تعارضنى بشيء من الزهد، فبكرت اليه، وقلت لأم ولده : أعطنى حصيراً ومخدة، فبسطته فى الدهليز ، فخرج أبو عبد الله ومعه الكتب والمحبرة ، فنظر الى الحصير والمخدة، فقال : ماهذا ؟ فقلت : لتجلس عليه فقال : ارفعه ، الزهد لايحسن إلَّا بالزهد ، فرفعته وجلس على التراب

وقال أبو جعفر القطان ويعرف بابن أبي القدور : كان أيام الغلاء يجيئني أبو عبد الله بغزل ويستره لأبيعه ، فكنت ربما بعته بدرهم ونصف ، وربما بعته بدرهمين ، فتخلف يوماً فلما جاء قلت له : يا أبا عبد الله لم تجيء أمس ؟ فقال :

أم صالح اعتلت ، ودفع الىَّ غزلا فبعته بأربعة دراهم ، فجئت بها فأنكر ذلك وقال : لعلك زدت فيه من عندك ؟ قلت : لا ، مازدت فيه من عندى ، كان غزلًا دقيقاً

وقيل: تعرت أمه من الثياب ، فجاءته زكاة فردَّها وقال : العرى لهم خير من أوساخ الدنيا ، وأنها أيام قلائل ثم نرحل من هذه الدار

وقال صالح بن أحمد : قال أبي : كانت والدتك فى الغلاء تغزل غزلًا دقيقاً فتبيع الاستار بدرهمين أقل أو أكثر فكان ذلك قوتنا

وقال صالح أيضاً : وكنا ربما اشترينا الشيء فنستره عنه كيلا يراه فيوبخنا على ذلك

وقال أبو بكر المروزى : سمعت أبا عبدالله يقول : أسرُّ أيامى الىَّ يوم أصبح وليس عندى شيء

كلامه فى الزهد

قال أبو حفص الطرسوسى : ذهبت الى أبي عبد الله أحمد بن حنبل

فسألته ، وكان معه أصحابه ، فقلت : رحمك الله يا أبا عبد الله ، بِمَ تلين القلوب ؟

فنظر الى أصحابه فغمزهم بعينه ، ثم أطرق ساعة، ثم رفع رأسه فقال: يا بُنيَّ بأكل الحلال

فمررت الى أبي نصر بشر بن الحارث فقلت له : يا أبا نصر بِمَ تلين القلوب ؟

فقال : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

فقلت : إني جئت من عند أبي عبد الله ، فقال : أي شيء قال لك أبو عبد الله ؟

قلت : قال بأكل الحلال . قال : جاء بالأصل ، جاء بالأصل

فمررت الى عبد الوهاب الورّاق فقلت : يا أبا الحسن ، بِمَ تلين القلوب ؟ قال :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ .

قلت : فاني جئت من عند أبي عبد الله ، فاحمرت وجنتاه من الفرح وقال لي : أي شيء ، قال أبو عبد الله ؟ فقلت : قال بأكل الحلال . فقال : جاءك بالجوهر ، جاءك بالجوهر ، الأصل كما قال ، الأصل كما قال

قال أبو بكر المروزى أنه سمع أبا عبد الله يقول : يانفس انصبى وإلا فستحزنين

وكان يقول أيضا : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : ما أعدل بفضل الفقر شيئًا، تدرى إذا سألك أهلك حاجة لاتقدر عليها أى شىء لك من الأجر ؟

وقال أبو سهل بن زياد : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : سُئل أحمد عن الفتوة فقال : ترك ماتهوى لما تخشى

وقال على بن المدينى : ودعت أحمد بن حنبل فقلت له : توصينى بشىء ؟ قال : نعم : (اجعل التقوى زادك، وانصب الآخرة أمامك)

وقال عيسى الوراق : سمعت يحيى الجلا يقول : سمعت أحمد ابن حنبل يقول : « عزيز علىَّ أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورهم القرآن »

وقال عبد الله بن أحمد : قلت لأبى يومًا أوصنى يا أبى . فقال : «يا بُنى انوِ الخير فانك لاتزال بخير مانويت الخير»

وقال أبو بكر المروزى : سمعت أحمد بن حنبل ـ وسُئل بِمَ بلغ القول حتى مُدحوا ؟ قال : بالصدق

ورعه

كان رضى الله عنه ورعاً لايقبل أن يأخذ من أحد شيئاً

قال اسحٰق بن موسى الأنصارى : دفع المأمون مالاً وقال لى : اقسمه على أصحاب الحديث، فان فيهم ضعفاء ، فما بقى منهم أحد إلاَّ أخذ إلاَّ أحمد بن حنبل فانه أبى

قال أحمد بن القاسم الطوسى : كان أحمد بن حنبل إذا نظر إلى نصرانى غمض عينيه ، فقيل له فى ذلك ؟ فقال : لا أقدر أن أنظر الى من افترى على الله وكذب عليه

قال ابراهيم الحربى : لزمت أحمد بن حنبل سنتين فكان إذا خرج يحدثنا معه محبرة مجلدة بجلد أحمر وقلماً فاذا مرّ به سقط أو خطأ فى كتابه أصلحه بقلمه من محبرته ، يتورع أن يأخذ من محبرة أحدنا شيئاً ، وكنا نقول لأحمد فى الشىء يحفظه فيقول : لا ، إلاَّ من كتاب

تمسكه بالسنة والأثر

كان رضى الله عنه شديد التمسك بالسنة واتباع الآثار . قال الحسن ابن أيوب البغدادى :

قيل : لأبى عبد الله أحمد بن حنبل أحياك الله يا أبا عبد الله على

الإسلام . قال : والسنة

وقال عبد الملك الميمونى : مارأت عينى أفضل من أحمد بن حنبل ، وما رأيت أحداً من المحدثين أشد تعظيماً لحرمات الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم إذا صحت عنده ولا أشد اتباعاً منه

تعظيمه لأهل السنة والنقل

قال صالح بن أحمد بن حنبل . سمعت أبى يقول : من عظم أصحاب الحديث تعظم فى عين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن حقرهم سقط من عين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن أصحاب الحديث أحبار رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال أبو بكر المروزى : قلت لأبى عبد الله : مَن مات على الإسلام والسنة مات على خير

فقال لى : اسكت مَن مات على الإسلام والسنة مات على الخير كله

وقد كان الإمام أحمد بن حنبل لشدة تمسكه بالسنة ، ونهيه عن البدعة ، يتكلم فى جماعة من الأخيار إذا صدر منهم مايخالف السنة وكلامه ذلك محمول على النصيحة

إعراضه عن المناصب

قال ابراهيم المزنى : قال الشافعى : لما دخلت على هارون الرشيد قلت له بعد المخاطبة : إنى خلفت ضائعة تحتاج إلى حاكم فقال : انظر رجلاً ممن يجلس اليك حتى توليه قضاءها، فلما رجع الشافعى الى مجلسه ورأى أحمد بن حنبل من أمثلهم أقبل عليه فقال : إنى كلمت أمير المؤمنين أن يولى قاضياً باليمن ، وأنه أمرنى أن أختار رجلاً ممن يختلف إلىَّ ، وإنى قد اخترتك فتهيأ حتى أدخلك على أمير المؤمنين يوليك قضاء اليمن ؟ فأقبل عليه أحمد وقال :

إنما جئت اليك لأقتبس منك العلم ، تأمرنى أن أدخل لهم فى القضاء ؟ ووبخه ، فاستحيا الشافعى

وقال ابن الجوزى رحمه الله : وقد روى لنا أن هذا كان فى زمان الأمين

تواضعه

كان رضى الله عنه متواضعاً جداً ويحمل حاجته بيده

قال صالح : كان أبى ربما أخذ القدوم وخرج الى دار السكان يعمل الشىء بيده ، وربما خرج الى البقال فيشترى الجرزة الحطب والشىء فيحمله بيده

وقيل لأبى عبد الله : جزاك الله عن الإسلام خيراً . فقال : لا ؛ بل جزى الله الإسلام عنى خيراً ، ثم قال : ومَن أنا ؟

ودُفع إلى أبى عبد الله كتاب من رجل يسأله أن يدعو الله له . فقال : فاذا دعونا بهذا نحن فَمن يدعو لنا ؟

وقال محمد بن أحمد بن واصل . سمعت أبا عبدالله غير مرة يقول : مَن أنا حتى تجيئون الىّ ؟ مَن أنا حتى تجيئون الىّ ، اذهبوا اطلبوا الحديث

وقيل لأبى عبدالله : ما أكثر الداعين لك ؟ فتغرغرت عيناه وقال : أخاف أن يكون هذا استدراجاً ، أسأل الله أن يجعلنا خيراً مما يظنون ، و يغفر لنا مالا يعلمون

قيل لأبى عبد الله : ان بعض المحدثين قال لى : أبو عبد الله لم يزهد فى الدراهم وحدها ؛ بل قد زهد فى الناس . فقال أبو عبدالله : ومَن أنا حتى أزهد فى الناس ؟ الناس يريدون أن يزهدوا فىّ

حبه للفقر والفقراء

قال أبو بكر المروزى : كان أبو عبد الله يحب الفقراء ، لم أر الفقير فى مجلس أحد أعز منه فى مجلسه

وقال أيضاً : قال لى أبو عبدالله، وذكر رجلافقيراً مريضاً، فقال لى : اذهب اليه وقل له : أى شيء تشتهى حتى نعمل لك ؟ ودفع إلىَّ طيباً وقال لى : طيِّبه

وقال أبو بكر المروزى : قال أبو عبد الله، أحمد بن حنبل : ما أعدل بالفقر شيئاً ، ما أعدل بالفقر شيئاً، أنا أفرح إذا لم يكن عندى شيء

وذكرت له رجلاً صبوراً على الفقر فى أطمار ، وكان يسألنى عنه ويقول : اذهب حتى تأتينى بخبره ، سبحان الله الصبر على الفقر ، الصبر على الفقر ، ما أعدل بالصبر على الفقر شيئاً ، أتدرى الصبر على الفقر أى شيء هو ؟ وقال : كم بين من يُعطى من الدنيا ليفتتن الى آخر تزوى عنه

إيثاره العزلة والوحدة

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : كان أبى أصبر الناس على الوحدة ، لم يَره أحد إلَّا فى مسجد ، أو تشييع جنازة ، أو عيادة مريض ، وكان يكره المشى فى الأسواق ، وكان إذا مشى فى الطريق لا يُمكن أحداً أن يمشى معه

وقال أبو بكر المروزى . قال لى أبو عبد الله : ما أبالى ألَّا يرانى أحد ولا أراه . وقال : رأيت الخلوة أروح لقلبى

تقواه وخوفه من الله

قال صالح بن أحمد بن حنبل : كان أبى اذا دعا له رجل يقول : الأعمال بخواتيمها ، وكنت أسمعه كثيراً يقول : اللّهم سلم سلم

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبى يقول : وددت إنى نجوت من هذا الأمر كفافًا لاعلىّ ولا لىّ

وقال المروزى : سمعت أبا عبد الله يقول : الخوف يمنعنى من أكل الطعام والشراب فما أشتهيه

وقال المروزى : دخلت على أحمد يومًا فقلت : كيف أصبحت ؟

فقال : كيف أصبح مَن ربه يطالبه بأداء الفرض ، ونبيه يطالبه بأداء السنة ، والملكان يطلبانه بتصحيح العمل ، ونفسه تطالبه بهواها ، وإبليس يطالبه بالفحشاء ، وملك الموت يطالبه بقبض روحه ، وعياله يطالبونه بالنفقة ؟

وكان رضى الله عنه يضرب به المثل فى اتباع السنة واجتناب البدعة

تعبده

قال صالح بن أحمد : كان أبى لايدع أحداً يستقى له الماء لوضوئه إلّا هو ، وكان اذا أخرجت الدلو ملأى قال : الحمد لله . قلت : يا أبى

ما الفائدة فى هذا ؟ فقال : يابنى أما سمعت قول الله عز وجل ؟

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : كان أبى يصلى فى كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته فكان يصلى كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة ، وقد كان قرب من الثمانين ، وكان يقرأ كل يوم سُبعاً ، يختم فى كل سبعة أيام ، وكانت له ختمة فى كل سبع ليال سوى صلاة النهار ، وكان ساعة يصلى العشاء الأخيرة ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلى ويدعو

قال هلال بن العلاء : خرج الشافعى ، ويحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل الى مكة ، فلما أن صاروا بمكة نزلوا فى موضع ، فأما الشافعى فانه استلقى ، ويحيى بن معين أيضاً استلقى ، وأحمد بن حنبل قائم يصلى ، فلما أصبحوا قال الشافعى : لقد عملت للمسلمين مائتى مسألة : وقيل ليحيى بن معين ، أى شىء عملت ؟ قال : نفيت عن النبى صلى الله عليه وسلم مائتى كذبة ، وقيل لأحمد بن حنبل : فأنت . قال : صليت ركعات ختمت فيها القرآن

وقال صالح بن أحمد : كانت لأبى قلنسوة قدخاطها بيده فيها قطن ، فاذا قام من الليل لبسها وكنت أسمع أبى كثيراً يتلو سورة الكهف

حكى ابراهيم بن هانئ أنه لم يرَ أحداً أقوى على الزهد والعبادة وجهد النفس من أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، كان يصوم النهار ، ويعجل الافطار ، ثم يصلى بعد العشاء الآخرة ركعات ثم ينام نومة خفيفة ، ثم يقوم فيتطهر ولا يزال يصلى حتى يطلع الفجر ، ثم يوتر بركعة ، وكان هذا دأبه طول مقامه عندى ، ما رأيته فتر ليلة واحدة ، وكنت لا أقوى معه على العبادة ، وما رأيته مفطراً إلا يوماً واحداً أفطر واحتجم

وكان رضى الله عنه يواصل الصوم فيفطر كل ثلاثة أيام على تمر وسويق (الناعم من الدقيق)

قال عبد الله بن أحمد : رأيت أبي لما كبر وأسن اجتهد فى قراءة القرآن وكثرة الصلاة بين الظهر والعصر ، فاذا دخلت عليه انفتل من الصلاة وربما تكلم وربما سكت ، فاذا رأيت ذلك خرجت فيعود لصلاته ، ورأيته وهو مختف أكثر ذلك يقرأ القرآن

<u>عدد حجاته</u> — وقال عبد الله بن أحمد : حج أبي خمس حجات : ثلاث حجج ماشياً ، واثنتين راكباً ، وأنفق فى بعض حجاته عشرين درهما

وقال صالح بن أحمد ، سمعت أبي يقول : حججت خمس حجج : منها ثلاثة راجلاً ، وأنفقت فى أحد هذه الحجج ثلاثين درهما

دعاؤه ومناجاته

قال عبد الله بن أحمد : كنت أسمع أبي كثيراً يقول فى دبر صلاته : « اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك فصن وجهى عن المسألة لغيرك »

فقلت : أسمعك تكثر من هذا الدعاء فعندك فيه أثر ؟

فقال لى : نعم ، كنت أسمع وكيع بن الجراح كثيراً يقول هذا فى سجوده ، وكنت أسمع سفيان الثورى يقول هذا كثيراً فى سجوده ، وكنت أسمع منصور بن المعتمر يقوله

ومن دعائه : اللهم من كان على هوى أو على رأى وهو يظن أنه على الحق ، وليس هو على الحق ، فرده الى الحق حتى لايضل من هذه الأمة أحد ؛ اللهم لاتشغل قلوبنا بما تكفلت لنا به ، ولا تجعلنا فى رزقك حولاً لغيرك ، ولا تمنعنا خير ماعندك بشر ماعندنا ، ولا ترَ نا حيث نهيتنا ، ولا تفقدنا من حيث أمرتنا ، أعزنا ولا تذلنا ، أعزنا بالطاعة ، ولا تذلنا بالمعاصى

جاء الى الإمام أحمد بن حنبل رجل فقال له شيئًا ، فقال له : اصبر فان النصر مع الصبر ؛ ثم قال : سمعت عفان بن مسلم يقول : حدثنا همام بن ثابت عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : النصر

مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، وإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا

ومن دعائه أن قال : اللّٰهم إنا نسألك بالقدرة التى قلت للسموات والأرض ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ اللّٰهم وفقنا لمرضاتك ، اللّٰهم إنا نعوذ بك من الفقر إلّا اليك ، ونعوذ بك من الذل إلّا لك ، اللّٰهم لاتكثر علينا فنطغى ، ولا تقلل علينا فننسى ، وهب لنا من رحمتك ، وسعة من رزقك ، مايكون بلاغاً لنا ، وغنًى من فضلك

هيبته

قال محمد بن مسلم : كنا نهاب أن نرد أحمد بن حنبل فى الشىء ، أو نحاجه فى شىء من الأشياء ، يعنى لجلالته ولهيبة الإسلام الذى رزقها

وقال أبو بكر المروزى : قال الحسن بن أحمد – والى الجسر – وكان فى جوارنا : دخلت على اسحٰق بن ابراهيم وفلان وفلان – ذكر السلاطين – مارأيت أهيب من أحمد بن حنبل ، صرت اليه أكلمه فى شىء فوقعت على الرعدة حين رأيته من هيبته

وقال أبو عبد القاسم بن سلام : جالست أبا يوسف ومحمد بن الحسن ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدى فما هبت أحداً منهم ماهبت أحمد بن حنبل ، ولقد دخلت عليه فى السجن لأسلم عليه فسألنى رجل عن مسألة فلم أجبه هيبة له

نظافته وطهارته

قال عبد الملك بن عبد الحميد الميمونى : ما أعلم أنى رأيت أحداً أنظف ثوباً ولا أشد تعاهداً لنفسه فى شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه ، ولا أنقى ثوباً ، وشدة بياض من أحمد بن حنبل

سهولة أخلاقه وحسن معاشرته

حدثنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن على البخارى قال : سمعت محمد بن ابراهيم البوسنجى قال : مارأيت أحداً فى عصر أحمد ممن رأيت أجمع منه ديانةً وصيانةً وملكاً لنفسه ، وطلقاً لها وفقهاً وعلماً ، وأدب نفس ، وكرم خلق ، وثبات قلب ، وكرم مجالسة ، وأبعد من التحادث . قال الحسين بن المنادى : سمعت جدى يقول : كان أحمد ابن حنبل من أحيي الناس، وأكرمهم نفساً، وأحسنهم عشرة وأدباً ، كثير الإطراق والغض ، معرضاً عن القبيح واللغو ، لايسمع منه إلّا المذاكرة بالحديث ، وذكر الصالحين والزهاد فى وقار وسكون ولفظ حسن ، وإذا لقيه انسان بشّ به ، وأقبل عليه ، وكان يتواضع للشيوخ تواضعاً شديداً، وكانوا يكرمونه ويعظمونه

قال عبد الله بن أحمد : كان أبى إذا دخل من المسجد إلى البيت

يضرب برجله قبل أن يدخل الدار حتى يسمع ضرب نعله لدخوله الى الدار ، وربما تنحنح ليعلم من فى الدار بدخوله

قال أبو بكر المروزى: كان أبو عبدالله لايجهل،وإن جهل عليه احتمل وحلم ويقول : « كفى بالله حسيبا » ولم يكن بالحقود ولا العجول. ولقد وقع بين عمه وجيرانه منازعة فكانوا يجيئون الى أبى عبد الله فلا يظهر لهم ميله مع عمه، ولا يغضب لعمه، ويتلقاهم بما يعرفون من الكرامة

وكان كثير التواضع ، يحب الفقراء ، لم أرَ الفقير فى مجلس أعز منه فى مجلسه ، مائلا اليهم ، مقصراً عن أهل الدنيا ، تعلوه السكينة والوقار، إذا جلس فى مجلسه بعد العصر للفتيا لايتكلم حتى يُسأل ، وإذا خرج الى مسجده لم يتصدر ، يقعد حيث انتهى به المجلس

وكان لايمد قدمه فى المجلس، ويكرم جليسه ، وكان حسن الخلق ، دائم البشر ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، وكان يحب فى الله ، ويبغض فى الله ، وكان إذا أحب رجلا أحب له مايحب لنفسه ، وكره له مايكره لنفسه ، ولم يمنعه حبه إياه أن يأخذ على يديه ، ويكفه عن ظلم أو اثم أو مكروه إن كان منه ؛ وكان إذا بلغه عن شخص صلاح أو زهد أو قيام بحق أو اتباع للأمر سأل عنه وأحب أن يجرى بينه وبينه معرفة ، وأحب أن يعرف أحواله ، وكان رجلاً فطناً اذا كان شيء لايرضاه اضطرب لذلك ، يغضب لله ، ولا يغضب لنفسه ، ولا

ينتصر لها، فاذا كان فى أمر من الدين اشتد له غضبه حتى كأنه ليس هو، لاتأخذه فى الله لومة لائم، وكان حسن الجوار يؤذى فيصبر، ويحتمل الأذى من الجار

ولقد أخبرنى بعض جيرانه ممن بينه و بينه حائط قال: كان لى برج فيه حمام، وكان يشرف على أبى عبد الله، فكنت أصعد وأنا غلام أشرف عليه، فمكث على ذلك صابراً لاينهانى، فبينا أنا يوماً إذ صعد عمى فنظر الى البرج مشرفا على أبى عبد الله فقال:

ويحك! أما تستحى أن تؤذى أبا عبد الله؟ قلت له: فانه لم يقل لى شيئًا

قال: فلست أبرح حتى تهب لى هذه الطيور، فما برح حتى وهبتها له فذبحها وهدم البرج

وقال ابراهيم الحربى: كان أحمد رضى الله عنه يأتى العرس، والأملاك، والختان، يجيب و يأكل

حلمه وعفوه

قال ابراهيم الحربى: كان أحمد بن حنبل كأنه رجل قد وفق للأدب، وسدد بالحلم، وملىء بالعلم، أتاه رجل يوما فقال له: عندك كتاب زندقة؟ فسكت ساعة ثم قال له: إنما يحرز المؤمن قبره

وقال ابراهيم : كنا يوماً عند داود بن عمر فقال له داود : يا أبا عبد الله كيف أكلك ؟ كيف نومك ؟ فقال أحمد : ليس أنا بمحصور ، ولا روحانى ، ولم يزده على هذا

وقال ابن هانئ : كنت عند أحمد بن حنبل فقال له رجل : يا أبا عبد الله قد اغتبتك فاجعلنى فى حل ٍّ . قال : أنت فى حل ان لم تعد . فقلت له : تجعله فى حل وقد اغتابك ؟

قال : ألم ترنى اشترطت عليه ؟

ماله ومعاشه

كان أحمد رضى الله عنه قد خلف له أبوه طرزاً (ثوبًا) وداراً يسكنها، وكان يكرى تلك الطرز ويتعفف بكرائها عن الناس

وقال محمد بن عبد الله : قال لى أحمد بن حنبل: أنا أزرع هذه الدار التى أسكنها وأخرج الزكاة عنها فى كل سنة

وقال أحمد بن جعفر : سأل رجل أحمد بن حنبل عن العقار الذى كان يستغله ويسكن داراً منه كيف سبيله عنده ؟ فقال له : هذا شىء قد ورثته عن أبى ، فان جاءنى أحد فصحح أنه له خرجت عنه ودفعته اليه

تعففه عن أموال الناس

قيل : أنه لما خرج أحمد بن حنبل الى عبد الرزاق انقطعت به النفقة فأكرى نفسه من بعض الجمالين الى أن وافى صنعاء ، وقد كان أصحابه عرضوا عليه المواساة فلم يقبل من أحد شيئاً

وقال عبد الرزاق : قدم علينا أحمد بن حنبل هاهنا فأقام سنتين إلّا قليلا فقلت له : يا أبا عبد الله خذ هذا الشيء فانتفع به فان أرضنا ليست بأرض متجر ولا مكسب

فقال أحمد : أنا بخير ولم يقبل منه

وقيل : أنه رهن نعله عند خباز على طعام أخذ منه عند خروجه من اليمن وأكرى نفسه من ناس من الجمالين عند خروجه وعرض عليه عبد الرزاق دراهم صالحة فلم يقبلها

وقال حمدان بن سنان الواسطى : قدم علينا أحمد بن حنبل ومعه جماعة فنفدت نفقاتهم فبررتهم فأخذوا ، وجاءنى أحمد بن حنبل بفروة فقال : قل لمن يبيع هذه ويجيئنى بثمنها فأتسع به . قال : فأخذت صرة دراهم فمضيت بها اليه ، فردها . فقالت امرأتى هذا رجل صالح، لعله لم يرضها فأضعفها، فأضعفتها فلم يقبل، وأخذ الفروة منى وخرج

قيل: أن رجلا كان رفيقاً لأبى عبد الله أحمد بن حنبل بواسط على

باب يزيد بن هارون ، فجاءه أبو عبد الله بجبة يبيعها فى شدة البرد قال : فلم أزل به حتى صرفته عن بيعها ، ثم صرت الى يزيد بن هارون فقلت : يا أبا خالد إن أحمد بن حنبل جاءنى بجبة لأبيعها له فى هـذا البرد . فقال لجاريته : زنى مائة درهم وهاتيها، فدفعها الىّ وقال : ادفعها اليه . فجئت بها اليه . فقلت : هذه بعثها أبو خالد . فقال : انى لمحتاج اليها ، وانى لابن سبيل ؛ ولـكن لا أحب أن أعود نفسى هذا ، ردها عليه ، فرددتها اليه ، فدفع الىّ جبته فبعتها له

قال على بن الجهم بن بدر : كان لنا جار فأخرج لنا كتاباً فقال : أتعرفون هـذا الخط ؟ قلنا : نعم . هذا خط أحمد بن حنبل ، كيف كتب لك ؟

قال : كنا بمكة مقيمين عند سفيان بن عيينة ففقدنا أحمد بن حنبل أياماً لم نره ، ثم جئنا اليه لنسأل عنه . فقال لنا أهل الدار التى هو فيها : هو فى ذلك البيت ، فجئنا اليه والباب مردود عليه واذا عليه خلقان ؟ (ثياب ممزقة) فقلنا له : يا أبا عبد الله ماخبرك لم نرك منذ أيام ؟ فقال سرقت ثيابى . فقلت له : معى دنانير فان شئت خذ قرضاً، و إن شئت صلة فأبى أن يفعل، فقلت : تكتب لى بأجرة ؟ قال : نعم ، فأخرجت ديناراً ، فأبى أن يأخـذه ، وقال : أشترى لى ثوباً وأقطعه نصفين ، فأومى الىّ انه يأتزر بنصف ، ويرتدى بالنصف الآخر ،وقال : جئنى

ببقيته ، ففعلت ، وجئت بورق فكتب لى، فهذا خطه

قال موسى بن حماد البربرى : حمل الى الحسن بن عبد العزيز الجروى ميراثه من مصر مائة ألف دينار ، فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس فى كل كيس ألف دينار ، فقال : يا أبا عبد الله هذه من ميراث حلال، خذها فاستعن بها على عائلتك . قال : لاحاجة لى فيها ؛ أنا فى كفاية ، فردها ولم يقبل منه شيئاً

كرمه وجوده

كان أبو عبد الله كريماً، يعجبه السخاء والجود، فما يؤثر عنه :

أن أبا سعيد بن أبى حنيفة المؤدب قال لعبدالله بن أحمد بن حنبل: كنت آتى أباك فربما أعطانى الشىء وقال : أعطيتك نصف ماعندنا ، فجئت يوماً فأطلت القعود ، فخرج ومعه أربعة أرغفة فقال : يا أبا سعيد هذا نصف ماعندنا . فقلت : يا أبا عبدالله هذه الأربعة الأرغفة أحبُّ إلىّ من أربعة آلاف من غيرك

وقال يحيى بن هلال الورّاق :جئت مرة الى أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل فأخرج إلىّ أربعة دراهم وقال : هذه جميع ما أملك

وقال هارون المستملى : لقيت أحمد بن حنبل فقلت له : ماعندنا شىء ، فأعطانى خمسة دراهم وقال: ماعندنا غيرها

وقال أبو بكر المروزى : كان أبو عبد الله ربما واسى من قوته ، وجاءه أبو سعيد الضرير فشكا اليه . فقال له : يأبا سعيد ماعندنا إلَّا هذا الجذع،فجىء بحمال يحمله . قال : فأخذت الجذع فبعته بتسعة دراهم ودانقين . وكان أبو عبد الله شديد الحياء كريم الأخلاق يعجبه السخاء

قبوله الهدية ومكافأته عليها

قال أبو بكر المروزى : رأيت أبا عبد الله وقد أهدى اليه إنسان ماء زمزم، فأرسل اليه سويقًا وسكراً (السويق الناعم من دقيق الحنطة والشعير) وأمرنى أن أشترى لإنسان هدية بما يقرب من خمسة دراهم وقال : اذهب إلى صبيانه فانه قد وهب لسعيد شيئًا

قال صالح بن أحمد : ان رجلا أهدى إلى أبيه فاكهة،فبعث اليه ثوبًا أهدى جار لأبى عبد الله شيئاً من جوز وزبيب وتين فى قصعة مايساوى ثلاثة دراهم أو أقل فأعطى ابنه ديناراً وقال له : اذهب فاشتر بعشرة دراهم سكراًو بسبعة دراهم تمراً ، واذهب به اليه فى الليل . ففعل

المحنة التى أصيب بها وسببها

لم يزل الناس بخير فى عهد السلف الصالح يؤمنون بالله وكتبه ويعتقدون حقًا أن القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق حتى ظهرت

المعتزلة . فقالت : (بخلق القرآن) وكانت تستر ذلك ، وكان القانون محفوظاً فى زمن الرشيد ، وكان يحارب كل من ادعى بخلق القرآن

قال محمد بن نوح : سمعت هارون الرشيد أمير المؤمنين يقول : بلغنى أن بشراً المريسى زعم أن القرآن مخلوق ، علىَّ إن أظفرنى الله به لأقتلنه قتلة ماقتلتها أحداً قط . فكان بشر متوارياً أيام هارون الرشيد نحواً من عشرين سنة حتى مات هارون ، فظهر ودعا إلى الضلالة وكان من المحنة ما كان

فلما توفى الرشيد كان الأمر كذلك فى زمن الأمين ، فلما ولى المأمون خالطه قوم من المعتزلة فحسنوا له القول بخلق القرآن، وكان يتردد فى حمل الناس على ذلك ويراقب بقايا الأشياخ ، ثم قوى عزمه على ذلك فحمل الناس عليه . وكان أحمد بن حنبل من أشد الناس معارضة لذلك ، وأُصيب بمحنة شديدة لامتحانه فى هذه المسألة وهى : (خلق القرآن)

قصته مع المأمون

قال العلماء بالسير : كتب المأمون وهو بالرقة الى اسحٰق بن ابراهيم وهو صاحب الشرطة ببغداد بامتحان الناس فامتحنهم

قال صالح بن احمد بن حنبل سمعت أبى يقول : لما ادخلنا على

اسحٰق بن ابراهيم للمحنة قرىء علينا كتاب المأمون ، فكان فيما قرىء علينا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وهو ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فقلت : وهو السميع البصير

قال صالح : ثم امتحن القوم فوجه بمن امتنع الى الحبس فأجاب القوم جميعاً غير أربعة، أبى (أحمد بن حنبل) ومحمد بن نوح ، وعبيدالله ابن عمر القواريرى ، والحسن بن حماد سجادة ، ثم أجاب عبيدالله ابن عمر ، والحسن بن حماد ، وبقى أبى ومحمد بن نوح فى الحبس فمكث اياماً فى الحبس ثم ورد الكتاب من « طرسوس » بحملهما فحملا مقيدين زميلين

كيف امتحن أحمد بن حنبل ؟

قال ميمون بن الأصبغ : كنت ببغداد فسمعت ضجة فقلت : ماهذا ؟ فقالوا : أحمد بن حنبل يُمتحن ، فأتيت منزلى فأخذت مالا له خطر فذهبت به الى من يدخلنى الى المجلس فأدخلونى ، فاذا بالسيوف قد جردت ، وبالرماح قد ركزت ، وبالتراس قد نصبت ، وبالسياط قد طرحت ، فألبسونى قباء أسود ومنطقة وسيفاً ، وأوقفونى حيث أسمع الكلام

فأتى أمير المؤمنين فجلس على كرسى، وأُتى بأحمد بن حنبل فقال له : وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربنك بالسياط أو تقول كما أقول ؟ ثم التفت الى جلاد فقال : خذه اليك ، فأخذه. فلما ضرب سوطاً قال (بسم الله) فلما ضرب الثانى قال : (لاحول ولا قوة إلّا بالله) فلما ضرب الثالث قال : « القرآن كلام الله غير مخلوق » فلما ضرب الرابع قال : (قل لن يصيبنا إلّا ما كتب الله لنا) فضربه تسعا وعشرين سوطاً ، وكان تكة أحمد انقطعت فنزل السروال الى عانته فقلت : الساعة ينهتك . فرمى أحمد طرفه نحو السماء وحرّك شفتيه فما كان بأسرع من أن ارتقى السروال ولم ينزل. قال ميمون : فدخلت اليه بعد سبعة أيام فقلت : يا أبا عبد الله رأيتك يوم ضربوك قد انحل سروالك فرفعت طرفك نحو السماء ، ورأيتك تحرك شفتيك فأى شيء قلت ؟ قال . قلت : اللّهم أسألك باسمك الذى ملأت به العرش إن كنت تعلم أنى على الصواب فلا تهتك لى ستراً

قال ابن أبى أسامة : يحكى لنا أن أحمد بن حنبل قيل له أيام المحنة: يا أبا عبد الله ألا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل ؟ فقال : كلا ، إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى الى الضلالة، وقلوبنا بعد لازمة للحق

قال صالح بن أحمد : حمل أبى ومحمد بن نوح مقيدين فصرنا معهما الى (الأنبار) فسأل أبو بكر الأحول أبى فقال : يا أبا عبد الله إن عرضت على السيف تجيب ؟ قال : لا . ثم سيرا ، قال: فسمعت أبى يقول: لما صرنا الى الرحبة ورحلنا منها – وذلك فى جوف الليل – عرض لنا رجل فقال : أيكم أحمد بن حنبل ؟ فقيل له : هذا ؟ فقال للجمال : على رسلك ، ثم قال : ياهـذا ماعليك أن تقتل هاهنا وتدخل الجنة هاهنا ، ثم قال : استودعك الله ومضى ، قال أبى : فسألت عنه . فقيل لى : هذا رجل من العرب من ربيعة يعمل الشعر فى البادية يقال له : جابر بن عامر يذكر بخير

وقال أحمد بن حنبل : ماسمعت كلمة منذ وقعت فى هذا الأمر الذى وقعت فيه أقوى من كلمـة أعرابى كلمنى بها فى رحبة طوق ، قال لى : يا أحمد إن يقتلك الحق مُتَّ شهيداً ، و إن عشت عشت حميداً ، قال : فقوى قلبى

فكان كما قال ، لقد رفع الله عز وجل شأن أحمد بن حنبل بعد ما امتحن بهذه المحنة وعظم عند الناس وارتفع أمره جداً

قال ابن الجوزى رحمه الله : قد بلغنا عن الشافعى رضى الله عنه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام يخبره بمـا سيلقى أحمد من الامتحان فى خلق القرآن ، ويأمره ان يعلم أحمد بذلك

قال أبو جعفر الأنبارى : لما حُمل أحمد بن حنبل الى المأمون أخبرت فعبرت الفرات فاذا هو جالس فى الخان فسلمت عليه فقال : ياأبا جعفر تعنيت ؟ فقلت : ليس هذا عناء . وقلت له : ياهذا أنت اليوم رأس ، والناس يقتدون بك ، فوالله لئن أجبت الى خلق القرآن ليجيبن باجابتك خلق من خلق الله ، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير ، ومع هذا فان الرجل إن لم يقتلك فأنت تموت ولا بد من الموت ، فاتق الله ولا تجبهم الى شىء ، فجعل أحمد يبكى ويقول : ماشاء الله ، ماشاء الله ، ثم قال لى أحمد : يا أبا جعفر أعد على ماقلت . فأعدت عليه ، فجعل يقول : ماشاء الله ، ماشاء الله

قيل : لما قدم أحمد للسياط أيام المحنة أغاثه الله تعالى برجل يقال له (ابو الهيثم العيار) فوقف عنده وقال : يا أحمد أنا فلان اللص ضربت ثمانية عشر ألف سوط لأقر فما أقررت ، وأنا أعرف أنى على الباطل فاحذر أن تقلق وأنت على الحق من حرارة السوط ، فكان أحمد كلما أوجعه الضرب تذكر كلام اللص ، وكان بعد ذلك لم يزل يترحم عليه ويقول : رحم الله أبا الهيثم

قال أحمد بن غسان : لما حملت مع أحمد الى المأمون تلقانا خادم وهو يبكى ومسح دموعه وهو يقول : عزّ على ياأبا عبد الله ما نزل بك . قد جرد أمير المؤمنين سيفاً لم يجرده قط ، وبسط نطعاً لم يبسطه قط ،

ثم قال : وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رفعت السيف عن أحمد وصاحبه حتى يقولا : إن القرآن مخلوق . فجثا أحمد على ركبتيه، ولحظ السماء بعينيه ودعا، فما مضى الثلث الأول من الليل إلَّا ونحن بصيحة وضجة، فأقبل علينا خادمه وهو يقول : صدقت يا أحمد (القرآن كلام الله غير مخلوق) لقد مات والله أمير المؤمنين ، وكان قد لقيه قبل أن يدخل المدينة رجل من العباد فقال : احذر يا أحمد أن يكون قدومك شؤما على المسلمين،فان الله تعالى قد رضى بك لهم وافداً والناس إنما ينظرون الى ماتقول فيقولون به . فقال أحمد : حسبنا الله ونعم الوكيل

رفع المحنة عنه

وقال ابن عياض رضى الله عنه : حبس الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ثمانية وعشرين شهراً وكان فيها يضرب بالسياط الى أن يغمى عليه، وينخس بالسيف ثم يرمى على الأرض ويداس عليه

ولم يزل كذلك إلى أن مات المعتصم ، وتولى بعده الواثق ، فاشتد الأمر على أحمد وقال :

لا أسكن فى بلد الحد فيه، فأقام مختفيا لايخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولى المتوكل، فرفع المحنة عن أحمد وأمر باحضاره

وإكرامه وإعزازه وكتب الى الآفاق برفع المحنة عنه وإظهار السنة ، وإن القرآن غير مخلوق وخمدت المعتزلة ، وكانوا أشر الطوائف المبتدعة

وقيل : لما دخل أحمد على المتوكل قال المتوكل لأمه : يا أماه قد أنارت الدار بهذا الرجل ، ثم أتوا بثياب نفيسة فألبسوها له فبكى وقال : سلمت منهم عمرى كله حتى إذا دنا أجلى بليت بهم وبدنياهم ثم نزعها لما خرج

مرضه

قال أبو بكر المروزى : مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ومرض تسعة أيام ، فلما اشتدت علته وسمع الناس بها أقبلوا لعيادته فكثروا ولزموا الباب الليل والنهار يبيتون ، وسمع السلطان بكثرة الناس فوكل السلطان ببابه وبباب الزقاق الرابطة وأصحاب الأخبار

وكان أبو عبد الله ربما أذن للناس فيدخلون أفواجاً أفواجاً يسلمون عليه فيرد عليهم بيده

فلما جاءت الرابطة ، منع الناس من ذلك ، وأغلق باب الزقاق . فكان الناس فى الشوارع والمساجد حتى تعطل بعض الباعة وحيل بينهم وبين البيع والشراء ، وكان الرجل إذا أراد أن يدخل عليه ربما

أدخل من بعض الدور ، وربما تسلق ، وجاء أصحاب الأخبار فقعدوا على الباب كى يتعاهدوه بالغداة والعشى

ولما مرض عرضوا بوله على الطبيب فنظر اليه وقال : هذا بول رجل قد فتت الغم والحزن كبده

وفاته رضى الله عنه

قد اشتدت به العلة يوم الخميس ، فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس حتى ملأوا السكك والشوارع ، فلما كان صدر النهار (قُبض رحمه الله) فصاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجت وقعد الناس ، وبعد صلاة الجمعة شيعت جنازته (فكانت وفاته ببغداد فى يوم الجمعة فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين وعمره سبع وسبعون سنة)

ودفن فى مقبرة (باب حرب) وحضر جنازته من الخلق مالا يحصى وازدحم الناس على قبره بعد دفنه

قال أبو الحسن التميمى عن أبيه عن جده : أنه حضر جنازة أحمد بن حنبل قال : فمكثت طول الاسبوع رجاء أن أصل الى قبره فلم أصل من شدة ازدحام الناس عليه ، فلما كان بعد أسبوع وصلت الى القبر.

وكان لموته تأثير عظيم عند جميع الناس من مسلمين ويهود ونصارى

ومجوس ، وقيل : أسلم يوم وفاته عشرون ألفًا من اليهود والنصارى والمجوس ، وفى رواية أخرى عشرة آلاف

تركته

مات رضى الله عنه ولم يخلف إلَّا ست قطع أو سبع قطع كانت فى خرقته (خرقة كان يمسح بها وجهه قدر دانقين)

تأبينه ورثاؤه

فأبنه ورثاه كثير من الشعراء ، ولنذكر بعض أبيات من قصائد بعضهم من قصيدة للهيضم بن أحمد :

« ياناعى العلم بيوم أحمدا نعيت بحراً كان يجرى مزبدا »
« ومكرمات وتقى وسؤددا صلابة فى دينه تجردا »
« إذا غدا قلت الربيع قد غدا يا أحمد الخير الذى تحمّدا »
« أشبهت سفيان الذى تعبدا ومسعراً دانيته ومعضدا »
« أشبهتهم قناعة ومهتدى وعفة نبت بها ومقتدى »
« وكنت فى هذا وذاك أوحدا سميت فى هذا وذاك المفردا »

ورثاه أبو مزاحم الخاقانى فقال :

« جزى الله ابن حنبل التقيا عن الإسلام إحسانا هنيا »

« فقد أعطاه إذ صبر احتسابا   على الأسواط إيمانًا قويا »

« هو الورع الذى امتحنوه قدما   فألفوه علياً لا غبيا »

« وجاء بصادق الآثار حتى   أقام بذلك الدين الرضيا »

« حبا المتوكل السنى بدءا   وعودا أحمد المال السنيا »

« فآثر أحمد الاقلال زهداً   على الدنيا وكان بها سخيا »

« فأحمد جامع ورعا وزهدا   وعلمًا نافعاً حبراً تقيا »

« وأحمد كان للفتوى إمامًا   رضى للمسلمين معًا وفيا »

« وأحمد محنة للناس طرا   يميز به المعوج والسويا »

ورثاه جعفر بن أحمد السراج فقال :

« سقى الله قبراً حل فيه ابن حنبل   من الغيث وسميًا على إثره ولى »

« على أن دمعى فيه ريٌّ عظامه   إذا فاض مالم يبل منها وما يلى »

« فلله رب الناس مذهب أحمد   فان عليه ماحييت معولى »

« دعوه الى (خلق القرآن) كمادعوا   سواه فلم يسمع ولم يتأول »

« ولا رده ضرب السياط وسجنه   عن السنة الغراء والمذهب الجلى »

« ولما يزدهم والسياط تنوشه   فشلت يمين الضارب المتبتل »

« على قوله القرآن وليشهد الورى   كلامك يارب الورى كيف ماتلى »

« فمن مبلغ أصحابه أننى به   أفاخر أهل العلم فى كل محفل »

« وألقى به الزهاد كل مطلق   من الخوف دنياه طلاق التبتل »

« مناقبه إن لم تكن عالماً بها — فكشف طروس القوم عنهن واسأل »
« لقد عاش فى الناس حميداً موفقاً — وصار الى الأخرى الى خير منزل »
« وإنى لراج أن يكون شفيع من — تولاه من شيخ ومن متكهل »
« ومن حدث قد نور الله قلبه — اذا سألوا عَنْ أصله قال حنبلى »

زوجاته

تزوج رضى الله عنه بعد سن الأربعين ، وأول زوجاته (عائشة) بنت الفضل أم صالح من العرب ولم يولد له منها غير صالح ثم توفيت

قال المروزى : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : أقامت معى أم صالح ثلاثين سنة فما اختلفت أنا وهى فى كلمة

والزوجة الثانية (ريحانة) أم عبد الله

قال زهير : لما ماتت عائشة أم صالح تزوج جدى بعدها امرأة من العرب يقال لها : (ريحانة) فولد له منها عمى عبد الله ولم يولد له منها غيره

سراريه

كان رضى الله عنه قد اشترى جارية اسمها (حُسن)

قال زهير بن صالح : لما توفيت أم عبد الله اشترى (حُسن)

فولدت منـه أم على (واسمها زينب) ثم ولدت الحسن والحسين (توأمان) وماتا بالقرب من ولادتهما ، ثم ولدت الحسن ومحمداً فعاشا حتى صارا من السن الى نحو الأربعين سنة ، ثم ولدت بعدهما سعيدا

واشترى جارية ثانية بثمن يسير سماها (ريحانة) استنانا برسول الله صلى الله عليه وسلم . فعلى هذا يكون قد اشترى جاريتين إحداهما فى حياة زوجته والله أعلم

أولاده

قد ذكرنا أن (صالحا) من أم (وعبد الله) من أم ، وان حُسنا الجارية ولدت له (الحسن والحسين) ثم ولدت ثالثا يسمى (بالحسن) أيضاً ثم ولدت (محمداً) وولدت (سعيداً وزينب) وتكنى أم على

ذكر نبذ من أقواله رضي الله عنه

كان رضى الله عنـه يقول : يؤكل الطعام بثلاث : مع الاخوان بالسرور ، ومع الفقراء بالإيثار ، ومع أبناء الدنيا بالمروءة

وكان يقول : إن لكل شىء كرما ، وكرم القلب الرضى عن الله عزوجل

وكان يقول : إذا مات أصدقاء الرجل ذل

وكتب الى سعيد بن يعقوب : بسم الله الرحمن الرحيم – من أحمد ابن محمد الى يعقوب، أما بعد، فان الدنيا داء ، والسلطان داء ، والعالم طبيب، فاذا رأيت الطبيب يجر الداء الى نفسه فاحذره، والسلام عليك

نبذ من شعره

يروى أنه كان ينشد الشعر، فمما يؤثر عنه أنه قال :

« إذا ماخلوت الدهر يوما فلاتقل   خلوت ولكن قل على رقيب »
« ولا تحسبن الله يغفل ساعة   ولا أن ماتخفى عليه يغيب »
« لهونا عن الأعمال حتى تتابعت   ذنوب على آثارهن ذنوب »
« فياليت إن الله يغفر مامضى   ويأذن فى توباتنا فنتوب »
« إذا مامضى القرن الذى أنت فيهم   وخلفت فى قرن فأنت غريب »

وكان يقول :

« تفنى اللذاذة ممّن نال صفوتها   من الحرام ويبقى الإثم والعار »
« تبقى عواقب سوء من مغبتها   لاخير فى لذة من بعدها النار »

وقد أنشد فى على بن المدينى الذى باع دينه بدنياه فقال :

« يابن المدينى الذى عرضت له   دينا فجاء بدينه لينالها »
« ماذا دعاك الى انتحال مقالة   قد كنت تزعم كافرا من قالها »
« أمر بدا لك رشده فتبعته   أم زهرة الدنيا أردت نوالها ؟ »

« ولقد عهدتك مرة متشددا صعب المقالة للتى ندعى لها »

« ان المرزأ من يصاب بدينه لا من يرزأ ناقة وفصالها »

المذهب الحنبلى

المذهب الحنبلى منسوب الى الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى رضى الله عنه المولود ببغداد سنة ١٦٤ ﻫ والمتوفى بها سنة ٢٤١ ﻫ

ومذهبه رابع مذاهب أهل السنة المعمول بها ، وقد ظهر أولا فى بغداد، ثم انتشر فى كثير من بلاد الشام ؛ ولكنه ضعف الآن ، ولا يزال يتبعه فى أنحاء الشام بقسميها الشمالى والجنوبى بعض قرى لاتزاحمه فيها مذاهب أخرى

وقد عرف مذهب الحنابلة بمصر فى القرن السابع للهجرة مع أنه ظهر بالعراق فى القرن الرابع

وأول إمام من الحنابلة حلّ بمصر الحافظ عبد الغنى المقدسى (صاحب العمدة) كما ذكره فى رسالته المرحوم أحمد باشا تيمور

وليس للمذهب الحنبلى غلبة على قطر من الأقطار الاسلامية اللّهم إلّا على البلاد النجدية الآن

وللنـاس فيما يعشقون مذاهب . وقد أنشد بعضهم فى قلة عدد المتبعين للمذهب الحنبلى فقال :

« يقولون لى قد قلّ مذهب أحمد
وكل قليـل فى الأنام ضئيل »

« فقلت لهم : مهلاً غلطتم بزعمكم
ألم تعلموا أن الـكرام قليل ؟ »

٥ – أبو الحرث الامام الليث بن سعد

ابن عبد الرحمن رضي الله عنه

الإمام الليث بن سعد هو الإمام الكبير القدر، المعظم الشأن فى الدين والعلم والكرم

نسبه وكنيته – الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفقيه يكنى أبا الحرث، يقال:

انه مولى بنى فهم، ثم لآل خالد بن ناشر بن طاعن الفهمى، ثم من بنى كنانة بن عمرو بن القيس وكان اسمه فى ديوان مصر فى موالى بنى كنانة من فهم، وأهل بيته يقولون: نحن من الفرس من أهل أصبهان. وقال يعقوب بن سفيان: كان الليث يقول: أصلنا من أصبهان

وقال أبو أحمد الحاكم: يكنى أبو الحرث الليث بن سعد مولى بنى فهم من قيس بن رفاعة

مولده – قال البخارى فى تاريخه: قال يحيى بن بكير. ولد الليث لأربع عشرة خلت من شعبان سنة أربع وتسعين. وكذا قال ابن حبان وراد يوم الجمعة. وكان مولده (بقرقشندة) على نحو أربعة فراسخ من الفسطاط

طلبه للعلم وتقدمه فيه

قال أبو صالح كاتب الليث : خرجت مع الليث فى سنة إحدى وستين فشهدنا الأضحى ببغداد ، فقال لى الليث : سل عن منزل (هشيم الواسطى) فقل له : أخوك الليث المصرى يقرأ عليك السلام ويسألك أن تبعث اليه شيئاً من كتبك ؟ فذهبت اليه ففعل ، فكتبت لليث منها وسمعتها من هشيم مع الليث

وروى غير واحد عن الليث قال : دخلت على نافع مولى ابن عمر فقال : من أين ؟ قلت من أهل مصر . قال : ممن ؟ قلت : من قيس . قال : ابن كم ؟ قلت : ابن عشرين . قال : أما لحيتك فلحية ابن أربعين

قال الحسن بن سعيد : خرجنا مع الليث بن سعد الى الاسكندرية ومعه ثلاث سفائن : سفينة فيها مطبخه ، وسفينة فيها عياله ، وسفينة فيها أضيافه ، فقلنا : ياسيدى إنَّا نسمع منك أحاديث ليست فى كتبك . فقال : أو كلما فى صدرى فى كتبى ؟ لو وضعت مافى صدرى فى كتبى ماوسعته هذه السفينة

قال عمرو بن خالد لليث : بلغنى أنك أخذت بركاب ابن شهاب الزهرى . قال : نعم للعلم ، فأما لغير ذلك فلا ، والله مافعلته بأحد قط

مناقبه

مروءته وكرم أخلاقه وكرمه

قال أبو صالح كاتب الليث : كنا على باب مالك بن أنس فامتنع علينا (أى احتجب) فقلنا: ليس يشبه هذا صاحبنا . قال : فسمع مالك كلامنا فأمر بادخالنا عليه فقال لنا : من صاحبكم ؟ قلنا : الليث بن سعد . قال : تشبهونى برجل كتبت اليه فى قليل عصفر نصبغ به ثياب صبياننا فانفذ الينا منه ماصبغنا به ثياب صبياننا وثياب جيراننا و بعنا الفضل بألف دينار

قال عبد الله بن صالح : صحبت الليث عشرين سنة فكان لايتغدى وحده ، ولا يتعشى وحده إلَّا مع الناس

قال منصور بن عمار : أتيت الليث فأعطانى ألف دينار وقال : صن بهذه الحكمة التى آتاك الله تعالى

وقال أيضاً : كنت عند الليث جالساً فأتته إمرأة ومعها قدح فقالت له : ياأبا الحرث إن زوجي يشتكى وقد نعت (وصف) لنا العسل . فقال : اذهبى الى الوكيل فقولى له : يعطيك (مطراً) فجاء الوكيل

يسارّه بشيء . فقال له الليث : اذهب فاعطها مطراً، أنهاسألت بقدرها فأعطيناها بقدرنا . قال :(والمطر عشرون ومائة رطل أو نحو مائة رطل مصرى تقريباً)

وقال يونس بن عبد الأعلى : كان دخل الليث فى كل سنة مائة ألف دينار وما وجبت عليه زكاة قط

وقال محمد بن عبد الحكم : أنه كان يدخل لليث فى كل سنة أكثر من ثمانين ألف دينار وما وجبت عليـه زكاة قط؛ لأن الحول كان لاينقضى عنه حتى ينفقها ويتصدق بها

وقال ابن يونس : كان له قرية بمصر يقال لها (العرفا) يحمل اليه من خراجها فيجعل ذلك صرراً ويجلس على باب داره ويعطى صرة لهذا وصرة لهذا حتى لايدع إلّا اليسير من ذلك

وقال أبو حاتم بن حبان : كان الليث لايتردد اليه أحد إلا أدخله فى جملة عياله مادام يتردد اليه؛ ثم إن أراد الخروج زوّده بالبُلغة الى وطنه (أى باليسير من الزاد)

وحكى ابن النحوى من مناقبه قال : بلغنى عن يونس بن عبد الأعلى الصدفى أنه قال : صودر برجل من أهل مصر فى زمن الليث بن سعد ونودى على داره فبلغت أربعة آلاف درهم ، فاشتراها الإمام الليث ابن سعد و بعثنى آخذ المفاتيح فوجدت فيها أيتاماً وعائلة فقالوا : بالله

عليك اتركنا إلى الليل حتى ننظر خربة نذهب اليها

قال : فتركتهم وجئت اليه وأخبرته بالقصة فبكى وقال : عد اليهم وقل لهم : الدار لكم ، ولكم مايقوم بكم فى كل يوم

وقال الترمذى : سمعت قتيبة يقول : كان الليث فى كل صلاة يتصدق على ثلثمائة مسكين

وقال أشهب : كان الليث لايرد سائلا ، وكان يطعم الناس الهرائس بعسل النحل وسمن البقر فى الشتاء ، وفى الصيف بشىء من اللوز والسكر

قال ابن وهب : كان الليث يصل مالكا كل سنة بمائة دينار ، وكتب اليه مرة : إن على دينا فبعث اليه بخمسمائة دينار . وقيل : ان الإمام مالكا أهدى اليه صنية فيها تمر فأهداها مملوءة ذهبا

زهده وقناعته

وقال يحيى بن بكير : رأيت الفقراء يزدحمون على باب الليث بن سعد وهو يتصدق عليهم حتى لم يبق أحد منهم حتى مشى وأنا معه على سبعين بيتاً من الأرامل ، ثم انصرف

فمشيت معه فبعث غلامه بدرهم فاشترى زيتاً وخبزاً ، ثم جئت الى بابه فرأيت أربعين ضيفاً جاء اليهم باللحم والحلوى ؛ فلما أصبح قلت لغلامه : بالله عليك لمن الخبز والزيت ؟ فقال : يطعم ضيفانه اللحم والحلوى ، وما رأيته يأكل إلَّا خبزاً وزيتاً

صدقه

قال يحيى بن بكير عن ابن وهب : دخلت على مالك فسألنى عن الليث فقال : كيف هو ؟

فقلت بخير . قال : كيف صدقه ؟ قلت : يا أبا عبد الله أنه لصدوق

قال : أما أنه إن فعل متعه الله بسمعه و بصره

ثناء الأئمة عليه

قال أحمد بن حنبل : الليث كثير العلم صحيح الحديث

وقال يحيى بن بكير : مارأيت فيمن رأيت مثل الليث ، وما رأيت أكمل منه ، كان فقيه البلد ، عربى اللسان ، يحسن القرآن والنحو والحديث والشعر ، والمذاكرة ، الى أن عد خمس عشرة خصلة مارأيت مثله . وقال أيضاً : الليث أفقه من مالك ، ولكن كانت الحظوة لمالك

ولما أتى الشافعى مصر أتى قبر الليث بن سعد وقال : مافاتنى شيء كان أشد على من ابن أبي ذئب والليث بن سعد

وقال الشافعى : الليث أنفع للأثر من مالك

وروى أن الإمام الشافعى وقف على قبر الإمام الليث وقال :

للهِ دَرك يا إمام لقد حزت أربع خصال لم يكملهن عالم : العلم ، والعمل ، والزهد ، والكرم

وقال أيضاً : الليث أفقه من مالك إلَّا أن أصحابه لم يقوموا به ، وفى رواية عن الشافعى ضيَّعه قومه ، وفى أخرى ضيَّعه أصحابه ، أى لم يدونوا فقهه كما دونوا فقه مالك وغيره

وقال ابن حبان : كان الليث من سادات أهل زمانه فقهاً وعلماً وحفظاً وفضلاً وكرماً

وقال النووى فى تهذيبه : أجمعوا على جلالته وأمانته وعلو مرتبته فى الفقه والحديث

وقال ابن وهب : لولا مالك والليث لضللنا . وقال أيضاً : والله الذى لا إله إلا هو مارأينا أحداً قط أفقه من الليث

عظم قدره عند الخلفاء

قالوا : إن الأمراء بمصر لايقطعون أمراً دون الليث وكانوا يحترمونه ويعظمونه

وقال أشهب بن عبد العزيز : كان لليث أربع مجالس كل يوم (١) مجلس لحوائج السلطان (٢) ومجلس لأصحاب الحديث (٣) ومجلس

لأصحاب المسائل (٤) ومجلس لحوائج الناس ، لا يسأله أحد فيرده صغرت حاجته أو كبرت

قصته مع هارون الرشيد وعفته

قال (لولو) خادم الرشيد : جرى بين هارون الرشيد وبنت عمه زبيدة بنت جعفر كلام . فقال هارون : أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة ، ثم ندم ، فجمع الفقهاء فاختلفوا، ثم كتب الى البلدان فاستحضروا علماءها اليه . فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا ؛ وبقى شيخ لم يتكلم ، وكان فى آخر المجلس ، وهو الليث بن سعد ؛ قال : فسأله ، قال : إذا خلى أمير المؤمنين مجلسه كلمته ، فصرفهم . فقال : يدنينى أمير المؤمنين – فأدناه . فقال : أتكلم على الأمان ؟ قال : نعم ، فأمر باحضار مصحف ، فأحضر . فقال : تصفحه يا أمير المؤمنين حتى تصل الى سورة الرحمن فاقرأها ، ففعل ، فلما انتهى الى قوله تعالى :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾

قال : أمسك ياأمير المؤمنين ، قل : والله ، قال : فاشتدّ ذلك على هارون ؛ فقال : ياأمير المؤمنين الشرط أملك ، فقال : والله حتى فرغ اليمين ، قال : قل إنى أخاف مقام ربى ، فقال ذلك ، فقال : ياأمير المؤمنين : (فهى جنتان وليست بجنة واحدة)

قال : فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر . فقال له الرشيد : أحسنت ياأبا الحرث وأمر له بالجوائز والخلع ، وأمر له باقطاع الجيزة ، ولا يتصرف أحد بمصر إلا بأمره ، وصرفه مكرماً

وقيل : ان الرشيد أمر له بخمسة آلاف دينار فردها وقال : ادفعها لمن هو أحوج اليها منى

قال عبد الله بن صالح : سمعت الليث بن سعد يقول : لما قدمت على هارون الرشيد قال لى : ياليث ماصلاح بلدكم ؟ قلت : يا أمير المؤمنين صلاح بلدنا إجراء النيل ، وصلاح أميرها ومن رأس العين يأتى الكدر ، فاذا صفارأس العين صفت العين . قال : صدقت ياأبا الحرث

وفاته

مات الليث بن سعد سنة خمس وسبعين ومائة فى يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شعبان

وقال ابن حبان : مات فى النصف من شعبان

قال خالد بن عبدالسلام الصدفى : جالست الليث بن سعد وشهدت جنازته مع أبى فما رأيت جنازة قط بعدها أعظم منها ، ورأيت الناس كلهم عليهم الحزن ويعزى بعضهم بعضاً ، فقلت لأبى : ياأبت كان كل واحد من هؤلاء صاحب الجنازة . فقال لى : يابنى،الليث بن سعد كان

لأصحاب المسائل (٤) ومجلس لحوائج الناس ، لا يسأله أحد فيرده صغرت حاجته أو كبرت

قصته مع هارون الرشيد وعفته

قال (لولو) خادم الرشيد : جرى بين هارون الرشيد وبنت عمه زبيدة بنت جعفر كلام . فقال هارون : أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة ، ثم ندم ، فجمع الفقهاء فاختلفوا ، ثم كتب الى البلدان فاستحضروا علماءها اليه . فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا ؛ وبقي شيخ لم يتكلم ، وكان في آخر المجلس ، وهو الليث بن سعد ؛ قال : فسأله ، قال : إذا خلى أمير المؤمنين مجلسه كلمته ، فصرفهم . فقال : يدنيني أمير المؤمنين — فأدناه . فقال : أتكلم على الأمان ؟ قال : نعم ، فأمر باحضار مصحف ، فأحضر . فقال : تصفحه يا أمير المؤمنين حتى تصل الى سورة الرحمن فاقرأها ، ففعل ، فلما انتهى الى قوله تعالى :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾

قال : أمسك ياأمير المؤمنين ، قل : والله ، قال : فاشتدّ ذلك على هارون ؛ فقال : ياأمير المؤمنين الشرط أملك ، فقال : والله حتى فرغ اليمين ، قال : قل إني أخاف مقام ربي ، فقال ذلك ، فقال : ياأمير المؤمنين : (فهي جنتان وليست بجنة واحدة)

قال : فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر . فقال له الرشيد : أحسنت ياأبا الحرث وأمر له بالجوائز والخلع ، وأمر له باقطاع الجيزة ، ولا يتصرف أحد بمصر إلا بأمره ، وصرفه مكرماً

وقيل : ان الرشيد أمر له بخمسة آلاف دينار فردها وقال : ادفعها لمن هو أحوج اليها منى

قال عبد الله بن صالح : سمعت الليث بن سعد يقول : لما قدمت على هارون الرشيد قال لى : ياليث ماصلاح بلدكم ؟ قلت : ياأمير المؤمنين صلاح بلدنا إجراء النيل ، وصلاح أميرها ومن رأس العين يأتى الكدر ، فاذا صفارأس العين صفت العين . قال : صدقت ياأباالحرث

وفاته

مات الليث بن سعد سنة خمس وسبعين ومائة فى يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شعبان

وقال ابن حبان : مات فى النصف من شعبان

قال خالد بن عبدالسلام الصدفى : جالست الليث بن سعد وشهدت جنازته مع أبى فما رأيت جنازة قط بعدها أعظم منها ، ورأيت الناس كلهم عليهم الحزن ويعزى بعضهم بعضاً ، فقلت لأبى : ياأبت كان كل واحد من هؤلاء صاحب الجنازة . فقال لى : يابنى، الليث بن سعد كان

عالمـاً كريماً ، حسن العقل ، كثير الأفضال ، يابنى لاترى مثله أبداً

وقد عاش إحدى وثمانين سنة ودفن فى مقابر الصدفى بالقرافة الصغرى

ولده

ولده (شعيب) كان من أجل العلماء ومعدود من المحدثين ، وكان كريماً كوالده

قال ابن أبى الدنيا : حج شعيب بن الليث سنة من السنين فتصدق بمال عظيم فمرّ عليه رجل من العلماء فسأل عنه . فقيل له : هذا العالم ابن العالم ، الـكريم ابن الـكريم

ولمـا فقد أباه بعد موته رحل الى الشام ودخل دمشق فجاءه رجل وقال : أنا عبد أبيك ومعى لأبيك تجارة بألفى دينار ، وأنا الآن فى الرق فخذ مال أبيك واعتقنى إن شئت ، وإلّا فبعنى فقال : أنت حرٌّ ، والمال الذى بيدك هبة منى اليك

قال الخطابى : فلا أدرى أيهما أفضل ؟ العبد فى إقراره بالمال ، أم السيد حين أعتقه وأعطاه المال ؟

وحكى عنه أيضاً : أنه جاءه إنسان فقال له : ياسيدى كان والدك يعطينى فى كل سنة مائة دينار

فأعطاه مائة دينار إلا دينارا، فقال : يا سيدى أعجزت عن دينار ؟ فقال : لا ؛ ولـكنى فعلت ذلك تأدبًا مع والدى

وكان والده رضى الله عنه قد أوصاه بحفظ العلم ودرس الحديث

وقد مات بعـد أبيه ودفن بجواره ، وقبره الآن أمام قبر أبيه فى المكان الذى يلى المصطبة المقابلة لباب المشهد ، وعلى مكانه باب مغلق وليس فى المكان قبر سواه

ومعه فى القبر محمد بن هارن الصدفى وهو أخوه لأمه

٦ — الامام سفيان بن سعيد الثورى

ولد سنة ٩٧ هـ — وتوفى سنة ١٥٥ هـ

نسبه — أبو عبد الله سفيان بن سعيد . بن مسروق . بن حبيب . ابن رافع . بن عبد الله . بن وهب . بن أبىّ . بن عبد الله . بن منقذ ابن نصر . بن الحكم . بن الحرث . بن ثعلبة . بن ملكان . بن ثور . ابن عبد مناة . بن أد . بن طابخة . بن الياس . بن مضر . بن نزار . ابن معد . بن عدنان الثورى الكوفى

مولده — ولد فى سنة خمس ، وقيل ست ، وقيل سبع وتسعين للهجرة بالكوفة

بعض مناقبه — كان رضى الله عنه إماماً فى الحديث وغيره من العلوم ، وكانوا يسمونه : أمير المؤمنين فى الحديث ، وأجمع الناس على دينه ، وورعه ، وزهده ، وثقته

وهو أحد الأئمة المجتهدين . ويقال : أن الشيخ أبا القاسم الجنيد كان على مذهبه

قال سفيان بن عيينة : مارأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثورى

وقال مالك : كانت العراق تجيش علينا بالدراهم والثياب، ثم صارت تجيش علينا بالعلم منذ جاء سفيان الثورى

وقال أبو اسحٰق الفزارى : لو خيرت لهذه الأمة لما اخترت لها إلا سفيان الثورى

وقال الخطيب : كان سفيان الثورى إماماً من أئمة المسلمين وعلماً من أعلام الدين ، مجمعاً على إمامته بحيث يستغنى عن تزكيته مع الاتقان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد . وكان يمكث اليومين والثلاثة لا يأكل حتى يضربه الجوع شغلاً عنه بما هو فيه من العبادة . وكان لايجلس فى صدر مجلس قط؛ إنما كان يقعد فى جنب حائط يجمع بين كتبه

سمع سفيان الثورى الحديث من أبى اسحٰق السَّبِيْعى ، والأعمش ومن فى طبقتهما ، وسمع منه الأوزاعى وابن جريج ، ومحمد بن اسحٰق ، ومالك ، وتلك الطبقة

وحكى عن أبى صالح شعيب بن حرب المدائنى ، وكان أحد السادة الأئمة الأكابر فى الحفظ والدين أنه قال : اننى لأحسب يُجاء بسفيان الثورى يوم القيامة حجة من الله على الخلق يقال لهم : لم تدركوا نبيكم عليه أفضل الصلاة والسلام ، فلقد رأيتم سفيان الثورى ألا اقتديتم به ؟

وكان رضى الله عنه جريئًا على الخلفاء والأمراء لايخشى فى الحق لومة لائم

سفيان الثورى والمهدى

ذكر المسعودى فى مروج الذهب مامثاله : قال القعقاع بن حكيم : كنت عند المهدى وأتى سفيان الثورى ، فلما دخل عليه سلّم تسليم العامة ، ولم يسلم بالخلافة ، والربيع قائم على رأسه متكئًا على سيفه ، يرقب أمره ، فأقبل عليه المهدى بوجه طلق وقال له :

ياسفيان تفرّ منا هٰهنا وهٰهنا وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك ، فقد قدرنا عليك الآن ، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا ؟

قال سفيان : إن تحكم فىَّ يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل

فقال الربيع : ياأمير المؤمنين ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ؟ ائذن لى أن أضرب عنقه

فقال له المهدى : اسكت ، ويلك ، وهل يريد هذا وأمثاله إلّا أن نقتلهم فنشقى بسعادتهم ، اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على ألا يعترض عليه فى حكم

امتناعه عن قضاء الكوفة

فكتب عهده ، ودفع اليه ، فأخذه وخرج ، فرمى به فى دجلة وهرب ، فطُلب فى كل بلد فلم يوجد ، ولما امتنع من قضاء الكوفة وتولاه شريك بن عبد الله النخعى قال الشاعر :

« تحرز سفيان وفرَّ بدينه وأمسى شريك مرصداً للدراهم »

وكان يقول للمهدى فى وجهه : احذر من هؤلاء الأعوان والمترددين اليك من الفقراء، فان هلاكك على أيديهم، يأكلون طعامك، ويأخذون دراهمك، ويغشونك، ويمدحونك بما ليس فيك

سفيان الثورى وأبو جعفر المنصور

بعث أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين الخشابين أمامه حين خرج الى مكة وقال : إذا رأيتم سفيان الثورى فاصلبوه ، فوصلوا الى مكة ونصبوا الخشب وجاءوا اليه ، فوجدوه نائماً رأسه فى حجر الفضيل ابن عياض ورجلاه فى حجر سفيان بن عيينة فقالوا : يا أبا عبد الله اتق الله ، ولا تشمت بنا الأعداء ، فتقدم الى استار الكعبة فأخذها وقال : برئت منه إن دخلها أبو جعفر، فمات قبل أن يدخل مكة

وفاته

خرج من الكوفة الى البَصرة سنة ١٥٥ خمس وخمسين ومائة وتوفى رضى الله عنه بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة ، متواريا من السلطان ، ودفن عشاءً رحمه الله تعالى ، ولم يعقب ، وقوَّموا ثياب الثورى التى عليه حتى النعل فبلغ درهما وأربعة دوانق ، وهذا دليل كاف على زهده وورعه

نبذ من أقواله وحكمه

كان رضى الله عنه يقول : لاينبغى للرجل أن يطلب العلم والحديث حتى يعمل فى الأدب عشرين سنة . من تصدر للعلم قبل أن يحتاج اليه أورثه ذلك ذلاً . لو علمت من الناس أنهم يريدون بالعلم وجه الله تعالى لأتيت الى بيوتهم فعلمتهم ؛ ولكن إنمايريدون به مجاراة الناس وأن يقولوا حدثنا سفيان ، وكانوا إذا قالوا حدثنا يقول : ما أراكم أهلا للحديث، ولا أرى نفسى أهلا لأن أحدث ، وما مثلى ومثلكم إلا كما قال القائل : افتضحوا فاصطلحوا . أحب لطالب العلم أن يكون فى كفاية فان الافات وألسن الناس تسرع اليه اذا احتاج وذل . إنما يطلب العلم ليتقى به الله تعالى فمن ثم فضل على غيره ، ولولا ذلك كان

كبائر الأشياء . أول العلم طلبه ، ثم العمل به ، ثم الصمت ، ثم نظره ، ولو أن أهل العلم أخلصوا فيه ما كان عمل أفضل منه . من رأى نفسه على أخيه بالعلم والعمل حبط أجر عمله وعلمه، ولعل أخاه يكون أورع منه على حرم الله عز وجل . اذا رأيتم العالم يلوذ بباب السطان فاعلموا أنه لص، وإذا رأيتموه يلوذ بباب الأغنياء فاعلموا أنه مُراءٍ . إذا فسد العلماء فَمن يصلحهم ؟ وفسادهم بميلهم الى الدنيا ؛ وإذا جر الطبيب الداء الى نفسه فكيف يداوى غيره ؟

وكان يقول رضى الله عنه : قد ظهر من الناس الآن أمور يشتهى الرجل أن يموت قبلها، وما كنا نظن أننا نعيش لها . ما كنت أظن أن أعيش الى زمان اذا ذكرت الأحياء ماتت القلوب ، وإذا ذكرت الأموات حَيَت القلوب . المال فى زماننا هذا سلاح للمؤمن . الحلال فى زماننا لايحتمل السرف . لابد لمن يحتاج الى الناس أن يبذل لهم دينه فيما يحتاج، فيمسك على مابيده من المال . لاتجب أخاكَ الى طعام إلا اذا كنت ترى أن قلبك يصلح على طعامه

وكان يقول : إذا بلغك عن قرية أن بها رخصاً فارحل اليها فانه أسلم لقلبك ودينك وأقل لهمك . لاتصحب فى السفر من يتكرم عليك ، فانك إن ساويته فى النفقة أضرَّ بك ، وإن تفضل عليك استعبدك

الزهد فى الدنيا هو قصر الأمل ، ليس بأكل الخشن ، ولا بلبس الغليظ والعبادة. إزهد فى الدنيا ونم لالك ولا عليك. إن الرجل ليكون عنده المال وهو زاهد فى الدنيا ، و إن الرجل ليكون فقيراً وهو راغب فيها . أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام

وكان يرد مايعطاه ويقول : لو أنى أعلم فيهم أنهم لايفتخرون على بعطائهم لأخذته منهم ، ولذلك كان يجوع ولا يقترض ويقول : انهم لا يكتمون ذلك ؛ بل يروح أحدهم ويقول : جاءنى سفيان الثورى البارحة واقترض منى كذا

وسُئل عن رجل يكتسب لعياله ولوصلى فى الجماعة لفاته القيام عليهم ماذا يصنع ؟

قال : يكتسب لهم قوتهم ويصلى وحده

وكان يقول: إذا سمعتم ببدعة فلا تحكوها لأصحابكم ، ولا تلقوها فى قلوبكم . قد قلّ أهل السنة والجماعة فى زماننا هذا

ونصح يوماً انساناً رآه فى خدمة المولاة فقال : فما أصنع بعيالى ؟ فقال : ألا تسمعون لهذا ؟ يقول : أنه اذا عصى الله رزق عياله ، وإذا أطاعه ضيعهم ؛ ثم قال : لاتقتدوا قط بصاحب عيال فانه قلّ صاحب عيال أن يسلم من التخليط وعذره دائما فى أكل الشبهات والحرام قوله عيالى . لاطاعة للوالدين فى الشبهات

قيل له : ألَّا تدخل على الولاة فتتحفظ ، وتعظهم، وتنهاهم ؟ فقال : تأمرونى أن أسبح فى بحر ولا تبتل قدماى، إنى أخاف أن يترحبوا بى فأميل اليهم فيحبط عملى

شكى اليه رجل مصيبته فقال : قم عنى ، ماوجدت أحداً أهوَن فى عينيك منى تشكو الله تعالى عنده ، اصبر واذ كر قول الله تعالى : « إنا لله و إنا اليه راجعون »

وكان يقول : إذا أرضيت ربك أسخطت الناس، و إذا أسخطتهم فتهيأ للسهام ، والتهيؤ للسهام أحب من أن يذهب دين الرجل

***

وكتب إلى عابد من العباد : اعلم يا أخى أنك فى زمان كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذون أن يدركوه ومعهم من العلم ماليس معنا ، ولهم من القدم ماليس لنا ، فكيف بنا حين أدركناه على قلة العلم ، وقلة الصبر ، وقلة الأعوان على الخير ، وفساد فى الزمان ؟

فعليك بالأمر الأول والتمسك به ، وعليك بالخمول ، فان هـذا زمان خمول ، وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس ، فقد كان الناس إذا

التقوا ينتفع بعضهم ببعض ، فأما اليوم فقد ذهب ذلك ، فالنجاة الآن فى تركهم فيما نرى

وإياك يا أخى والأمراء أن تدنو منهم ، أو تخالطهم فى شىء من الأشياء ، ويقال لك : تشفَّع أو تدرأ عن مظلوم، أو ترد مظلمة ، فان ذلك من خديعة إبليس ؛ وإنما اتخذ ذلك القراء سلماً للقرب منهم ، واصطياداً للدنيا بذلك

٧ – الامام أبى عَمرو الاوزاعى

خلاصة ما كتبه الأستاذ العلامة الأمير شكيب أرسلان بشأنه في كتابه « محاسن المساعى » الذى ظهر حديثا وطبع بمطبعة الحلبى

نسبه ومولده – هو أبوعمرو عبدالرحمن بن عَمرو بن يحمد الأوزاعى نسبة الى (أوزاع) وهى قرية بالشام ، ولد فى (بعلبك) سنة ثمان وثمانين وقيل : سنة ثلاث وتسعين

نشأته – نشأ بالبقاع يتيماً فى حجر أمه، وكانت تنتقل به من بلد الى بلد إلى أن بلغته ، حيث رأته، وتأدب بنفسه ، فلم يكن فى أبناء الملوك والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه ، ولا أورع ، ولا أعلم ، ولا أنصح ، ولا أوقر، ولا أحلم ، ولا أكثر صمتاً ما تكلم بكلمة إلّا كان المتعين على من يسمعها من جلسائه أن يكتبها عنه من حسنها

صفاته الخَلقية – كان فوق الربعة ، خفيف اللحية ، به سمرة ، وكان يخضب بالحناء

علمه ومكانته – كان رضى الله عنه عالماً ، ساد أهل زمانه وسائر البلاد فى الفقه والحديث والمغازى وغير ذلك من علوم الإسلام ، وقد

أدرك خلقاً من التابعين وغـيرهم ، وحدّث عنه جماعات من سادات المسلمين كمالك بن أنس ، والثورى ، والزهرى ، وهو من شيوخه

وكان رضى الله عنه من الطبقة الأولى فى مجتهدى الإسـلام ، لايتأخر مكانه عن مكان الأئمة الأربعة : أبى حنيفة النعمان ، ومالك ابن أنس ، ومحمد بن إدريس الشافعى ، وأحمد بن حنبل رضى الله عنهم جميعاً

وكان رحمه الله إمام أهل الشام باجماع المؤرخين ، وتبعاً لانتشار مذهبه فى الشام انتشر فى الأندلس ، وأول من أدخـله فيها صعصعة ابن سلام لمـا انتقل اليها

ويقال : إن أهل الشام لبثوا يعملون بمذهب الأوزاعى فى الفقه نحواً من مائتين وعشرين سنة إلى أن غلب عليهم مذهب الشافعى ؛ وإن أهل الأندلس لبثوا يعملون به الى زمن الأمير هشام بن عبد الرحمن الأموى إلى أن غلب مذهب مالك على تلك الديار ، وذلك فى أوائل المـائتين للهجرة

ولم يكن الأوزاعى عالمـاً كباقى العلماء ؛ بل كان عالمـاً وعاملاً ليطبق العلم على العمل ، ولا يكتفى بالحفظ والنظر

عبادته وورعه — وكان ممن يهمه أمر الأمة بأجمعها ، وممن لايقتصر على الصلاة والعبادة مبتغياً بها رضا الله تعـالى ، والنجاة بنفسه دون

السعى لتوزيع العدالة فى خلقه ، وإراحـة عباد الله أجمعين ؛ بل كان رحمه الله مع شدة ورعه ، وكثرة عبادته يعمل بالحديث الشريف :

« عدل ساعة خير من عبادة ألف شهر »

وهذا كان مالك رضى الله عنه يقول عن الأوزاعى : أنه يصلح للإمامة

وكان أبو اسحاق الفزارى يقول : الأوزاعى رجـل عامة ، ولو خيرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعى ، أى إماماً وخليفة

سياسته ونصحه للملوك والخلفاء – لقد كان رحمه الله يتعرض للسياسة العامة ، وينصح للملوك والخلفاء ، ويغلظ لهم القول إذا رأى من أعمالهم مايضر بالأمة ، وكان على مايوجبه الإسلام من إيتاء كل إنسان حقه بدون تمييز بين الأديان والمذاهب

وبالجملة كان الأوزاعى من أحسن الأمثلة المجسمة البـارزة عن معالى الإسلام ، الدالة على أنه دين العدل والإحسان ، دين المحافظة على حقوق الأنام

كرمه وسخاؤه – كان رحمه الله من أكرم الناس وأسخاهم ، وكان له فى بيت المـال من الخلفاء اقطاع ، صار اليه من بنى أمية وأقاربهم وبنى العباس نحو من سبعين ألف دينار ، وكان ينفقها كلها ولا يدخر منها شيئاً ، وكان أكثر إنفاقه فى سبيل الله ، وعلى الفقراء والمساكين

شجاعته وجراءته – كان رحمه الله من الجراءة على الخلفاء والأمراء مايقل نظيره فى تاريخ الإسلام ، ولعمرى لو كان العلماء الذين من صنف الأوزاعى عدداً كبيراً فى الإسلام لما أسرع الفساد الى المجتمع الإسلامى ، ولما انحطت دول الإسلام بعد ذلك العلو فى الأرض

وقلّ فى الإسلام من كان يصادم الخلفاء فى مآربهم، ويوبخهم فى وجوههم، وندكر بعضهم : وذلك مثل عالم المدينة أبى الحارث محمد بن عبد الرحمن بن أبى ذئب العامرى الزاهد الورع الذى قال للمنصور يوماً : الظلم ببابك فاش

ومثل أحمد بن نصر الخزاعى الشهير الذى كان قوّالا بالحق ، أمّاراً بالمعروف،وقتله الواثق بالله لكونه أغلظ له فى الحق وقال له : مَه يا صبى

ومثل أحمد بن حنبل الذى خاصم المأمون فى مسألة خلق القرآن ولم يتزحزح عن قوله رغم كل ما أصابه،

ومثل أبى حنيفة النعمان الذى تعرض للعذاب ولم يقبل القضاء

ومثل القاضى مَصعب بن عمران الذى أراده الأمير عبد الرحمن بن معاوية الأموى على قضاء قرطبة والأندلس فأبى أشد الإباء وأصر عليه الأمير الى حد الغضب و بقى على إصراره

ومثل قاضى مصر المشهور بالعدل والهيبة أبى عبيد بن حربويه الذى

كان أمير مصر يركب الى داره ، وهو لم يكن يركب الى دار الأمير

الأوزاعى وأبو جعفر المنصور

اجتمع الأوزاعى بالمنصور حين قدم الشام ووعظه فأحبه المنصور وعظمه ، ولما أراد الانصراف من بين يديه استأذنه ألّا يلبس السواد فأذن له

فلما خرج قال المنصور للربيع (الحاجب) الحقه فاسأله لِمَ كره لبس السواد ؟ ولا تعلمه أنى قلت لك . فسأله الربيع ، فقال : لأنى لم أرَ مُحرماً أحرم فيه، ولاميتاً كفن فيه، ولاعروساً جُليت فيه، فلهذا أ كرهه

وكتب أبو جعفر المنصور الى الأوزاعى الكتاب الآتى :

أما بعد ، فقد جعل أمير المؤمنين فى عنقك ماجعل الله لرعيته قبلك فى عنقه، فاكتب اليه بما رأيت فيه المصلحة

فكتب الأوزاعى اليه :

أما بعد،فعليك يا أمير المؤمنين بتقوى الله عزوجل ، وتواضع يرفعك الله تعالى يوم يضع المتكبرين فى الأرض بغير الحق

واعلم أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تزيد حق الله تعالى عليك إلّا وجوباً

وكتب أيضاً الأوزاعى الى أبى جعفر المنصور كتاباً طويلا ابتدأه بقوله :

أما بعد ، فان الله تعالى استرعاك هذه الأمة لتكون فيها بالقسط قائما ، وبنبيه صلى الله عليه وسلم فى خفض الجناح والرأفة متشبهاً .

وختمه بقوله : يأمير المؤمنين إن أشد الشدة القيام بحق الله ، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى ، إن من طلب العز بطاعة الله تعالى رفعه الله تعالى ، ومن طلبه بمعصية أذله الله تعالى ووضعه ، هذه نصيحتى اليك والسلام عليك

وفاته وسببها

توفى لرحمة مولاه فى سنة سبع وخمسين ومائة ، يوم الأحد لليلتين بقيتا من صفر ، وقيل فى شهر ربيع الأول ، بمدينة بيروت ، ودفن فى قرية على باب بيروت يقال لها (ختوس) وأهلها مسلمون

وهو مدفون فى قبلة المسجد ، وأهل القرية لايعرفونه؛ بل يقولون : هٰهنا رجل صالح ينزل عليه النور ، ولا يعرفه إلَّا الخواص من الناس ، وهو مفخرة مسلمى بيروت ولبنان بنوع خاص

أما سبب وفاته فذكر الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق : أن الأوزاعى دخل الحمام ببيروت ، وكان لصاحب الحمام شغل فأغلق

الحمام عليه وذهب ؛ ثم جاء ففتح الباب فوجده ميتاً قد وضع يده اليمنى تحت خده وهو مستقبل القبلة

وقيـل : ان امرأته فعلت ذلك ولم تكن عامدة لذلك ، فأمرها سعيد بن عبد العزيز بعتق رقبة

تأبينه

لـما توفى رحمه الله رثاه بعضهم بقوله :

« جاد الحيا بالشام كل عشية قبراً تضمن لحدُه الأوزاعى »
« قبر تضمن فيـه طود شريعة سقياً له من عالم نقّاع »
« عرضت له الدنيا فأعرض مقلعاً عنها بزهد أيما إقلاع »

نبذ من أقواله وحكمه

كان رحمه الله يقول : عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس ؛ وإياك وأقوال الرجال وإن زخرفوه وحسنوه، فان الأمر ينجلى وأنت منه على طريق مستقيم

وقال : إن المؤمن يقول قليلاً ويعمل كثيراً ، وان المنافق يقول كثيراً ويعمل قليلاً

إن الميت يجد ألم الموت مالم يبعث من قبره، أو الى أن يبعث من قبره

إن فى السماء ملكاً ينادى كل يوم ، ألا ليت الخلائق لم يُخْلقوا ، ويا ليتهم إذ خلقوا عرفوا لِمَ خلقوا ، وجلسوا فذكروا ماعملوا ، يعنى فندموا واستغفروا

وكان يقول : خمس كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم باحسان :

لزوم الجماعة ، واتباع السنة ، وعمارة المسجد ، وتلاوة القرآن ، والجهاد فى سبيل الله عز وجل

وقال : من أكثر من ذكر الموت كفاه اليسير ، ومن علم أن منطقه من عمله قل كلامه

وقال : قال لى أبى : لو قبلنا من الناس كل مايعطوننا لهنّا عليهم

وقال : اصبر بنفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل السلف الصالح ، فانه يسعك ماوسعه ، ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول ، ولا يستقيم الايمان والقول إلا بالعمل ، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة

قال : كان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل ، فالعمل من الإيمان ، والإيمان من العمل ، وإنما الإيمان اسم جامع فمن آمن بلسانه ، وعرف بقلبه ، وصدق ذلك بعمله ، فتلك العروة الوثقى لا انفصام لها ؛ ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدق بعمله لم يقبل منه وكان فى الآخرة من الخاسرين

ثانياً - مناقب الائمة الصالحين الأخيار

من آل بيت النبي المختار

١ - مناقب سيدنا الحسن السبط

ولد سنة ٣ ﻫ وتوفى سنة ٥٠ ﻫ

نسبه الشريف - هو الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما، وأمه السيدة البتول سيدة النساء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أشرف نسب

مولده - ولد الحسن رضى الله عنه بالمدينة المنورة فى منتصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، وهو أول أولاد الإمام على رضى الله عنهما ، والسيدة فاطمة سيدة نساء العالمين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عميس وأم سلمة رضى الله عنهما: أُحضرا فاطمة فاذا وقع ولدها واستهل صارخاً فأذِّنا فى أذنه اليمنى ، وأقيما فى أذنه اليسرى ، فانه لا يُفعل ذلك بمثله إلَّا عُصم من الشيطان ، ولا تحدثا شيئاً حتى آتيكما

فلما ولدت السيدة فاطمة فعلتا ما أمرهما به الرسول عليه الصلاة

والسلام ، وأتى الرسول فسرَّه ولباه بريقه وقال : اللَّهم إنى أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم

ولما كان اليوم السابع من مولده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماسميتموه ؟ قالوا : حرباً (لميل العرب الى الشجاعة) قال : بل سموه حسناً. وقال : يافاطمة إحلقى رأسه ، وتصدقى بزنة شعره فضة، فوزناه فكان وزنه درهما أو بعض درهم ، ثم طلى رأسه بيده المباركة وختمه صلى الله عليه وسلم

وقد أرضعته (أم الفضل) امرأة العباس بن عبد المطلب

كنيته و ألقابه

كنيته أبو محمد : وأما ألقابه فكثيرة وهى : التقى ، والزكى ، والسيد والسبط (ولدالولد [1])والولى،وأكثرهاشهرة التقى ، وأعلاهارتبةمالقبه به النبى صلى الله عليه وسلم ، كما فى الحديث الصحيح أن ابنى هذا (سيد)

شبهه بالنبى ﷺ

روى البخارى فى صحيحه عن عقبة بن الحارث قال : صلى أبو بكر رضى الله عنه العصر ثم خرج يمشى ومعه على رضى الله عنهما ، فرأى الحسن رضى الله عنه يلعب مع الصبيان فحمله أبو بكر رضى الله عنه على

(١) ويغلب على ولد البنت

عاتقه وقال : بأبى شبيه بالنبى صلى الله عليه وسلم ليس شبيهاً بعلى .

قال : وعلى رضى الله عنه يبتسم

الأحاديث التى وردت فى فضله وتعظيمه

وقد ورد فى فضله رضى الله عنه أحاديث كثيرة : فمن ذلك مارواه البخارى ومسلم مرفوعا الى البراء رضى الله عنه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم والحسن بن على على عاتقه وهو يقول : اللهم إنى أحبه فأحبه

وروى الترمذى مرفوعا الى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل الحسن بن على رضى الله عنهما فقال رجل : نعم المركب ركبت يا غلام . فقال النبى عليه الصلاة والسلام : ونعم الراكب هو

وروى عن الحافظ أبى نعيم فيما أورده فى حديثه عن أبى بكر رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بنا فيجىء الحسن رضى الله عنه وهو ساجد وهو إذ ذاك صغير فيجلس على ظهره ، ومرة على رقبته ، فيرفعه النبى صلى الله عليه وسلم رفعاً رقيقاً ، فلما فرغ من الصلاة قالوا : يا رسول الله إنا رأيناك تصنع بهذا الصبى شيئاً مارأيناك تصنعه بأحد . فقال : إن هذا ريحانتى وإن ابنى هذا سيد ، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين

وروى الترمذى عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة »

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هما ريحانتاى من الجنة

وروى أنه صلى الله عليـه وسلم مرّ بالحسن والحسين وهما يلعبان فطأطأ لهما عنقه وحملهما وقال : نعم المطية مطيتهما ، ونعم الراكبان هما . وكان صلى الله عليه وسلم يعوذهما بالكلمات الآتية :

أعيذ كما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة

مناقبه

أدبه وتواضعه ورده للجميل بالاحسان

يحكى عن الحسن بن الإمام على رضى الله عنهما حكاية تدل على رده للجميل وشكره على المعروف وأدبه وتواضعه وذلك :

أنه مرّ بصبيان من المساكين الذين يسألون الناس على الطرق وقد نثروا كسراً على الأرض ولقماً من العيش

وكان الحسن على بغلته ، فلما مرّ بهم سلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا : هَلُمَّ الغذاء يابن رسول الله ؟ فقال : نعم (إن الله لايحب

المتكبرين) ثم ثنى وركه فنزل عن دابتـه ، وقعد معهم على الأرض وأقبل يأكل

وبعد أن فرغوا من الأكل – وكان الخبز الذى معهم قليلاً – قام سيدنا الحسن وأركبهم معه الى منزله ، ثم أطعمهم أنواعاً من الأكل ، وكساهم بعد ذلك

فلما سُئل فى سبب إطعامهم وكسوتهم ؟ قال : الفضل لهم ؛ لأنهم لم يجدوا معهم غير قطع الخبز الذى أطعمونى ؛ ولـكنى أجد كثيراً مما أعطيتهم ، فيجب أن أقابل الحسنة بمثلها أو بأحسن منها

كرمه

كان رضى الله عنه كريمـاً ، فمن كرمه مانقل عنه : أنه سمع رجلا يسأل ربه أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فانصرف الحسن الى منزله وبعث بها اليه

ومنه أن رجلا سأله وشكااليه حاله ،فدعا الحسن وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته ومقبوضاته حتى استقصاها فقال له : هات الفاضل ؟ فأحضر خمسين ألف درهم ؛ ثم قال : مافعلت بالخمسمائة دينار التى معك ؟ قال : عندى . قال : فأحضرها . فلما أحضرها دفع الدراهم والدنانير الى الرجل واعتذر منه

قصته مع العجوز التى أكرمها بألف شاة وألف دينار

روى أبو الحسن المدائنى قال: خرج الحسن والحسين، وعبد الله ابن جعفر رضى الله عنهم حُجاجًا الى بيت الله الحرام، فلما كانوا ببعض الطريق جاعوا وعطشوا وقد فاتتهم أثقالهم، فنظروا الى خباء فقصدوه فاذا فيه عجوز، فقالوا: هل من شراب؟ فقالت: نعم. فأناخوا بها وليس عندها إلّا شاة فقالت: احلبوها واشربوا لبنها. ففعلوا ذلك، وأقاموا عندها حتى أبردوا. فلما ارتحلوا من عندها قالوا لها: ياهـذه نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه، فاذا رجعنا سالمين فألمى بنا فانا صانعون بك خيراً إن شاء الله تعالى؛ ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته الخبر فغضب وقال:

وَيحك تذبحين شاتنا لقوم لانعرفهم ثم تقولين نفر من قريش

ثم بعد زمن طويل أصابت المرأة وزوجها الفاقة فاضطرتهم الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها يلتقطان البعر، فمرّت العجوز فى بعض سكك المدينـة ومعها مكتلها تلتقط فيه البعر والحسن رضى الله عنه جالس على باب داره، فنظر اليها فعرفها فناداها وقال لها:

يا أمة الله هل تعرفيننى؟ فقالت: لا. فقال: أنا أحـد ضيوفك يوم كذاسنة كذا فى المنزل الفلانى، فقالت: بأبى أنت وأمى لست أعرفك

قال : فان لم تعرفيني فأنا أعرفك ، فأمر غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة وأعطاها ألف دينار ، وبعث بها مع غلامه الى أخيه الحسين رضى الله عنه ، فلما دخل بها الغلام على أخيه الحسين عرفها وقال : بكم وصلها أخى الحسن ؟ فأخبره الغلام ، فأمر لها بمثل ذلك ثم بعث بها الغلام الى عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما ، فلما دخلت عليه عرفها وأخبره الغلام بما فعل معها الحسن والحسين رضى الله عنهما فقال : والله لو بدأت بى لأتعبتهما ، وأمر لها بألفى شاة وألفى دينار ، فرجعت وهى من أغنى الناس

تصدقه ومواساته للفقراء

وكان رضى الله عنه من شدة كرمه يواسى الفقراء ولا يرد سائلاً فقيل له : لأى شىء نراك لاترد سائلا وإن كنت على فاقة ؟ فقال : إنى لله سائل ، وفيه راغب ، وأنا أستحى أن أكون سائلاً وأرد سائلاً ، وإن الله تعالى عودنى عادة ، عوّدنى أن يفيض نعمه علىّ ، وعودته أن أفيض نعمه على الناس ، فأخشى إن قطعت أن يمنعنى العادة،وأنشد يقول :

« إذا ما أتانى سائل قلت مرحباً   بمن فضله فرض علىّ مُعجل »

« ومَن فضله فضل على كل فاضل   وأفضل أيامِ الفتى حين يسأل »

وكان رضى الله عنه جالساً ذات يوم، فأتاه رجل وسأله أن يعطيه شيئاً من الصدقة ، ولم يكن عنده مايسد به رمقه ، فاستحيا أن يرده فقال : ألا أدلك على شيء يحصل لك منه البرُّ والخير الكثير ؟ فقال : ماذا تدلنى عليه ؟ فقال : اذهب الى الخليفة فان ابنته توفيت، وانقطع عليها، وما سمع من أحد تعزية ، فعزه بهذه التعزية يحصل لك بها الخير الكثير . فقال : حفظنى إياها . قال : قل له : «الحمد لله الذى سترها بجلوسك على قبرها ، ولا هتكها بجلوسها على قبرك» وفى رواية أخرى : «الحمد لله الذى أعزها بجلوسك على قبرها، ولم يذلها بجلوسها على قبرك »

فذهب الى الخليفة وعزاه بهذه التعزية ، فسمعها الخليفة فذهب عنه الحزن، فأمر له بجائزة سنية وقال : بالله عليك أكلامك هذا ؟ قال : لا ؛ بل كلام فلان . فقال : صدقت،فانه معدن الكلام الفصيح ، وأمر له بجائزة أخرى لصدقه

قصته مع معاوية ومصالحته معه

قال أصحاب السير : لما استشهد على رضى الله عنه عمد أهل العراق الى ابنه الحسن فبايعوه، ثم أشاروا عليه بالمسير ليأخذ الشام من معاوية ، وسار معاوية بجيش الشام يقصده ، فلما تقارب الجيشان ،

وتراءى الجمعان ، بموضع يقال له (مسكن بناحية الأنبار) من أرض السواد علم الحسن أنه لم تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى ، فرأى أن المصلحة فى جمع الكلمة وترك القتال « وهكذا السياسة الحكيمة من الرجل المصلح الحكيم »

فكتب الى معاوية يراسله، ويخبره بأنه يصير الأمر اليه وينزل عنه على أن يشترط عليه ألّا يطالب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشىء مما كان فى أيام أبيه ، وأن يكون ولى العهد من بعده ، وأن يمكنه من بيت المال ليأخذ حاجته منه ، ففرح معاوية وأجاب الى ذلك ، إلّا أنه قال : إلّا عشرة أنفس لاأؤمنهم ، فراجعه الحسن فيهم فكتب اليه معاوية : إنى قد آليت إننى متى ظفرت بقيس بن سعد بن عبادة قطعت لسانه ويده . فراجعه الحسن ، إنى لا أبايعك أبداً وأنت تطلب قيساً وغيره بتبعة قلت أو كثرت ، فبعث اليه معاوية حينئذ برق أبيض وقال له : اكتب ماشئت فيه فأنا ألتزمه، فاصطلحا على ذلك

فكتب الحسن كل ما اشترط عليه من الأمور المذكورة، واشترط أن يكون له الأمر من بعده ، فالتزم ذلك كله معاوية ، فخلع الحسن نفسه ، وسلّم الأمر الى معاوية ببيت المقدس تورعاً وقطعاً للشر

فلما اصطلحا دخل معاوية الكوفة، وارتحل الحسن الى المدينة، وأقام

بها ، وكان نزوله عنها سنة إحدى وأربعين فى ربيع الأول ، وقيل فى جمادى الأولى ، وقيل غير ذلك

وذلك مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم فى حق الحسن : إن ابنى هذا (سيد) وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين (رواه البخارى) كما تقدم ذكره

ولكونه نزل عنها ابتغاء وجه الله عوضه الله وأهل بيته بالخلافة الباطنة، حتى ذهب قوم الى أن قطب الأولياء فى كل زمان لايكون إلَّا من أهل البيت

ولما نزل عن الخلافة كان أصحابه يقولون : ياعار المؤمنين ! فيقول : العارُ خير من النار

مرضه ووفاته

بعد أن تم الصلح بين الحسن ومعاوية ، وخرج الحسن الى المدينة أقام بها عشر سنين وسقته زوجته (جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندى) السُّم فبقى مريضاً أربعين يوماً ، وكان قد سألها يزيد فى ذلك، وبذل لها مائة ألف درهم،وأن يتزوجها بعد الحسن ففعلت

ولما مات الحسن بعثت الى يزيد بن معاوية فسألته الوفاء بماوعدها ، فقال : إنا لن نرضاك للحسن أفنرضاك لأنفسنا (وكان ذلك خدعة منه لها)

قال الحافظ أبو نعيم فى حليته : لمـا اشتد الأمر بالحسن قال : اخرجوا فراشى الى صحن الدار لعـلى أتفكر فى ملـكوت السموات (يمنى الآيات) فلما خرجوا به قال : اللهم انى أحتسب نفسى عندك فانها أعز علىّ

وعن عمرو بن اسحٰق قال : دخلت على الحسن أنا ورجل نعوده فى مرضه فقال : يافلان سلنى . فقال له : والله لا أسألك حتى يعافيك الله وأسألك . قال : لقد ألقيت طائفة من كبدى ، وإنى سقيت السُّم مراراً فلم أسقه مثل هذه المرة ، ثم دخلت عليه من الغد فوجدت أخاه الحسين رضى الله عنه عند رأسه فقال له الحسين : مَن تتهم يا أخى ؟ قال : لِمَ ؟ قال: لأن تقتله ؟ قال : نعم . قال: ان يكن الذى أظنه، فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً ، وإن لم يكن هو، فما أحب أن يقتل بى برىء

وروى أنه لمـا حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين : يا أخى قد حضرت وفاتى ، وحان فراقى ، وإنى لاحق بربى ، وأجـد كبدى تتقطع ، وإنى لعارف من أين ذهبت ؟ وأنا أخاصمه الى الله تعالى ، ثم توفى لخمس خلون من شهر ربيع الأول سـنة خمسين (وقيل تسع وأربعين) وقيل غير ذلك من الهجرة، وصلى عليـه سعيد بن العاص فانه كان واليًا يومئذ بالمدينة من جهة معاوية ودفن بالبقيع عند جدته

فاطمة بنت أسد وكان عمره سبعًا وأربعين سنة

وكانت مدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام

أولاده

قال ابن الخشاب : أولاده أحد عشر ابنا و بنت واحدة وهم :

١ عبد الله ٢ والقاسم ٣ والحسن ٤ وزيد ٥ وعمر ٦ وعبد الله ٧ وعبد الرحمن ٨ وأحمد ٩ واسماعيل ١٠ والحسين ١١ وعقيل . والبنت اسمها (فاطمة) وكنيتها أم الحسن وهى أم محمد الباقر بن على

ذكر نبذ من كلامه وحكمه رضي الله عنه

قال الحافظ أبو نعيم فى حليته بسنده :

إن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه سأل الحسن رضى الله عنه فقال :

يابنى ما السداد ؟ فقال : يا أبت السداد ، دفع المنكر بالمعروف

قال : فما الشرف ؟ قال : إصطناع العشيرة والاحتمال

قال : فما السماح ؟ قال : البذل فى العسر واليسر

قال : فما اللؤم ؟ قال : إحراز المرء ماله،و بذله عرضه

قال : فما الجبن ؟ قال : الجراءة على الصديق ، والنكول عن العدو

قال : فما الغنى ؟ قال : رضا النفس بما قسم الله لها و إن قل

قال : فما الحلم ؟ قال : كظم الغيظ ، وملك النفس

قال : فما المتعة ؟ قال : شدة البأس ، ومنازعة أعز الناس

قال : فما الذل ؟ قال : الفزع عند الصدمة

قال : فما الكلفة ؟ قال : كلامك فيما لا يعنيك

قال : فما الجد ؟ قال : أن تعطى فى العزم ، وتعفو فى الجرم

قال : فما السؤدد ؟ قال : إتيان الجميل ، وترك القبيح

قال : فما السفه ؟ قال : إتباع الدناءة وصحبة الغواة

قال : فما الغفلة ؟ قال : ترك المسجد ، وطاعة المفسد

ومن كلامه وحكمه رضى الله عنه :

لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مودة لمن لا همة له ، ولا حياء لمن لا دين له ، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل ، وبالعقل تدرك الداران جميعاً ، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً

وقال رضى الله عنه : هلاك الناس فى ثلاث : فى الكبر ، والحرص والحسد . فالكبر هلاك الدين و به لعن إبليس ، والحرص عدو النفس و به أخرج آدم من الجنة ، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل

وقال رضى الله عنه : دخلت على أبى على بن أبى طالب رضى الله عنه

وهو يجود بنفسه لما ضربه ابن ملجم ، فجزعت لذلك ، فقال لى أتجزع ؟
فقلت : وكيف لا أجزع ، وأنا أراك على هذه الحالة ؟ فقال : يابنى ، إحفظ عنى خصالا أربعاً إن أنت حفظتهن نلت بهن النجاة

يابنى : لاغنى أكثر من العقل ، ولا فقر مثل الجهل ، ولا وحشة أشد من العجب ، ولا عيش ألذ من حسن الخلق

واعلم أن مروءة القناعة والرضا أكبر من مروءة الاعطاء ، وتمام الصنيعة خير من إبتدائها

وقال رضى الله عنه : حسن السؤال نصف العلم ، ومن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه

وسُئل عن الصمت فقال : هو ستر العى ، وزين العرض ، وفاعله فى راحة ، وجليسه فى أمن

وكان رضى الله عنه يقول لبنيه و بنى أخيه : تعلَّموا العلم ، فان لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوه فى بيوتكم

مواعظه

ومن مواعظه رضى الله عنه أنه كان يقول :

يا ابن آدم، عف عن محارم الله تكن عابداً، وارض بما قسم الله لك

تكن غنياً ، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً ، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً ، إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً ، ويبنون مشيداً ، ويأملون بعيداً . أصبح جمعهم بوراً ، وعملهم غروراً ، ومساكنهم قبوراً

يا ابن آدم ، إنك لم تزل فى هدم عمرك ، منذ سقطت من بطن أمك. فجد بما فى يدك لما بين يديك ، فان المؤمن يتزود ، والكافر يتمتع

وكان يتلو هذه الآية بعدها ﴿ وَتَزَوَّدُوا فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾

٢ — سيرة سيدنا الحسين ومناقبه

عليه السلام

ولد سنة ٤ هـ ـ توفى سنة ٦١ هـ

نسبه الشريف — الإمام الحسين أبوه على كرم الله وجهه ابن أبى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم،وأمه سيدة النساء البتول فاطمة الزهراء رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أشرف نسب

مولده ـ ولد سيدنا الحسين رضى الله عنه بالمدينة المنورة لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة ، وكانت أمه قد علقت به بعد أن ولدت أخاه الحسن رضى الله عنه بخمسين ليلة ، وهكذا صح النقل فى ذلك . ولما وضعته جاءت به الى جده رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبشر به ، وحنكه بريقه ، وأذن فى آذنه ، وتفل فى فمه ، ودعا له،وسمَّاه حسيناً، يوم السابع، وعقَّ عنه كبشاً،وقال لأمه : احلقى رأسه وتصدقى بزنة شعره فضة، كما فعلت بأخيه الحسن

ويحتفل المسلمون بمولد الحسين رضى الله عنه كل سنة فى جميع بلادهم أياماً ، ولهم فى القاهرة موسم يسمونه (مولد الحسين) تزين فيه

الأسواق والبيوت ليلاً ونهاراً ، ويقرأ القرآن، ويجتمع الناس لزيارة المشهد الحسينى من ليلة الاثنين الأول من ربيع الثانى الى ليلة الأربعاء الأخير منه وهى الليلة الكبيرة ، ويتلوها بعض ليال يسمونها اليتيمة ، ثم يحتفل بالمشهد الحسينى وغيره ليلة الخامس من شعبان فى كل سنة بمولده

اسمه

سماه النبى صلى الله عليه وسلم (حسيناً) وهو اسم لم يكن لأحد قبله

عن على رضى الله عنه قال : لما ولد الحسن سميته حرباً (لميل العرب الى الشجاعة) فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : أرونى ابنى، ماسميتموه ؟ قال : قلت : حرباً . قال : بل هو (حسن)

فلما ولد الحسين سميته (حرباً) فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرونى ابنى ماسميتموه ؟ قال : قلت حرباً. فقال : بل هو (حسين) فلما ولد الثالث سميته حرباً ، فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أرونى ابني ماسميتموه ؟ قلت : حرباً . قال : بل هو (محسن)

كنيته وألقابه

كنيته أبو عبد الله لاغير، وأما ألقابه فهى : الرشيد، والطيب، والزكى، والوفى، والسيد، والمبارك، والنافع لمرضاة الله، والسبط، وأشهرها (الزكى) وأعلاها رتبة ما لقبه به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله عنه وعن أخيه الحسن (أنهما سيدا شباب أهل الجنة) وكذلك (السبط) فانه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : حسين سبط من الأسباط، فكان السيد أشرفها وكذلك السبط

ختانه

عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم عَقَّ عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام من مولدهما

رضاعه

زعم قوم أن الحسين لم ترضعه أنثى، يقصدون بذلك تعظيمه، وفضله غير محتاج الى زيادة، وقد ثبت أن رضاعه كان كسائر الناس، وأن أم الفضل هى التى أرضعته، بدليل ماجاء فى الحديث الشريف : أن أم الفضل قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله لقد رأيت

أن عضواً من أعضائك فى بيتى ، فقال لها : تلد فاطمة غلاماً وترضعينه بلبن قُثَم (ابن أم الفضل)

فولدت حسيناً فأخذته وأرضعته ، حتى تحرك ، فجاءت به النبى صلى الله عليه وسلم ، فأجلسه فى حجره فبال ، فضربته بين كتفيه فقال لها النبى : أوجعت ابنى رحمك الله

الأحاديث الواردة فى فضله وتعظيمه

قد ورد فى حقه رضى الله عنه أحاديث كثيرة تدل على عظم قدره وتشير الى ارتفاع ذكره منها :

أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : حسين منى وأنا من حسين اللَّهم أحبَّ من أحب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط

وروى ابن حبان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من سرَّه أن ينظر الى رجل من أهل الجنة (وفى لفظ) الى سيد شباب أهل الجنة فلينظر الى الحسين بن على

وروى عن أبى هريرة : أن النبى صلى الله عليه وسلم جلس فى المسجد فقال : أين لكع ؟ فجاء الحسين يمشى حتى سقط فى حجره، فجعل أصابعه فى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففتح رسول الله صلى الله

عليه وسلم فمه، أى فم الحسين ، فأدخل فاه فى فيه، ثم قال : اللّهم إنى أحبه فأحبه وأحب من يحبه

وروى عن زيد بن أبى زياد قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة فمرّ على بيت فاطمة فسمع حسيناً يبكى فقال : ألم تعلمى أن بكاءه يؤذينى ؟

وعن البراء بن عازب قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل الحسين بن على رضى الله عنهما على عاتقه وهو يقول : اللّهم إنى أحبه فأحبه

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزل قوله تعالى :

﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ قالوا : يا رسول الله مَن قرابتك الذين وجبت علينا محبتهم ؟ قال : على ، وفاطمة ، وابناهما

موجز أخبار حياته

أقام الحسين رضى الله عنه مع جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله سبع سنين ، ومع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام سبعاً وثلاثين سنة ، ومع أخيه الحسن عليه السلام سبعاً وأربعين سنة ، وكانت مدة خلافته بعد أخيه إحدى عشرة سنة . فيكون مدة حياته ٥٨ سنة

وكانت إقامة الحسين رضى الله عنه بالمدينة الى أن خرج مع أبيه الى الكوفة فشهد معه واقعة الجمل (ثم صفين) ثم قتل الخوارج وبقى معه الى أن قتل ؛ ثم مع أخيه الى أن سلَّم الأمر الى معاوية فتحول مع أخيه الى المدينة واستمر بها إلى أن مات معاوية ، فخرج إلى مكة ثم أتته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية ، فأرسل اليهم ابن عمه (مسلم بن عقيل) فأخذ بيعتهم وأرسل اليه فتوجه ، وكان ما كان من قصة قتله

وقال ابن كثير : ان الحسين رضى الله عنه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن توفى وهو عنه راض ؛ ثم كان الصديق يكرمه ويعظمه ، وكذلك عمر وعثمان وصحبَ أباه (علياً كرم الله وجهه) وروى عنه ، وكان معه فى مغازيه كلها فى الجمل وصفين ، وكان معظماً موقراً ، ولم يزل فى طاعة أبيه حتى قتل

ولما آلت الخلافة إلى أخيه الحسن وأراد أن يصالح معاوية شقَّ ذلك على الحسين ، فلما استقرت الإمارة لمعاوية كان الحسين يتردد اليه مع أخيه الحسن ، فكان معاوية يكرمهما إكراماً زائداً ويقول لهما : مرحبا وأهلاً ، ويعطيهما عطاءً جزلاً ، وقد أطلق لهما فى يوم واحد مائتى ألف وقال : خذاها وأنا ابن هند ، والله لايعطيكماها أحد قبلى

ولا بعدى . فقال الحسين : والله لن تعطى أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلين أفضل منا

ولما توفى الحسن كان الحسين يفد اليه ، ويقدم كل عام عليه

نشأته فى حياة جده رسول الله ﷺ

كان الحسين فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم طفلاً وأقام معه ست سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام

وقال عبد الله بن شداد : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إحدى صلاة العشاء وهو حامل حسناً أو حسيناً ، فتقدم النبى صلى الله عليه وسلم فوضعه ، ثم كبَّر للصلاة فأطال سجدة الصلاة ، فرفعت رأسى ، فاذا الصبى على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فرجعت الى سجودى فلما قضى الصلاة قيل : يارسول الله : إنك سجدت بين ظهرى صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى اليك

قال : كل ذلك لم يكن ؛ ولكن ابنى ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته (أخرجه النسائى)

محبة عمر بن الخطاب للحسن والحسين

قال ابن عباس : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحب الحسن والحسين ، ويقدمهما على ولده ، ولقد قسم يوماً فأعطى الحسن والحسين كل واحد منهما عشرة آلاف درهم ، وأعطى ولده عبد الله ألف درهم ، فعاتبه ولده وقال : قد علمت سبقى فى الإسلام وهجرتى وأنت تفضل علىّ هذين الغلامين . فقال : وَيحك ياعبد الله ائتنى بجد مثل جدهما ، وأب مثل أبيهما ، وأم مثل أمهما ، وجدة مثل جدتهما ، وخال مثل خالهما ، وخالات مثل خالاتهما ، وعم مثل عمهما ، وعمة مثل عمتهما : جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبوهما على كرم الله وجهه ، وأمهما فاطمة ، وجدتهما خديجة ، وخالهما إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخالاتهما زينب ورقية وأم كلثوم ، وعمهما جعفر بن أبى طالب ، وعمتهما أم هانىء بنت أبى طالب

وقال ابن عساكر فى تاريخه : جعل عمر عطاء الحسن والحسين مثل عطاء أبيهما ، فألحقهما بفريضة أهل بدر ، ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف

وقيل : قدم على عمر حلل من اليمن فكسا الناس ، فراحوا فى

الحلل وهو بين القبر والمنبر جالس والنـاس يأتون فيسلمون عليه ، ويدعون ، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة يتخطيان وكان بيت فاطمة فى جوف المسجد ليس عليهما من تلك الحلل شىء ، وعمر قاطب مابين عينيه ؟ ثم قال : والله ماهنـأنى ما كسوتكم . قالوا : لِمَ يأمير المؤمنين ؟ فقال : من أجل هـذين الغلامين يتخطيان الناس ليس عليهما مما كسوت الناس شىء

ثم كتب لصاحب اليمن : أن ابعث الىَّ بحلتين لحسن وحسين وعجل . فبعث اليه بحلتين فكساهما ، فلما كساهما قال : الآن طابت نفسى

صفة الحسين رضى الله عنه

روى الإمام البخارى عن أنس بن مالك فى مناقب الحسن والحسين فقال : كان أشبههما برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال على رضى الله عنه : الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليـه وسلم مابين الصدر الى الرأس ، والحسين أشبه ما أسفل ذلك

فمن هذين الحديثين يظهر أن الحسن والحسين كلاهما كان يشبه جده صلى الله عليه وسلم ، وكان أحدهما ، وهو الحسن ، أشد شبهاً به من الآخر فى بعض مواضع من جسمه ، أو فى زمن حياته وبعده ، وكان الحسين يتشبه به صلى الله عليه وسلم فيما لم يكن يشبهه فيه

وبالجملة كان الحسين فى غاية الجمال كما قال عبد القادر البغدادى :
مارأيت أحداً قط أحسن ولا أملأ للعين من الحسين

وروى ابن عساكر فى تاريخه أنه كان فى صوت الحسين غُنَّة حسنة وهى صوت لذيذ يخرج من أقصى الأنف ، وشبِّه به صوت الرياح فى الأشجار الملتفة ولذلك قيل (روضة غناء)

وعن أبى هريرة قال : كان الحسن والحسين يصطرعان بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى أنهما كانا يلعبان فى طفوليتهما وصباهما

وكان للحسين رضى الله عنه خاتم منقوش عليه (ان الله بالغ أمره)

وقال ابن الصباغ : نقش خاتم الحسين (لكل أجل كتاب)

مناقبه إجمالا كما ذكرها

المرحوم على بك جلال الحسينى المستشار فى كتابه (الحسين)

قد جمع الحسين رضى الله عنه الفضائل ، ومكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال ، من علو الهمة ، ومنتهى الشجاعة ، وأقصى غاية الجود والكرم ، وأسرار العلم ، وفصاحة اللسان ، ونصرة الحق ، والنهى عن المنكر ، وجهاد الظلم ، والتواضع عن عز ، والعدل والصبر ، والحلم والعفاف ، والمروءة والورع ، وغيرها

واختص بسلامة الفطرة ، وجمال الخلقة ، ورجاحة العقل ، وقوة الجسم

وأضاف الى هـذه المحامد كثرة العبادة ، وأفعال الخير والتقوى ، كالصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد فى سبيل الله والإحسان

وكان إذا أقام بالمدينة أو غيرها مفيداً بعلمه ، مرشداً بعمله ، مهذباً بكريم أخلاقه ، مؤدباً ببليغ بيانه ، سخيا بماله ، متواضعاً للفقراء ، معظما عند الخلفاء ، مواصلا للصدقة على الأيتام والمساكين ، منصفاً للمظلومين ، مستقلا بعبادته

مشى من المدينة على قدميه الى مكة حاجاً خمساً وعشرين مرة ، وعاش مدة يقاتل مع أبيه أصحاب الجمل ، فجنود معاوية ، فالخوارج وينتقل مع جيوش المسلمين الى أقطار الأرض فى فتح أفريقية وغزو جرجان وطبرستان وقسطنطينية

وهو فى جميع أيام حياته مثابر على الاهتداء بهدى جده صلى الله عليه وسلم

فكان الحسين فى وقته علم المهتدين ، ونور اليقين ، فأخبار حياته فيها هدى للمسترشدين بأنوار محاسنه ، المقتفين آثار فضله و إحسانه

كرمه وجوده

قد اشتهر النقل عنه عليه السلام بأنه كان يكرم الضيف ، ويمنح الطالب ، ويصل الرحم ، ويُنيل الفقير ، ويسعف السائل ، ويكسو العارى ، ويشبع الجائع ، ويعطى الغارم ، ويشد من الضعيف ، ويشفق على اليتيم ، ويعين ذا الحاجة ، وقلّ أن وصله مالاً إلّا فرقه (كما قال محمد بن أبي طلحة الشافعى القرشى فى (مطالب السول فى مناقب آل الرسول) فى الفصل السابع ، فى كرم الحسين وجوده

وروى أحمد بن سليمان فى(عقد اللآل فى مناقب الآل) أن الحسين عليه السلام كان جالساً فى مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام ، وكان عبد الله بن الزبير جالساً فى ناحية المسجد ، (وعتبة بن أبى سفيان) فى ناحية أخرى ، فجاء أعرابى على ناقة فعقلها بباب المسجد ، ودخل فوقف على (عتبة بن أبى سفيان) فسلّم عليه ، فرد عليه السلام ، فقال له الأعرابى إنى قتلت ابن عم لى وطولبت بالدية ، فهل لك أن تعطينى شيئًا ؟ فرفع رأسه الى غلامه وقال : ادفع اليه مائة درهم . فقال الأعرابى : ما أريد إلّا الدية تماماً ، ثم تركه وأتى عبدالله بن الزبير وقال له مثل ماقال لعتبة . فقال عبد الله لغلامه : ادفع اليه مائتى درهم . فقال الأعرابى : ماأريد إلّا الدية تماماً

ثم تركه وأتى الحسين عليه السلام فسلَّم عليه وقال : يا ابن رسول الله إني قتلت ابن عم لى وقد طولبت بالدية ، فهل لك أن تعطينى شيئًا ؟ فقال له : يا أعرابى : نحن قوم لانعطى المعروف إلَّا على قدر المعرفة . فقال : سل ماتريد ؟ فقال له الحسين عليه السلام : يا أعرابى ما النجاة من الهلكة ؟ قال : التوكل على الله عز وجل . فقال : وما الهمة ؟ قال : الثقة بالله ، ثم سأله الحسين عليه السلام غير ذلك وأجاب الأعرابى ، فأمر له الحسين عليه السلام بعشرة آلاف درهم . وقال له : هذه لقضاء ديونك ، وعشرة آلاف درهم أخرى ، وقال : هذه تلم بها شعثك ، وتحسن بها حالك ، وتنفق منها على عيالك ، فأنشأ الأعرابى يقول :

« طربت وما هاج لى مَعْبِق ولا لى مقام ولا مَعشق »
« ولكن طربت لآل الرسو ل فلذ لى الشعر والمنطق »
« هم الأكرمون هم الأنجبون نجوم السماء بهم تشرق »
« سبقت الأنام الى المكرمات وأنت الجواد فلا تلحق »
« أبوك الذى ساد بالمكرمات فقصر عن سبقه السُّبق »
« به فتح الله باب الرشاد وباب الفساد بكمُ مُغلق »

وروى ابن عساكر فى التاريخ الكبير : أن سائلا خرج يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين فقرع الباب وأنشأ يقول :

« لم يخب اليوم مَن رجاك ومَن حرّك من خلف بابك الحَلقه »

« أنت ذو الجود أنت معدنه أبوك قد كان قاتل الفسَقه »

وكان الحسين عليه السلام واقفاً يصلى فخفف من صلاته وخرج الى الأعرابى فرأى عليه أثر ضرّ وفاقة ، فرجع ونادى (بقنبر) فأجابه : لبيك يا ابن رسول الله . قال : ماتبقى معك من نفقتنا ؟ قال : مائتا درهم أمرتنى بتفرقتها فى أهل بيتك . فقال : هاتها فقد أتى من هو أحق بها منهم ، فأخذها وخرج يدفعها الى الأعرابى وأنشأ يقول :

« خُذها فانى اليك معتذر واعلم بأنى عليك ذو شفقه »

« لو كان فى سيرنا عصا تُمد اذن كانت سمانا عليك مندفقه »

« لكن ريب المنون ذو نكد والكف منا قليلة النفقه »

فأخذها الأعرابى وولى وهو يقول :

« مطهّرون تقيات جيوبهم تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا »

« وأنتم أنتم الأعلون عندكم علم الكتاب وماجاءت به السور »

« مَن لم يكن علوياً حين تنسبه فما له فى جميع الناس مفتخر »

وقال نور الدين على بن محمد بن الصباغ فى الفصول المهمة : كتب أخوه الحسن يلوم على إعطائه الشعراء . فكتب اليه : أنت أعلم منى أن خير المال ماوقى العرض

وروى السيد محسن بن عبد الكريم الحسيني ؟ أن الحسن عليه السلام : دخل على أسامة بن زيد وهو مريض وهو يقول: واغماه ! فقال الحسين عليه السلام وما غمك يا أخي ؟ قال : دَيْني ، وهو ستون ألف درهم . فقال الحسين عليه السلام : هوَ عليّ . قال : إني أخشى أن أموت فقال : لَن تموت حتى أقضيها عنك ، فقضاها قبل موته

حسن أدبه وظرفه

روى ياقوت المستعصمي في رسالته ، ونور الدين على بن محمد بن الصباغ عن أنس قال : كنت عند الحسين عليه السلام فدخلت عليه جارية بيدها طاقة ريحان فحيته بها . فقال لها : أنت حرة لوجه الله تعالى . فقلت له : جارية تحييك بطاقة ريحان فتعتقها ؟ فقال : كذا أدبنا الله ، فقال تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ وكان أحسن منها عتقها

ويحكى أن الحسن والحسين سبطى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانا على شط الفرات إذ نظرا الى شيخ أعرابى خفف الوضوء والصلاة فقالا : لو قلنا له غلطت ربما لاينقاد الى الحق . فقالا له : نحن شابان وأنت شيخ ربما تكون أعلم منا بأمر الوضوء والصلاة فنتوضأ ونصلى أمامك فان كان عندنا قصور فعلِّمنا

فتوضآ وصليا كما رأيا من جدهما صلى الله عليه وسلم فتاب الشيخ ورجع عن صنيعه

حلمه وعفوه

جنى بعض مواليه جناية توجب التأديب فأمر بتأديبه فقال : يامولاى ، قال الله تعالى : « والكاظمين الغيظ » قال عليه السلام : خلوا عنه فقد كظمت غيظى . فقال : « والعافين عن الناس » قال عليه السلام : قد عفوت عنك . فقال : « والله يحب المحسنين » قال عليه السلام : فأنت حُرٌّ لوجه الله تعالى ، وأجازه بجائزة سنية

عفته وعزة نفسه

إن الحسين عليه السلام كان عفيفًا عزيز النفس فما كان يأخذ صلات معاوية كما زعم بعضهم ؛ بل كان يأخذ منه حقه فى بيت المال . بدليل أنه قيل : أن معاوية لما قدم مكة وصله بمال كثير ، وثياب وافرة ، وكسوة فاخرة ، فردَّ الجميع عليه ، ولم يقبل منه شيئًا ، فهذه صفة العفة والنزاهة ، وصفة من حوى مكارم الأخلاق

وأنه عليه السلام لم يكن فقيراً قط ؛ بل كان له فى جميع أيام حياته من المال مايكفيه وزيادة ، وأنه كان شبيه أبيه كرم الله وجهه وجده

عليه الصلاة والسلام فى غنى النفس ، فلم يكن حريصاً على كثرة المال ولا مولعاً بجمعه ، مغرًى بادخاره ؛ بل كان جواداً كريماً ، فكان يحسن بما يزيد عن حاجته ، ويجود على غيره ، ولا يجود غيره عليه

نهيه عن الإسراف والتبذير

كان الحسين عليه السلام مع جوده الذى امتاز به ، وكرمه الذى يندر نظيره ، لايتجاوز حد السخاء الى الإسراف ، وينهى عن التبذير ، فقد روى عن ياقوت المستعصمى فى أسرار الحكماء قوله : لاتتكلف مالا تطيق ، ولا تنفق إلَّا بقدر ماتستفيد

وروى المُبرد فى الكامل والقزوينى فى عجائب المخلوقات : أن عبدالله ابن جعفر بن أبى طالب قال له الحسن والحسين عليهما السلام : إنك قد أسرفت فى بذل المال . فقال : بأبى أنتما وأمى ، إن الله تعالى عودنى أن يتفضل علىّ ، وعوَّدته أن أتفضل على عباده ، فأخاف أن أقطع العادة، فيقطع عنى المادة

شجاعته

كان الحسين عليه السلام شجاعاً مقداماً منذ كان طفلا

قال محمد بن أبى طلحة (بعد ذكر الجيش الذى أرسله ابن زياد

لقتاله) مانصه : فنصب عليه السلام نفسه وأخوته وأهله لمحاربتهم ، واختاروا بأجمعهم القتل على متابعتهم ليزيد ومبايعتهم ، فأعلقتهم الفجرة الطغام ، وأرهقتهم المردة اللئام ، ورشقتهم النبال والسهام . هذا والحسين عليه السلام ثابت لاتخف حصاة شجاعته ، ولا تجف عزيمة شهامته ، وقدمه فى المعترك أرسى من الجبال ، وقلبه لايضطرب لهول القتال ، ولا لقتل الرجال

وروى ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة فقال : مَن مِثل الحسين ابن على عليهما السلام (يوم الطف) مارأينا مكثورا قد أفرق من إخوته وأهله وأنصاره أشجع منه ، كان كالليث المحرب يحطم الفرسان حطماً ، وما ظنك برجل أبت نفسه الدنية ، وأن يُعطى بيده فقاتل حتى قتل هو وبنوه وإخوته وبنو عمه بعد بذل الأمان لهم ، والتوثقة بالأيمان المغلظة ، وهو الذى سن للعرب الاباء واقتدى به أبناء الزبير وبنو المهلب وغيرهم

وقال أيضاً : سيد أهل الآباء الذى علم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف اختياراً له على الدنية ، أبو عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب عليهما السلام ، عرض عليه الأمان وأصحابه فأنف من الذل ، وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان مع أنه لايقتله فاختار الموت على ذلك

وجاء فى لسان العرب فى حديث مقتل الحسين عليه السلام ما يأتى : مارأينا مكثوراً أجرأ مقدماً منه (المكثور المقلوب وهو الذى تكاثر عليه الناس فقهروه) أى مارأينا مقهوراً أجرأ إقداماً منه

وقال على بن عيسى فى كشف الغمة : شجاعة الحسين عليه السلام يضرب بها المثل ، وصبره فى الحرب أعجز الأواخر والأوائل

فراسته

ذكر ابن قيم الجوزية فقال : من أنواع الفراسة فراسة الحسين رضى الله عنه ، وهى :

أن رجلا ادعى عليه مالاً ، فقال الحسين عليه السلام : ليحلف على ما ادعاه ويأخذه

فتهيأ الرجل لليمين وقال : والله الذى لا إلٰه إلَّا هو . فقال الحسين : قل والله ، والله ، والله ، إن هذا الذى تدعيه ، فبكى . ففعل الرجل ذلك وقام فاختلفت رجلاه وسقط ميتاً

فقيل للحسين : لِمَ فعلت ذلك ؟ أى عدلت عن قوله (والله الذى لا إلٰه إلَّا هو) الى قوله . والله ، والله ، والله . فقال : كَرهت أن يثنى على الله فيحلم عنه

ومقتضى العقل والتجربة فى ذلك أن من عرضت عليه اليمين فقد

فوض اليه حصمه أن يحكم فى النزاع بينهما بالعدل ولو عليه ثقة منه به ، والذى يحلف كاذباً يكره نفسه على مخالفة الحق ، ويحس أنه ظلم خصمه فتلومه نفسه ، ويكون لكل هذا أثر فى أعصابه

فخصم الحسين عليه السلام فاجر حلف كاذباً ثم أدرك خطأه وتذكر عظيم شأن اليمين وجليل قدر الحسين وشهرته بالصدق فخاف العقاب فى الآخرة ، والعار فى الدنيا ، ولامته نفسه فحدث له رعب شديد ، وصدمة عصبية ، كما يقول الأطباء فمات . (وهذا ماقرره المرحوم على بك جلال فى كتابه)

عبادته وصلاته

كان الحسين عليه السلام فاضلاً كثير الصلاة والصوم والحج والصدقة وأفعال الخير جميعها كما رواه ابن الأثير

تواضعه

روى ابن عساكر فى تاريخه : أن الحسين مرّ بمساكين يأكلون فى الصُفة فقالوا : الغذاء ، فنزل وقال : إن الله لايحب المتكبرين ، فتغذى معهم ثم قال لهم :

قد أجبتكم فأجيبونى . قالوا : نعم . فمضى بهم الى منزله وقال لخادمته (الرباب) أخرجى ما كنت تدخرين

روى ابن قتيبة فى عيون الأخبار : أن عبـد الله بن الزبير دعا الحسين عليه السلام فحضر وأصحابه فأكلوا ولم يأكل فقيل له : ألاَ تأكل ؟ فقال : إنى صائم ؛ ولـكن تحفة الصائم . قيل : وما هى . قال : الدُهن والمجمر (العود يوضع فى الجمر يتبخر به) فهو وان كان امتنع عن الأكل ؛ ولـكنه أجاب الداعى وطلب شيئاً من الطيب تطييباً لخاطره وإكراماً للداعى والحاضرين

علمـه

إن الحسين عليه السلام كان عالمـاً فاضلاً ، وكان الناس يقدمون عليه بالمدينة وينتفعون بما يسمع منه ، ويضبطون مايروونه عنه

وذكر ابن عمر الحسن والحسين رضى الله عنهما فقال : إنمـا كانا يغرّان العلم غرّاً

نبذ من كلامه وحكمه

قال الحسين عليه السلام

١ - اذا سمعت أحداً يتناول أعراض الناس فاجتهد ألّا يعرفك ، فان أشقى الأعراض به معارفه

٢ - لاتتكلف مالاتطيق ، ولا تتعرض لمـا لاتدرك ، ولا تعد بما

لاتقدر عليه ، ولا تنفق إلّا بقدر ماتستفيد ، ولا تطلب من الجزاء إلّا بقدر ماصنعت ، ولا تفرح إلّا بما نلت من طاعة الله تعالى ، ولا تتناول إلّا مارأيت نفسك له أهلا . (عن ياقوت المستعصمى فى أسرار الحكماء)

٣ – شر خصال الملوك الجبن عن الأعداء ، والقسوة على الضعفاء ، والبخل عن الإعطاء

٤ – قال لنافع بن الأزرق لما قال له : صِف لى إلٰهك الذى تعبد

يانافع من وضع دينه على القياس ، لم يزل الدهر فى الالتباس ، مائلا إذا كبا عن المنهاج ، ظاعنًا بالاعوجاج ضالًا عن السبيل ، قائلًا غير الجميل ؛ ياابن الأزرق أصف إلٰهى بما وصف به نفسه فأقول :

لايدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، قريب غير ملتصق ، وبعيد غير مستقص ، يوَحَّد ولا يُبعَض ، معروف بالآيات ، موصوف بالعلامات ، لا إلٰه إلّا هو الكبير المتعال . فبكى الأزرق وقال : ما أحسن كلامك ؟ فقال : بلغنى أنك تشهد على أبى وعلى أخى بالكفر وعلىّ . قال ابن الأزرق : أما والله ياحسين لئن كان ذلك لقد كنتم منار الإسلام ، ونجوم الأحكام (عن ابن عساكر)

٥ – ومن كلامه رضى الله عنه : حوائج الناس من نعم الله عليكم ، فلا تملوا النعم فتعود نقمًا

وقال : صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك ، فأكرم وجهك عن رده

وقال : الحلم زينة ، والوفاء مروءة ، والصلة نعمة ، والاستكثار صلف ، والعجلة سفه ، والسفه ضعف ، والغلو ورطة ، ومجالسة أهل الدناءة شر ، ومجالسة أهل الفسوق ريبة

بعض كتبه

١ — كتابه الى معاوية فى أمر خاص

كتب معاوية الى الحسين عليه السلام

من أمير المؤمنين معاوية الى الحسين بن على :

أما بعد : فانه بلغنى أنك تزوجت جاريتك ، وتركت أكفاءك من قريش ممن تستنجبه للولد ، وتمجد به فى الصهر ، فلا لنفسك نظرت ، ولا لولدك انتقيت

فكتب اليه الحسين :

أما بعد : فقد بلغنى كتابك ، وتعبيرك إياى بأنى تزوجت مولاتى وتركت أكفائى من قريش ، فليس فوق رسول الله منتهى فى شرف ، ولا غاية فى نسب ؛ وإنما كانت ملك يمينى خرجت عن يدى بأمر

التمست فيه ثواب الله ، ثم ارتجعتها على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة ، ووضع عنابه النقيصة ، فلا لوم على امرئ مسلم إلّا فى أمر مأثم ، وإنما اللوم لوم الجاهلية

فلما قرأ معاوية كتابه نبذه الى يزيد فقرأه وقال : لشد مافخر عليك الحسين . قال : لا ؛ ولكنها ألسنة بنى هاشم الحداد التى تفلق الصخر ، وتغرف من البحر

٢ — كتابه الى أهل الكوفة

لما تتابعت على الحسين مع رسل أهل الكوفة كتبهم يستدعونه ، كتب الحسين اليهم جميعاً كتاباً واحداً ودفعه الى هانئ بن هانئ وسعيد بن عبد الله وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم – من الحسين بن على إلى من بلغه كتابى هذا من أوليائه وشيعته بالكوفة

سلام عليكم ، أما بعد فقد أتتنى كتبكم ، وفهمت ماذ كرتم من محبتكم بقدومى عليكم ، وأنا باعث اليكم بأخى وابن عمى وثقتى من أهلى (مسلم بن عقيل) ليعلم لى كنه أمركم ، ويكتب الىّ بما يتبين له من

اجتماعكم ، فان كان أمركم على ما أتتنى به كتبكم ، وأخبرتنى به رسلكم أسرعت القدوم عليكم ، إن شاء الله ، والسلام

أما صورة الكتاب الذى أرسل اليه من أهل الكوفة فهاهو :

بسم الله الرحمن الرحيم — للحسين بن على أمير المؤمنين من شيعته وشيعة أبيه رضى الله عنهما

أما بعد ، فان الناس منتظروك ، لارأى لهم فى غيرك ، فالعجل العجل يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحق ، ويؤيد الإسلام بك ، بعد أجزل السلام وأتمه عليك ، ورحمة الله وبركاته

٣ — كتابه الى أهل الكوفة مع قيس بن سهر الصيداوى

بسم الله الرحمن الرحيم — من الحسين بن على إلى إخوانه من المؤمنين المسلمين

سلام عليكم ، فانى أحمد اليكم الله الذى لا إله إلّا هو ، أما بعد فان كتاب مسلم بن عقيل جاءنى يخبرنى فيه بحسن رأيكم ، واجتماع ملئكم على نصرنا ، والطلب بحقنا ، فسألت الله أن يحسن لنا الصنع ، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء

لثمان مضين من ذى الحجة (يوم التروية) فاذا قدم عليكم رسولى فاكتموا أمركم وجدوا ، فانى قادم عليكم فى أيامى هذه إن شاء الله تعالى والسلام

٤ — كتابه الى أهل البصرة

روى ابن جرير الطبرى وابن كثير ، أن الحسين بعث مع مولى له يقال له (سليمان) كتاباً الى أشراف أهل البصرة نسخة واحدة فيه :

أما بعد ، فان الله اصطفى محمداً على خلقه ، وأكرمه بنبوته ، واختاره لرسالته ، ثم قبضه اليه ، وقد نصح لعباده ، وبلغ ما أرسل به ، وكنا أهله وأولياءه وورثته ، وأحق الناس بمقامه ، فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرضينا وكرهنا الفرقة ، وأحببنا العاقبة ، ونحن نعلم إنا أحق بذلك الحق ممن تولاه ، وقد أحسنوا ، وأصلحوا ، وتحروا الحق ، فرحمهم الله ، وغفر لنا ولهم

وقد بعثت اليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم (الى كتاب الله وسنة نبيه) فان السنة قد أُميتت ، وإن البدعة قد أُحييَت ، فان تسمعوا قولى وتطيعوا أمرى ، أهدكم إلى سبيل الرشاد ، والسلام عليكم ورحمة الله

بعض خطبه فى المواعظ والحكم

قال رضى الله عنه فى خطبة خطبها : أيها الناس نافسوا فى المكارم ، وسارعوا فى المغانم ، واكتسبوا الحمد بالمنح ، واعلموا أن المعروف يكسب حمداً ، ويعقب أجراً ، ولو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين ، ولو رأيتم اللؤم رأيتموه سمجاً مشوهاً تنفر منه القلوب وتغض دونه الأبصار

أيها الناس : من جاد ساد ، ومن بخل ذل . وان أجود الناس من أعطى من لايرجوه ، وأعف الناس من عفا عن قدرة ، وأفضل الناس من وصل من قطعه ، ومن يعجل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه ، ومن أحسن أحسن الله اليه ، والله يحب المحسنين

ومن كلامه فى الحرب التى اختار الله له بها ماعنده فى خطبة ألقاها : بعد أن حمد وصلى قال : قد نزل من الأمر ماترون ، وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت ، وأدبر معروفها وانشمرت ، حتى لم يبق منها إلَّا كصبابة الإناء ، وإلا خسيس عسيس كالمرعى الوبيل ، ألَّا ترون الحق لايعمل به ، والباطل لايتناهى عنه ؟ ليرغب المؤمن فى لقاء الله عز وجل وإنى لاأرى الموت إلا سعادة ، ولا أرى الحياة مع الظالمين إلَّا جرماً

خطبة له فى اليوم الذى استشهد فيه

قال ابن عساكر فى كتاب التاريخ الكبير : خطب الحسين فى اليوم الذى استشهد فيه فقال بعد الحمد والثناء : عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر ، فان الدنيا لو بقيت لأحد أو بقى عليها أحد لكانت الأنبيا أحق بالبقاء ، وأولى بالرضاء ، وأرضى بالقضاء ، غير أن الله خلق الدنيا للبلاء ، وخلق أهلها للفناء ، فجديدها بال ، ونعيمها مضمحل ، وسرورها مكفهر ، والمنزل بُلغة (اليسير من الزاد) والدار قلعة (أى ليست بمستوطنه) فتزودوا ، فان خير الزاد التقوى ، واتقوا الله لعلكم تفلحون

دعاؤه

روى محمد بن جرير الطبرى وابن كثير : أنه لما صبَّحت الخيل الحسين يوم الطف (اليوم الذى استشهد فيه الحسين) رفع يديه فقال :

اللَّهم أنت ثقتى فى كل كرب ، ورجائى فى كل شدة ، وأنت لى فى كل أمر نزل ثقة وعدة ، كم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد ، وتقل فيه الحيلة ، ويخذل فيه الصديق ، ويشمت فيه العدو ، أنزلته بك ، وشكوته اليك

رغبة منى اليك عمن سواك ، ففرجته وكشفته وكفيتنيه ، فأنت ولىّ كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ، ومنتهى كل رغبة

ومن دعائه بالكعبة الشريفة : إلٰهى نعَّمتنى فلم تجدنى شاكراً ، وابتليتنى فلم تجدنى صابراً ، فلا أنت سلبت النعمة لترك الشكر ، ولا أدمت الشدة لترك الصبر ، إلٰهى مايكون من الكريم إلَّا الكرم

شعره فى الحكم

« إذا ماعضَّك الدهر فلا تجنح الى الخلق »
« ولا تسأل سوى الله تعالى قاسم الرزق »
« فلو عشت وَطوَّفت من الغرب الى الشرق »
« لما صادفت من يقد ر أن يُسعد أو يُشقى »

وقال ابن عساكر : يقال : ان هذه الأبيات للحسين رضى الله عنه

« اِغْنَ عن المخلوق بالخالق تغن عن الكاذب والصادق »
« واسترزق الرحمٰن من فضله فليس غير الله من رازق »
« من ظنَّ أن الناس يغنونه فليس بالرحمٰن من واثق »
« أو ظن أن المال من كسبه زلت به النعلان من حالق »

وقال الأعمش : ومن كلامه أيضاً :

« كلما زيد صاحب المال مالا زيد فى همّه وفى الاشتغال »

« قد عرفناكِ يامنغصة العيـــش ويادار كل فان وبال »

« ليس يصفو لزاهد طلب الزهـــد اذا كان مثقلا بالعيال »

وروى ابن كثير قال : بلغنى أن الحسين زار مقابر الشهداء بالبقيع فقال :

« ناديت سكان القبور فأسكتوا فأجابنى عن صمتهم ترب الحشا »

« قالت : أتدرى ماصنعت بساكنى مزقت لحمهم وخرقت الكسا »

« وحشوت أعينهم ترابًا بعدما كانت تأذى باليسير من القذا »

« أما العظام فاننى مزقتها حتى تباينت المفاصل والشوى »

« قطعت ذا من ذا ومن هذا كذا فتركتها مما يطول بها البلى »

ومن كلامه رضى الله عنه فى البغى :

« ذهب الذين أحبهم وبقيت فيمن لا أحبه »

« فيمن أراه يسبنى ظهر المغيب ولا أسبه »

« أفلا يرى أن فعله مما يسير اليه غيه »

« حسبى بربى كافيا مما اجتنى والبغى حسبه »

خلاصة ماقيل فى مقتل الحسين عليه السلام

وانتقاله الى النعيم المقيم

ان مقتل الحسين عليه السلام من الحوادث العظيمة ، وذكراه نافعة ، وإن كان حديثه يُحزن كل مسلم ، ويسخط كل عاقل ، لأنه لما ظهر من فسق (يزيد بن معاوية) واستهتاره بالفواحش ، وظلمه وتهاونه بالدين ، بايع أهل العراق الحسين وعاهدوه على أن ينصروه عليه واستدعوه ، فرأى الحسين عليه السلام أنه تعين عليه جهاده ، والقيام بأمر الأمة بدله ، فسار اليهم فى أهل بيته فخذلوه ، وقاتله منهم خمسة آلاف وهو فى اثنين وسبعين من أهله وأصحابه فصبر وقاتل ولم يستسلم ، فمنعوه الماء مستعينين بالعطش على قتاله ، مع أنه سقاهم وسقى خيلهم وهو يملك الماء وقتلوا ابنه (عبد الله) طفلاً وهو فى حجره ، رماه أحدهم بسهم فذبحه ، فقاتل عنه أصحابه حتى قتلوا عن آخرهم

ولما بقى الحسين وحده ، تكاثروا عليه فجرحوه أكثر من سبعين جرحًا ، فلما صُرع ذبحوه ، وداسوه بخيولهم ، واحتزوا رأسه الشريفة ورءوس جميع أصحابه حتى ملابسهم ، وتركوا أجسادهم بالعراء مجردة

بغير دفن ، واحتملوا الرءوس على أطراف الرماح والصبيان والنساء كالسبايا من كربلاء الى الكوفة ، ومن الكوفة الى دمشق ، وبين الكوفة ودمشق كانت النساء على أقتاب الإبل ، وكان زين العابدين مغلولاً الى عنقه

فأى فاجعة أفظع من مقتل الحسين ! وقد مضى شهيداً ، مظلوماً ، كريماً ، صابراً ، مكثوراً

وأى عدو أحط نفساً ، وأعظم جهلاً ، وأغلظ كبداً من خصومه ! إذ ارتكبوا هذه الخيانة ، وهم يعرفون جليل قدره ، طلباً للحظوة عند أميرهم ، وطمعاً فى المال ، فباعوا آخرتهم بدنياهم ، غير أنه لم يثبت أن يزيد أمر بالقتل ؛ بل قيل : أنه لما حملت اليه رأس الحسين غضب لذلك وتألم جداً ، وصرح بأنه ما كان يحب قتله

واللوم كل اللوم على أهل العراق ،فهم المسؤلون عما صنعوا، المؤاخذون بما أساءوا ؛ لأنهم أخلفوا الحسين ماوعدوه ، ثم خذلوه وقاتلوه حتى قُتِل ، وكان ذلك لعشر خلون من المحرم يوم عاشوراء سنة إحدى وستين من الهجرة بموضع يقال له (كربلاء) فى أرض العراق بناحية الكوفة ويعرف أيضاً (بالطفّ)

ومن غريب أمر شيعة الحسين أنهم خذلوه حيًّا ، ونصروه ميتًا ، فإنهم بعد قتله ندموا على مافرطوا فى حقه ، وسموا أنفسهم (التوابين) وقاموا لأخذ ثاره ، فلم يستبينوا الرشد من الغَى إلَّا ضحى الغد

وجزى الله المختار وأصحابه خيراً ، فانهم شفوا غليل الصدور بانتقامهم من قاتليه

ومن عجيب أمره عليه السلام أن يقتله شيعته ثم يجددون الحزن عليه فى جميع بلاد المسلمين كل عام من يوم قتله للآن . (عن كتاب الحسين للمرحوم على بك جلال)

السبب فى نزول هذه الكارثة العظمى

كما ذكره المرحوم السيد محمود البيلاوى

فى كتابه التاريخ الحسينى

والسبب فى هذه النازلة العظمى أن (يزيد) لما مات أبوه (معاوية) سنة ستين من الهجرة وتولى الخلافة بعده ، أرسل الى (الوليد بن عقبة) ليأخذ بيعة الحسين (وعبد الله بن الزبير)رضى الله عنهما فأرسل لهما ليلاً فقالا : مثلنا لايبايع سرًّا ؛ ولكن نبايع على رءوس الناس

ثم خرجا تحت الليل الى مكة، ليلة الأحد الثامن والعشرين من رجب من السنة المذكورة ، فأقام الحسين رضى الله عنه بها أربعة شهور جاءه فى خلالها رسائل عديدة من أهل الكوفة يدعونه بها للخلافة ، ويعدونه إذا أجابهم أنهم يعززونه وينصرونه ، وإلا سألوه بين يدى ربه عما فشا فى الأرض من ظلم الظالمين . فأجاب سؤلهم وسافر يوم (التروية) ميمما الكوفة ، فأرسل يزيد لما بلغه ذلك الى (عبيد الله ابن زياد) ليجهز جيشاً تحت قيادة (الحصين بن تميم)صاحب الشرطة فأرسله ونظم الخيل بين القادسية وجبل لعلع

فلما بلغ الحسين رضى الله عنه ذلك أرسل الى أهل الكوفة يخبرهم

بسد الطريق بالحصين ، ويذكرهم بوعدهم له ، وأعطى الكتاب (لقيس بن مسهر) فظفر به الحصين فقتله ، ثم أقبل الإمام نحو الكوفة ومعه خلائق لاتحصى اتبعته فى الطريق ، وإذا بناع ينعى (مسلم بن عقيل) الذى أرسله الى أهل الكوفة يخبرهم بقدومه ، فلما بلغه ذلك تغير خاطره الشريف وقال :

« أيها الناس، قد خذلتنا شيعتنا،فمن أحبَّ أن ينصرف فلينصرف فليس عليه منا ذمام » فتفرقوا عنه ، و بقى فى أصحابه الذين جاءوا معه فسافر بهم ، واذا هو بالخيل قد أدركته وعليها ألف فارس تحت قيادة (الحر بن يزيد التميمى) فقال لهم الحسين رضى الله عنه :

« أيها الناس، انها معذرة الى الله واليكم ، إنى لم آتكم حتى أتتنى كتبكم ورسلكم أن أقدم علينا، فليس لنا إمام يجمعنا على الهدى ، وقد جئتكم ، فان تعطونى ما أطمئن به من عهودكم أقدم مصركم ، وإنْ لم تفعلوا وكنتم لمقدمى كارهين ، رجعت عنكم إلى المكان الذى أقبلت منه » فسكتوا

فقال الحسين رضى الله عنه : أيها الناس،إنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهل البيت أحق بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ، ماليس لهم السائرين فيكم بالجور والعدوان ، فان أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتنى به كتبكم انصرفت

عنكم ، فأنكر (الحر) ومن معه تلك الكتب وقالوا: إنا قد أمرنا باحضارك الى ابن زياد

فقال : الموت أدنى من ذلك ، وأمر أصحابه بالمسير فمنعهم (الحر)

فقال الحسين رضى الله عنه : ثكلتك أمك، ماتريد ؟

قال : إنى لم أومر بقتالك؛ بل باحضارك الى ابن زياد ، فخذ طريقاً لاتدخلك الكوفة، ولا توصل الى المدينة، حتى أكتب الى ابن زياد ، وتكتب أنت الى يزيد والى ابن زياد، لعلَّ الله يعصمنى أن أبتلى بشىء من أمرك

فسار كذلك، واذا (بعمر بن سعد) قادماً من الكوفة بأربعة آلاف وذلك يوم الجمعة خامس المحرم سنة إحدى وستين فأخبر الحسين بأن ابن زياد أمره بمنعه الماء حتى يبايع ليزيد، فمُنع رضى الله عنه من شرب الماء هو ومن معه قبل القتل بثلاثة أيام ؛ ثم أُخذت عمراً رقَّة فاتفق على الصلح على شروط أرسلها الى ابن زياد لاستئذانه فى أمرها، فغضب وأبى وأرسل (شمر بن ذى الجوشن) بكتاب لعمر يعنفه فيه ، فأحاطوا به وأخبروه بأن ابن زياد يخيره بين مبايعة يزيد أو القتل ، فاستمهلهم للصباح ، فبات مع أصحابه طول الليل فى تضرع وابتهال واستغاثة بالله من هذا الكرب المحدق بأهل البيت الكرام

فلما أصبح الصباح جهز عمر جيشه للحرب ، فخرج الإمام الحسين

رضى الله عنه فى أصحابه، وكانوا أربعين رجلًا واثنين وثلاثين فارسًا ، ولـكن ماذا يصنعون أمام ذلك الجيش المتدرع بالمظالم ؟ فوضع الإمام مصحفًا بين يديه، ورمى عمر الى جبهته سهمًا وقال : اشهدوا أنى أول من رمى سهمًا فى الناس،فاشتد الكرب، وحمى وطيس الحرب، وصرع أصحاب الإمام ، وأحاطوا به من كل حدب ، واقتتلوا قتالًا عنيفًا أبلى فيه الإمام وأصحابه بلاءً حسنًا، وبلغ فيه (شمر) فسطاط الحسين رضى الله عنه ، والقوم شهداء من حوله ، وهو رضى الله عنه مضرج بدمائه وبجسده الطاهر ثلاث وثلاثون طعنة بالرماح ، وأربع وأربعون ضربة بالسيوف ، وهو مع ذلك صابر لقضاء الله ، قوى الجأش ، ثابت القلب ، طالب من الله الانتقام من الظالمين

وكلما انتهى اليه رجل منهم،رجع وكره أن يتولى قتله،أقبل عليه رجل من (كندة) يقال له (مالك) فضربه على رأسه بالسيف، فقطع البرنس وأدماه، ورماه (حصين بن تميم) بسهم وقع فى فيه حين أراد أن يشرب فتلقى الدم بيده الشريفة، وقال : اللّهم إن كنت حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير منه ، وانتقم من هؤلاء الظالمين ، اللّهم إنى أشكو اليك مايفعل بابن بنت نبيك ، اللّهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بددا، ولا تبق منهم أحداً

فقال شمر : ماتنتظرون بالرجل ؟ اقتلوه، فحملوا عليه من كل جانب

وحزوا رأسه الشريفة ، وانتهبوا ثقَلَه ، وانتزعوا متاعه ، وأمرهم (عمر بن سعد) فأوطَئُوا الخيل صدره وظهره ، بعد أن أسلم الروح لبارئها ، واختار الله لها ماعنده ، فحلت حرم الرضوان ، وتمتعت فى فراديس الجنان ، وصدق قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

ولما بلغ أهل المدينة قتل الحسين رضى الله عنه خرجت إبنة (عقيل بن أبى طالب) فى نساء من بنى هاشم ، وهى حاسرة تلوى ثوبها وتقول :

« ماذا تقولون إن قال النبى لكم ؟
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم ؟ »

« بعترتى وبأهلى بعد مُفتقدى
منهم أسارى وقتلى ضُرِّجوا بدم »

« ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم
أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى »

وقيل انه كان مكتوباً على راية الحسين بن على رضى الله عنهما يوم قُتل الأبيات الآتية :

« لئن كانت الدنيـا تعـدُّ نفيسة
فدار ثواب الله أعلى وأنبـلُ »
« وإن كانت الأرزاق قسماً مقدراً
فقلة حرص المرء بالـكسب أجمل »
« وإن كانت الأموال للترك جمعها
فما بال متروك به المرء يبخل »
« وإن كانت الأبدان للموت أُنشئت
فقتل امرئ بالسيف فى الله أفضل »

بعض مراثيه

رثى الحسين عليه السلام منذ توفى شعراء كل جيل ، وكل بلد بكل لغة ، حتى قيل : أن الجن ناحت عليه ، والسماء أمطرت دماً فلنذكر بعضها

رثاء زوجه الرَّباب

رثت الرَّباب بنت امرئ القيس زوجها الحسين عليه السلام حين قُتل فقالت :

« إن الذى كان نوراً يستضاء به بكربلاء قتيل غـير مدفون »

« سِبطَ النبى جزاكَ الله صالحة عنّا وجُنبت خسران الموازين »

« قد كنت لى جبلاً صعباً ألوذُ به وكنت تصحبنا بالرحم والدين »

« مَن لليتامى ومَن للسائلين ومَن يغنى ويَأوى إليه كل مسكين؟ »

« والله لا أبتغى صهراً بصهركُم حتى أغيب بين الرمل والطين »

رثاء ابنته السيدة سكينة رضى الله عنها

« إن الحسين غداة الطف يرشقه ريبُ المنون فما أن يُخطىء الحدقة »

« بكفِّ شرِّ عباد الله كلهم نسل البغايا وجيش المرُّق الفسقة »

« يا أمة السوء هاتوا ما احتجاجكمُ غداً وجلّكم بالسيف قد صفقه »

« الويل حلَّ بكم إلاَّ بمن لحقه صيرتموه لأرماح العدا درقه »

« يا عين فاحتفلى طول الحياة دماً لا تبكِ ولداً ولا أهلاً ولا رفقه »

« لـكن على ابن رسول الله فانسكبى قيحاً ودمعاً وفى إثريهما العلقه »

رثاء عقبة بن عمرو العبسى

قال سبط ابن الجوزى فى تذكرة خواص الأمة : قال السدى :

أول من رثى الحسين عليه السلام عقبة بن عمرو العبسى فقال:

« إذا العين قرَّت فى الحياة وأنتمُ تخافون فى الدنيا فأظلم نورها »
« مررت على قبر الحسين بكربلا ففاضت عليه من دموعى غزيرها »
« وما زلت أبكيه وأرثى لشجوه ويسعد عينى دمعها وزفيرها »
« وناديت من حول الحسين عصائبا أطافت به من جانبيه قبورها »
« سلام على أهل القبور بكربلا وقلَّ لها منى سلام يزورها »
« سلام بآصال العشى وبالضحى تؤديه نكباء الرياح ومورها »
« ولا برح الزُّوار زوار قبره يفوح عليهم مسكها وعبيرها »

رثاء الإمام الشافعى

وقيل: ان الإمام الشافعى رحمه الله أنشد الرثاء الآتى:

« ومما نفى نومى وشيَّب لمتى تصاريف أيام لهنَّ خطوب »
« تأوب همى والفؤاد كئيب وأرق عينى والرقاد غريب »
« تزلزلت الدنيا لآل محمد وكادت لهم صم الجبال تذوب »
« فمَن مبلغ عنى الحسين رسالة وان كرهتها أنفس وقلوب »
« قتيل بلا جرم كأن قميصه صبيغ بماء الأرجوان خضيب »
« نصلى على المختار من آل هاشم ونغزو بنيه إنَّ ذا لعجيب »
« لئن كان ذنبى حب آل محمد فذلك ذنب لست عنه أتوب »

رثاء الشريف الرضى

« كربلا لازلتِ كربًا وبَلا مالقى عندك أهل المصطفى »
« كم على تُربك لما صُرعوا من دم سال ومن دمع جرى »
« يارسول الله لو أبصرتهم وهم مابين قتل وسبا »
« مِن رميض يُمنع الظل ومن عاطش يُسقى أنابيب القنا »
« جزروا جزر الأضاحى نسله ثم ساقوا أهله سوق الإما »
« هاتفات برسول الله فى شدة الخوف وعثرات الخُطا »
« قتلوه بعد علم منهمُ أنه خامس أصحاب الكِسا »
« ليس هذا لرسول الله يا أمة الطغيان والبَغى جَزا »
« ياجبال المجد عزًّا وعُلا وبدور الأرض نوراً وسنا »
« جعل الله الذى نالكم سبب الوجد طويلا والبكا »
« لا أرى حزنكم يُسلى ولا رُزءكم يُنسى وإن طال المدى »

وقد رثاه الصاحب بن عباد والبوصيرى رحمهما الله وغيرهما ، وجميع الرثاء مذكور فى كتاب المرحوم على بك جلال الحسينى فمن شاء فليطلع عليه

نساؤه

الرباب ، ابنة امرئ القيس الكلبية ، وهى أم سكينة بنت الحسين .

وكان الحسين يحبها حباً شديداً وله فيها أشعار منها :

« لعمرك أننى لأحِبّ دارا تحل به سكينة والرَّباب »
« أحبهما وأبذل فوق جهدى وليس لعاذل عندى عتاب »
« ولست لهم و إن عتبوا مطيعاً حياتى، أو يغيبنى التراب »

قيل : خطبها يزيد والأشراف من قريش فقالت : والله لا كان لى حمٌ آخر بعد رسول الله، وعاشت بعد الحسين سنة ثم ماتت كمداً ، ولم تستظل بعد الحسين بسقف (عن ابن الجوزى)

ليلى بنت أبى مرة بن عروة بن مسعود الثقفى . وهى أم على المقتول بالطف مع أبيه

أم اسحٰق بنت طلحة بن عبد الله ، وهى أم فاطمة

أم جعفر بن الحسين القضاعية ، ولم يوقف على شىء من أخبارها

شهربانو بنت كسرى يزدجرد واسمها (جهان شاه) وهى أم على زين العابدين

عائشة بنت خليفة ، وحفصة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، وعاتكة بنت زيد بن عمر بن نفيل

أولاده

قال محمد بن أبي طلحة القرشي فى مناقب آل الرسول :

كان للحسين من الأولاد تسعة : ستة ذكور ، وثلاث إناث

فالذكور : ١ – على الأكبر – الذى قاتل بين يدى أبيه حتى قتل شهيداً

٢ – على الأوسط (زين العابدين) وأمه شاه زنان بنت كسرى يزدجرد

٣ – على الأصغر الذى قتل مع أبيه بالطف وأمه ليلى بنت أبى مرة ابن عروة بن مسعود

٤ – محمد – ٥ – عبد الله الذى قتل مع أبيه صغيراً وجاء سهم وهو فى حجر أبيه فذبحه

٦ – جعفر بن القضاعية

والإناث : ١ – زينب ٢ – سكينة وأمها الرباب

٣ – فاطمة وأمها أم اسحٰق بنت طلحة بن عبيد الله تيمية

انتقال الرأس الشريفة الى القاهرة المعزية

اختار الله تعالى للإمام الحسين رضى الله عنه ماعنده ، فقربَّه اليه ، ونقله من دار المحن الى دار المنح ، ومن دار الفناء ، الى دار النعيم

السرمدى المقيم ، وذلك يوم عاشوراء سنة إحدى وستين من الهجرة

فسافر عمر بن سعد بالرأس الشريفة الى الكوفة وسلمها الى ابن زياد (الشهير بابن مرجانة) فطاف بها فى الأسواق، ثم وجهها الى دمشق ليزيد ، فأمر برفعها بها ثلاثة أيام ، ثم أمر بأن يطاف بها فى البلاد ، (عاملهم الله بما يستحقون) فطيف بها حتى وصلت عسقلان ، وأميرها إذ ذاك من خيرة الناس إيمانًا وخوفًا من الله ، فدفنها فى مكان فخيم استمرت به الى سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، وفى شعبان منها خرج الأفضل ابن أمير الجيوش بعساكر كثيرة الى بيت المقدس (كما نقله المقريزى عن ابن ميسر) وحارب من به وملكه ثم دخل عسقلان

ولما علم بالرأس الشريفة عمل مشهداً جليلا بالمدينة المذكورة إذ رأى المكان الأول صار لايليق بجلالها ، ولما تكامل أخرجها فعطرها وحملها على صدره وسعى بها ماشياً الى أن أحلها فى المشهد المذكور ، فاستمرت به الى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة من الهجرة وحواليها ، قضى الله على عسقلان أن تمتد اليها أيدى الطمع من الإفرنج وكان بها أمير يقال له (عياش) فأرسل الى الخليفة (الفائز بأمر الله) بمصر يقول له : أما بعد فان الفرنج قد أشرفوا على أخذ عسقلان وإن بها رأس الإمام الحسين بن على فأرسلوا من تختارونه وإلا أخذوها ، وكان الخليفة الفائز أحد الخلفاء الفاطميين إذ ذاك طفلاً صغيراً لم يبلغ الحادية

عشرة من عمره، ولذلك كان الحل والعقد والأمر والنهي لأكبر وزرائه (طلائع بن رُزِّيك) فأرسل فرقة من الجيش تحت أمر (مكنون) الخادم ، وزوَّده بثلاثين ألف دينار ، فأتوا بها ووصلوا الى (قَطْيَة) فخرج الوزير الى لقائها من عدة مراحل ومعه جيوش كثيرة وكلهم حفاة خاشعون فحملها الوزير على صدره حتى دخلوا مصر وبنى طلائع مسجداً لهـا خارج باب زويلة من جهة الدرب الأحمر، وهو المعروف (بجامع الصالح) الآن ، فكشف الحجب عن تلك الذخيرة النبوية فوجد دمها لم يجف، ووجد لها رائحة أطيب من المسك (كما قال المقريزى) فغسلها فى المسجد المذكور على ألواح من الخشب (بأعلى الحائط ألواح الآن يقال انها هى التى كان عليها الغسل) ثم أراد أن يشرف ذلك المسجد بدفنها فيه فأبى أهل القصر وهم معية الملك الفائز وقالوا : ان أثراً نبويًا جليلاً كهذا لايليق أن يكون مستقره خارج حدود القاهرة بل لابد من دفنه فى قصر الملك

وكانت بوابة الباب الأخضر الموجودة الآن تحت المنارة الصغرى للمسجد الحسيني باباً من أبواب القصر المنتهى الى الجمالية واسمه (باب الديلم) ودهليز الخدمة فعمدوا الى الجهة المذكورة وبنوا بها بناء فخما حلوه بأنواع الزخارف الجميلة وكسوا جدرانه بالرخام الملون فى البقعة المباركة الحالية (عن كتاب التاريخ الحسينى للمرحوم السيد محمود الببلاوى)

الخلاف فى وجود رأس الحسين عليه السلام

هل هى مدفونة بكربلا أم بالقاهرة ؟

قد حصل تضارب فى الأقوال ، واختلاف كثير فى وجود رأس الحسين عليـه السلام . فبعضهم يقول : أنه دفن بدمشق ونقل الى عسقلان ومنها الى القاهرة

وبعضهم يقول : انه مدفون بالمدينة عند قبر أمه فاطمة عليها السلام وقيل بمسجد الرقة على الفرات ، وبعضهم ينكر أن ابن زياد أرسله الى يزيد ، وبعض أهل السنة اتفقوا على أنه مدفون مع الجسد بكربلا

ولقد حقق المرحوم على بك جـلال الحسينى فى كتابه (تاريخ الحسين) من الشواهد ما يثبت وجود الرأس بالقاهرة ، كما أن الاستاذ حسن أفندى قاسم الكاتب التاريخى لمجلة الإسلام الغراء ، أثبت فى كتابه (مصرع الحسين الذى ظهر حديثًا) بالأدلة التاريخية ، والشواهد الدينية المنقولة عن كبار العلماء ، أن الرأس الشريفة مدفونة بالقاهرة بالمشهد الحسينى بلا خلاف ، وقد أورد كثيراً من التحقيقات المؤيدة لذلك بأدلة ثابتة ، والله تعالى أعلم

زيارة المسجد الحسينى

لقد أشرقت الديار المصرية ببزوغ هذه الشمس المنيرة بأنوار النبوة رأس الإمام الحسين رضى الله عنه وحلولها بالقبة الشريفة بالقاهرة سنة ثمان أو تسع وأربعين وخمسمائة بعد الهجرة بالمسجد الحسينى ، وصار من دفنها الى الآن مطمح أنظار العباد من المسلمين فى أقطار القطر المصرى ويزار فى معظم الأوقات خصوصاً فى المولد الحسينى المشهور

المواسم السنية بالمسجد الحسينى

ويحتفل بالمسجد الحسينى فى كل عام بعشرة مواسم جليلة هى أعياد للأمة المصرية الاسلامية ، ومطالع للأنوار السنية الحسينية ، بها تستمد البركات ، وتعم النفحات ، كيف لا وهى مشارق الأنوار ، ومعاهد الأسرار ، فى مشهد سبط النبى المختار

والمواسم المذكورة هى : ١ ـ ليلة عاشوراء ويومها ٢ ـ المولد النبوى الشريف ٣ ـ المولد الحسينى ٤ ـ حفلة الغسلة ٥ ـ ليلة المعراج ويومها ٦ ـ وليلة الخامس من شهر شعبان تذكاراً لليلة التى ولد فيها الإمام الحسين رضى الله عنه ٧ ـ وليلة النصف من شعبان ويومها ٨ ـ وليلة القدر ٩ ـ وشهر رمضان ١٠ ـ والاحتفال بنقل الكسوة الشريفة النبوية الى المسجد الحسينى فى شوال من كل سنة

موسم عاشوراء وأعمال العجم فيه

يحتفل بالمسجد الحسينى باحياء ليلة العاشر من المحرم فى كل عام بالأذكار والأوراد، وترتيل آى الذكر الحكيم، وقراءة الدروس الشرعية، والقصة الشريفة النبوية، كل هذا والمسجد مشرق بالأنوار الشمسية والقمرية، والقبة كاملة الأنوار معنوية وحسية، وهى تحيا من قديم الزمان، على نفقة أهل البر والإحسان، وإن الشريعة الغراء قد اتخذت يوم عاشوراء موسمًا دينيًا، أمرت فيه ببذل الأموال، والتوسعة على الفقراء والأطفال، لقوله صلى الله عليه وسلم: «من وسع على عياله وأهله يوم عاشوراء وسع الله عليه فى سائر سنته» وقال صلى الله عليه وسلم: «صيام عاشوراء انى أحتسب على الله عز وجل أن يكفر السنة التى قبلها»

وأمر المسلمين فيه بزيارة العلماء، ومواساة الفقراء، وعيادة المرضى، وغير ذلك من الأعمال الخيرية التى وردت فى السنة الشريفة التى اتخذت هذا اليوم موسماً من أعظم المواسم الدينية

هذا وان الشيعة والأعاجم قد اتخذوا هذا اليوم يوم حزن كبير، ومأتم عظيم، بل اتخذ الشيعة أيامه السابقة عليه أيضًا أيام حزن وكدر لما حل بسبط سيد الأبرار، فيجتمعون فى منزل يعدونه لذلك،

ويزينونه بالأقمشة الفاخرة ، ويوقدون الشموع والمصابيح ، ويدعون من أرادوا ، ويقوم بعد العشاء خطيب يرثى الإمام الحسين وأهل بيته الأخيار ، فيبكى ويبكى الحاضرون ، وهكذا كل ليلة الى ليلة عاشوراء فيتوسعون فى الاحتفال بالمأتم ، ويدعون الكبراء والأمراء ، وفى الساعة الرابعة يسيرون فى مشهد كبير صفوفا بثياب بيضاء وبأيديهم سيوف يجرحون بها رؤوسهم ، وبعضهم يضرب صدره براحتيه ، وبعضهم يضرب ظهره بالسلاسل والأغلال ، وبينهم جواد عليه طفل تسيل دماؤه على وجهه وصدره ، وجواد آخر يمثل حمل الرأس الشريفة ، وهكذا كل امرئ منهم يبدى مايقدر عليه مما يراه قربة الى الإمام الحسين رضى الله عنه ، فمتى انتظموا ساروا نحو المشهد ثم رجعوا بسلام

وقد ذكر المقريزى أنهم كانوا يحرمون عليهم وعلى الناس شرب الماء فى ذلك اليوم ؛ لأن الإمام الحسين قتل عطشانا ، فكانوا يشقون قرب السقايين ، ويكسرون أوانى الشرب فى الأسواق ، ويسبون من ينفق على عياله فيه ، وكان يعظم فيه خوف الناس منهم فيغلقون الحوانيت وأبواب الديار ، وتتعطل الأسواق ،

ولم يبق ولله الحمد من هذا كله شىء الان سوى ماذكر من إحياء الليلة فى المسجد

العظات والعبر من قصة مصرع الحسين رضي الله عنه

كما ذكرها المرحوم على بك جلال الحسينى فى كتابه

كما أن حياة الحسين عليه السلام منار المهتدين ، فمصرعه عظة لمعتبرين ، وقدوة المستبسلين

١ ـ ألَمْ تَرَ كيفَ اضطره نكد الدنيا الى إيثار الموت على الحياة ، وهو أعظم رجل فى وقته لانظير له فى شرقها ولا فى غربها

٢ ـ وأبت نفسه الكريمة الضيم ، واختار السلّة على الذلة ، فكان كما قال فيه أبو نصر بن نباتة :

« والحسين الذى رأى الموت فى العز

حياةً والعيش فى الذل قتلاً »

٣ ـ ومع التفاوت الذى بلغ أقصى مايتصور بين فئته القليلة وجيش ابن زياد فى العددِ والعُدد والمَدَد ، قد كان ثباته ورباطة جأشه وشجاعته تحير الألباب ، ولا عهد للبشر بمثلها ، كما كانت دناءة أخصامه لاشبيه لها .

٤ ـ وما سُمع منذ خلق ولن يُسمع حتى يفنى أفظع من ضرب (ابن مرجانة) من ابن سُميّة بقضيب ثغرَ ابن بنت رسول الله ، ورأسه بين يديه بعد أن كان سيد الخلق عليه الصلاة والسلام يلثمه

٥ ـ ومن آثار العدل الإلهى قتل عبيدالله بن زياد (يوم عاشوراء) كما قتل الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ، وأن يبعث برأسه الى على ابن الحسين كما بعث برأس الحسين الى ابن زياد

٦ ـ وهل أمهل يزيد بن معاوية بعد الحسين إلّا ثلاث سنين أو أقل ، فقد روى ابن جرير الطبرى فى تاريخه عن هشام بن محمد الكلبى أنه ولى سنتين وثمانية أشهر

٧ ـ وأى موعظة أبلغ من أن كل من اشترك فى دم الحسين اقتص الله تعالى منه فقتل أو نُكب

٨ ـ وأى عبرة لأولى الأبصار أعظم من كون ضريح الحسين حَرماً معظماً ، وقبر يزيد بن معاوية مزبلة أو (مبولة)

٩ ـ وتأمل عناية الله بالبيت النبوى الكريم بقتل أبناء الحسين ولا يترك منهم إلّا صبى مريض مشرف على الهلاك ، فيبارك الله فى أولاده فيكثر عددهم ويعظم شأنهم

١٠ ـ والذين قُتلوا مع الحسين من أهل بيته رجال ما على وجه الأرض يومئذ لهم شبه ، كما قال الحسن البصرى ، وكانوا عنوان الشهامة والشَمَم والقدوة فى الصبر والحرب والكرم

« وإنَّ الأولى بالطفِّ من آل هاشمٍ
تآسوا فسنّوا للكرام التآسيا »

١١ ـ وكل من أصابته الشدائد جعل رئيس هؤلاء الكرام أسوة كمصعب بن الزبير وبنى المهلب وغيرهم كما اقتدى أصحاب نجدة بن عامر ، والمختار بن أبى عبيد ، وعبد الله بن الزبير واخيه مصعب وغيرهم فى خذلان أمرائهم بأهل العراق حين خذلوا امامهم الحسين

١٢ ـ ومقتل الحسين بَغَّضَ بنى أمية الى الناس وأيَّد حجة أعدائهم وزعزع أوتاد ملكهم ، وكان أكبر أسباب زوال دولتهم

١٣ ـ والحسين هو الذى عبَّد للأمم طريق الخروج على ولاة الفسق والجور ، ودعا الى جهاد الظلم من استطاع اليه سبيلا ، فجاد بنفسه ، وبذل مهجته لإقامة الحق والعدل والسنة مقام الباطل ، والاستبداد والإهواء

١٤ ـ ولو قدرت ولاية الحسين لكان خيراً للأمة فى حكومتها وحياتها ، وأخلاقها وجهادها ، وشتان مابين السبط الزكى ، والظالم السكير (يزيد القرود والطنابير) وهل يستوى الفاسق الجائر ، والعادل الإمام ؟ وأين الذهب من الرغام ؟

ولكن اقتضت الحكمه الإلهية سير الحوادث بخلاف ذلك ، وإذا أراد الله أمراً فلا مرد له

١٥ ـ واقتضت إرادة الله أيضاً أن يبقى أثر جهاد الحسين على ممر الدهور كلما أرهق الناس الظلم تذكرة لمن ندب نفسه لخدمة الأمة ، فلم يحجم عن بذل حياته متى كانت فيه مصلحة أحوالها

٣ – الامام على زين العابدين

ابن الحسين رضى الله عنهما

ولد سنة ٣٨ هـ – وتوفى سنة ٩٤ هـ

مولده – ولد زين العابدين رضى الله عنه بالمدينة الشريفة يوم الخميس خامس شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة فى أيام جده على بن أبى طالب ، وقبل وفاته بسنتين

كنيته – المشهورة (أبو الحسن) وقيل : أبو محمد . وقيل : أبو بكر وقال الإمام مالك رضى الله عنه سمى زين العابدين لكثرة عبادته

ألقابه – كثيرة أشهرها . زين العابدين ، وسيد العابدين ، والزكى والأمين ، وذو النفقات ، نقش على خاتمه « وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ »

نسبه الشريف – أبوه الحسين بن على رضى الله عنهما . وأمه . (سلافة) ولقبها (شاه زنان) ومعناها بالفارسية (ملكة النساء) وهى بنت (يزدجرد) ولد (أنوشروان العادل) ملك الفرس

نشأته – كان زين العابدين مع أبيه بكربلاء مريضاً نائماً على الفراش فلم يقتل ، قاله ابن عمر رضى الله عنهما

مناقبه

علمه وورعه – قال محمد بن سعيد : على بن الحسين كان ثقة ، كثير الحديث ، عالمـًا ، رفيعًا ، ورعًا. وقال ابن تيمية : على بن الحسين من كبار التابعين وساداتهم علمًا ودينًا

وقال الزهرى : مارأيت أفقه منه

وقال ابن المسيب : مارأيت أورع منه

حلمه وعفوه واحسانه – عن سفيان قال : جاء رجل الى على بن الحسين رضى الله عنهما فقال له : ان فلانا قد وقع فيك بحضورى (أى كان يغتابه) فقال له : انطلق بنا اليه ، فانطلق معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه منه، فلما أتاه قال له : ياهذا إن كان ماقلته فىّ حقًا فأنا أسأل الله أن يغفرلى ؛ و إن كان ماقلته فىّ باطلاً فالله تعالى يغفره لك، ثم ولى عنه

ويحكى: أنه خرج الى المسجد للصلاة فسبه رجل فقصده غلمانه ليضربوه و يؤذوه لأنه شتم سيدهم ، فنهاهم سيدنا زين العابدين وقال لهم : كفوا أيديكم عنه، ثم التفت الى ذلك الرجل وقال: ياهذا أنا أكثر مما تقول، ومالاتعرفه عنى أكثر مما عرفته، فان كان لك حاجة فى ذكره ذكرته لك. (يريد أن يقول عيوبى كثيرة، وأن الكلام الذى تسبنى

وتشتمني به أقل من عيوبي) و إن كنت تريد أن أذكر لك بعض هذه العيوب ذكرتها لك

فخجل الرجل واستحى؛لأنه كان ينتظر أن يشتمه سيدنا زين العابدين بدل أن يلاطفه ويرد عليه بهذا القول اللين والرد الجميل . فلما رأى خجله سيدنا زين العابدين خلع عليه قميصه ، وأمر له بألف درهم زيادة عن تركه وملاطفته وعدم ايذائه ، فمضى الرجل وهو يقول : أشهد أن هذا الشاب ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

تعبده وصلاحه

عن أبي حمزة قال : كان على بن الحسين رضى الله عنه يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة ، وكان اذا توضأ للصلاة يصفر لونه ، فقيل له : ماهذا الذى نراه يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول : أما تدرون مَن أريد أن أقف بين يديه ؟

وقال طاووس : دخلت الحجر فى الليـل فاذا على بن الحسين قد دخل ، فقام يصلى ماشاء الله ثم سجد سجدة فأطالها فقلت : رجـل صالح من بيت النبوة لأصغين اليه ؟ فسمعته يقول : عبدك بفنائك ، مسكينك بفنائك ، فقيرك بفنائك ، سائلك بفنائك

قال طاووس : فو الله ماصليت ودعوت بهن فى كرب إلّا فرّج الله عنى

تصدقه و كرمه

قال ابن عائشة : سمعت أهل المدينة يقولون : مافقدنا صدقة السرّ إلّا بعد موت على بن الحسين

وقال محمد بن اسحٰق : كان ناس من أهل المدينة يعيشون لايدرون من أين معاشهم ومآ كلهم ، فلما مات على بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم

وكان يحمل جراب الخبز على ظهره فى الليـل يتصدق به ، فلما غسلوه جعلوا ينظرون الى سواد فى ظهره فقيل : ماهذا ؟ فقالوا : كان يحمل جراب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة . ولمـا مات رضى الله عنه فى سنة خمس وتسعين وجدوه كان يقوت أهل مائة بيت

وقال سفيان : أراد على بن الحسين الحج ، فانفذت اليـه أخته سكينة ألف درهم فلحقوه بها بظهر الحرة فلما نزل فرقها على المساكين

وقال المناوى : دخـل على على زين العابدين رضى الله عنه فى

مرض موته محمد بن أسامة بن زيد يبكى ، فقال له : مايبكيك ؟ فقال له : على دين خمسة عشر ألف دينـار ، فقال : هى علىّ ، ووفاها رضى الله عنه

حب الناس له

لـما مرض دخل عليه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودونه فقالوا له : كيف أصبحت يا!بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فدتك أنفسنا . قال : فى عافية ، والله محمود على ذلك ، فـكيف أصبحتم أنتم جميعاً ؟ قالوا : أصبحنا والله لك يابن رسول الله صلى الله عليه وسلم محبين وادّين

فقال لهم : من أحبنا لله أسكنه الله فى ظل ظليل يوم القيامة ، يوم لاظل إلّا ظله ، ومن أحبنا يريد مكافأتنا ، كافأه الله عنا الجنة ، ومن أحبنا لغرض ديننا آتاه الله رزقه من حيث لايحتسب

حسن خلقه

يحكى أنه طلب غلامه (خادمه) وناداه مرتين فلم يجبه مع أنه سمع فقال له : أما سمعت ندائى ؟ فقال : بلى ، قد سمعت

فقال له : ما الذى حملك على ترك إجابتى ؟

فقال : أمنت منك ، وعرفت حسن خلقك ، وطمعت فى حلمك ، فتكاسلت وأبطأت فى الإجابة ، فسرَّ زين العابدين من حسن إجابته وقال : الحمد لله الذى آمن منى عبدى

فضله وتعظيمه

يحكى أن هشام بن عبدالملك حج فى حياة أبيه ، فطاف بالبيت وجهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يصل اليه لكثرة الزحام ، فنصب له منبراً الى جانب زمزم فى الحطيم وجلس عليه ينظر اليه الناس وحوله جماعة من أهل الشام

فبينما هم كذلك إذ أقبل زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما يريد الطواف ، فلما انتهى الى الحجر الأسود تنحى الناس له حتى استلم الحجر . فقال رجل من أهل الشام

مَن هذا الذى قد هابه الناس هذه المهابة فتنحوا عنه يميناً وشمالا ؟

فقال هشام : لا أعرفه ، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام ، وكان الفرزدق الشاعر المشهور حاضراً فقال للشامى : أنا أعرفه . فقال : مَن هو يا أبا فراس ؟ فقال قصيدة طويلة نكتفى بذكر بعضها :

« هذا الذى تعرف البطحاء وطأتَه   والبيت يعرفه والحلّ والحرمُ »

« هذا ابن خير عباد الله كلهم   هذا التقى النقى الطاهر العَلَمُ »

« هذا ابن فاطمة إن كنتَ جاهلَه   بجَدّه أنبياء الله قد خُتموا »

« مَن جده دان فضل الأنبياء له   وفضل أمته دانت له الأمم »

« الله شرفه قدراً وعظمه   جرى بذاك له فى لوحه القلمُ »

« سَهل الخليقة لاتُخشى بوادرُه   يَزينه اثنان حُسن الخَلق والشيم »

« حمال أثقال أقوام إذا اقترضوا   حُلو الشمائل تَحلو عنده نعمُ »

« إذا رأته قريش قال قائلها   الى مكارم هذا ينتهى الكرم »

فلما سمع هشام هـذه القصيدة غضب ، ثم أخذ الفرزدق وسجنه (بعسفان) فبلغ ذلك على بن الحسين رضى الله عنه فبعث اليه بأربعة آلاف درهم فردَّها الفرزدق وكتب اليه : إنما مدحتك بما أنت أهله ، فردَّها عليه على رضى الله عنه وكتب اليه : أن خُذها وتعاون بها على دهرك ، فانَّا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لانستعيده ، فقبلها منه

وفاته

توفى زين العابدين رضى الله عنه فى ثانى عشر المحرم سنة أربع وتسعين من الهجرة وكان عمره إذ ذاك سبعاً وخمسين سنة

وقال ابن الصباغ المالكى المكى : يقال : مات مسموماً وأن الذى سمَّه الوليد بن عبد الملك

ودفن (بالبقيع) فى القبر الذى دفن فيه عمه الحسن بن على بن أبى طالب فى القبة التى فيها العباس بن عبد المطلب

أولاده

أولاده رضى الله عنهم أربعة عشر ولداً: عشرة ذكور ، وأربع اناث وهم:

محمد ، المكنى بأبى جعفر الملقب بالباقر ، أمه أم عبد الله بنت الحسن بن على عم زين العابدين ، وزيد ، وعمر ، أمهما أم ولد ـ وعبد الله ، والحسن ، والحسين ، أمهم أم ولد ـ والحسين الأصغر ، وعبد الرحمن ، وسليمان ، أمهم أم ولد ـ وعلى وكان أصغر ولد على ابن الحسين

وخديجة ، وفاطمة ، وعلية ، وأم كلثوم

نبذ من كلامه وحكمه رضى الله عنه

من كلامه رضى الله عنه : عجبت لمن يحتمى من الطعام لمضرته ، ولا يحتمى من الذنب لموته

وقال رضى الله عنه : أربع عزهن ذل : البنت (ولو مريم) ، والدين (ولو درهم) ، والغربة (ولو ليلة) ، والسؤال (ولو أين الطريق ؟)

وقال رضى الله عنه : من قنع بما قسم الله فهو من أغنى الناس

وكان يتصدق سرًّا ويقول : صدقة السرِّ تطفئ غضب الرب

٤ — الامام محمد الباقر

ولد سنة ٥٧ ـ وتوفى سنة ١١٧ هـ

نسبه ـ هو ابن سيدنا على زين العابدين ، بن الحسين رضى الله عنهما ، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ، فهو هاشمى من هاشميين وعلوى من علويين

مولده ـ ولد بالمدينة فى ثالث صفر سنة سبع وخمسين من الهجرة قبل قتل جده الحسين بثلاث سنين

كنيته ـ أبو جعفر لاغير

ألقابه ـ وألقابه ثلاثة : الباقر، والشاكر، والهادى ، وأشهرها الباقر

الأحاديث التى وردت بشأنه

روى عن الزبير بن محمد بن مسلم المكى قال : كنا عند جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فأتاه على بن الحسين ومعه ابنه محمد وهو صبى فقال على لابنه وهو صبى : قبل رأس عمك ، فدنا محمد من جابر فقبل رأسه ، فقال جابر : مَن هذا ؟ ـ وكان قد كف بصره ـ فقال له على ابن الحسين : هـذا ابنى محمد ، فضمه جابر اليه وقال : يامحمد ، محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ، فقالوا : كيف ذلك يا أبا عبد الله ؟

قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسين فى حجره وهو يلاعبه فقال :

« ياجابر ، يولد لابنى الحسين ابن يقال له : على . فاذا كان يوم القيامة ينادى مناد ، ليقم سيد العابدين ، فيقوم على بن الحسين ، ويولد لعلى بن الحسين ابن يقال له : محمد . ياجابر ، إن أدركته فأقرئه منى السلام ، وإن لاقيته فاعلم أن بقاءك بعده قليل » فلم يعش جابر رضى الله عنه بعد ذلك غير ثلاثة أيام

وروى : أن محمد الباقر بن على سأل جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما لما دخل عليه عند عائشة وما جرى بينها وبين على رضى الله عنهما ، فقال له جابر : دخلت عليها يوماً وقلت لها : ماتقولين فى على بن أبى طالب رضى الله عنه ؟

فأطرقت رأسها ، ثم رفعته ، وقالت رضى الله عنها :

« إذا ما التبر حكّ على محك   تبين غشه من غير شك »

« وفينا الغش والذهب المصفى   علىٌّ بيننا شبه المحك »

مناقبه

علومه ـ قيل : لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين من علم الدين والسنن ، وعلم القرآن والسير وفنون الأدب ، ماظهر عن أبي جعفر الباقر ، روى معالم الدين عن بقايا الصحابة ووجوه التابعين ، وسارت بذكر علومه الأخبار ، وأنشدت فى مدائحه الأشعار ، فمن ذلك ماقاله مالك بن أعين الجهنى من قصيدة يمدحه فيها :

« إذا طلب الناسُ علم القرُا   ن كانت قريش عليه عيالا »
« وإن فاه ابن بنية النبى   تلقت بداك فروعاً طوالا »

وفيه يقول الرضى :

« ياباقر العلم لأهل التقى   وخير من لَبّى على الأجْبُلِ »

تقواه

حكى الأفلح فقال : حججت مع أبي جعفر محمد الباقر فلما دخل المسجد ونظر البيت بكى ، فقلت بأبي أنت وأمى إن الناس ينظرون اليك فلو خفضت صوتك قليلا

فقال : وَيحك يا أفلح ، ولِمَ لا أرفع صوتى بالبكاء لعلّ الله ينظر الىّ برحمة منه فأفوز بها غداً

ثم طاف بالبيت وجاء حتى ركع خلف المقام ، فلما فرغ ، إذا موضع سجوده مبتل من دموع عينيه

« وكان نقش خاتمه : (رب لاتذرني فردا) وقيل : « ظني بالله حسن ، وبالنبي المؤتمن ، وبالوحي ذي المنن ، وبالحسين والحسن »

وروى عنه ابنه جعفر قال : كان أبي يقول في جوف الليل في تضرعه : أمرتني فلم آتمِر ، ونهيتني فلم أنزجر ، فهأنا عبدك بين يديك مقر لا أعتذر

قال خالد بن الهيثم : قال أبو جعفر محمد الباقر : ما اغرورقت عين من خشية الله تعالى إلا حرّم الله وجه صاحبها على النار ، فان سالت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قَترٌ ولا ذَلة ، وما من شيء إلَّا وله جزاء إلَّا الدمعة فان الله تعالى يكفر بها بحوراً من الخطايا ، ولو أن باكيًا يبكي في أمة لحرم الله تلك الأمة على النار

كرمه وجوده

حكت سلمى مولاة أبي جعفر : أنه كان يدخل عليه بعض اخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ويكسوهم في بعض الأحيان ويعطيهم الدراهم

قالت : فكنت أكلمه في ذلك لكثرة عياله ، وتوسط حاله ،

فيقول : ياسلمى ماحسنة الدنيا إلَّا صلة الإخوان والمعارف ، فكان يصل بالخمسمائة درهم وبالستمائة الى ألف درهم

وفاته

مات أبو جعفر محمد الباقر سنة سبع عشرة ومائة وله من العمر ثلاث وستون سنة ، وقيل : ثمان وخمسون ، وأوصى أن يكفن فى قميصه الذى كان يصلى فيه ، وقيل : أنه مات مسموماً كأبيه ودفن بقبة العباس بالبقيع

أولاده

أولاده رضى الله عنه ستة ، وقيل : سبعة وهم :

أبو عبد الله جعفر الصادق وكان يكنى به ، وعبد الله ، أمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وابراهيم ، وعبد الله ، وأمهما أم حكيم بنت أسد بن المغيرة الثقفية ، وعلى ، وزينب ، لأم ولد

نبذ من كلامه

من كلامه رضى الله عنه : مادخل قلب امرئ شىء من الكبر إلَّا نقص من عقله مثل ذلك قلَّ أو كثر

وقال : سلاح اللئام ، قبيح الكلام

وكان يقول : واللهلموت عالم أحب الى الشيطان من موت سبعين عابداً

وقال : شيعتنا من أطاع الله

وقال : الغنى والفقر يجولان فى قلب المؤمن ، فاذا وصلا الى مكان التوكل استوطناه

وقال : الصواعق تصيب المؤمن وغيره ، ولا تصيب ذا كر الله عز وجل

وقال : مامن عبادة أفضل من عفة بطن وفرج

وقال : بئس الأخ يرعاك غنياً ، و يقطعك فقيراً

وقال : اعرف المودة فى قلب أخيك بما له فى قلبك

مواعظه

وقال لابنه جعفر الصادق رضى الله عنهما : يا بُنى إذا أنعم الله عليك نعمة فقل : الحمد لله ، و إذا أحزنك أمر فقل : لاحول ولا قوة إلَّا بالله العلى العظيم ، و إذا أبطأ عليك الرزق فقل : أستغفر الله

وقال لابنه جعفر الصادق رضى الله عنهما : يا بُنى إن الله خبأ ثلاثة أشياء فى ثلاثة أشياء . خبأ رضاه فى طاعته ، فلا تحقرن من الطاعات شيئًا فلعل رضاه فيه

وخبأ سخطه فى معصيته ، فلا تحقرن من معصيته شيئًا فلعل سخطه فيه

وخبأ أولياءه فى خلقه فلا تحقرن أحداً فلعله ذلك الولى

وقال لجابر الجعفى : ياجابر إنى لمشتغل القلب . قلت : وما يشغل قلبك ؟ قال : ياجابر أن من يدخل قلبه دين الله الخالص شغله عما سواه

ياجابر ، ما الدنيا وما عسى أن تكون ؟ هل هى إلّا مركب ركبته ، أو ثوب لبسته ، أو امرأة أصبتها

ياجابر ، إن المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا لزوالها ، ولم يأمنوا الآخرة لأهوالها ، وان أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة ، وأكثرهم لك معونة ، إن نسيت ذكّروك ، وإن ذكرت أعانوك ، أليسوا قوّالين لحق الله ؟ قائمين بأمر الله ، فاجعل الدنيا كمنزل نزلت به وارتحلت منه ، وكمال أصبته فى منامك ثم استيقظت وليس معك منه شىء ، واحفظ الله فيما استرعاك من دينه وحكمته

٥ — الامام جعفر الصادق

ولد سنة ٨٠ - وتوفى سنة ١٤٨ هـ

نسبه - سيدنا جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن على زين العابدين ابن الحسين، بن على، بن أبى طالب رضى الله عنهم، وأمه أم فروة بنت القاسم، بن محمد، بن أبى بكر الصديق

مولده - ولد بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة وقيل: سنة ثلاث وثمانين، قال بعضهم: الأول أصح

كنيته - أبو عبد الله، وقيل: أبو اسماعيل

ألقابه - أما القابه ثلاثة: الصادق، والفاضل، والطاهر، وأشهرها الصادق، ونقش (خاتمه ماشاء الله، لاقوة إلّا بالله، أستغفر الله)

مناقبه

علمه - كان عالماً ثقة، روى عنه جماعة من أعيان الأئمة وأعلامهم، كيحيى بن سعيد، وابن جريج، ومالك بن أنس، والثورى، وابن عينية، وأبى حنيفة، وغيرهم

قال ابن أبى حازم: كنت عند جعفر الصادق يوماً وإذا بسفيان

الثورى بالباب ، فقال : ائذن له . فدخل ، فقال له جعفر : ياسفيان إنك رجل يطلبك السلطان فى بعض الأحيان ، وتحضر عنده وأنا أتقى السلطان ، فاخرج عنى ، غير مطرود

قال سفيان : حدثنى حديثاً أسمعه منك وأقوم

فقال : حدثنى أبى عن جدى عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أنعم الله عليه نعمة فليحمد الله ، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ، ومن حزنه أمر فليقل ، لاحول ولا قوة إلّا بالله

فلما قام سفيان قال جعفر : خذها ياسفيان ثلاثاً وأى ثلاث

وقال ابن قتيبة فى كتاب أدب الكاتب : كتاب الجفر كتبه الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر رضى الله عنهما ، فيه كل مايحتاجون الى علمه الى يوم القيامة ، والى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعرى بقوله :

« لقد عجبوا لآل البيت لما   أتاهم علمهم فى جلد حفر »

« ومرآة المنجم وهى صغرى   تريه كل عامرة وقفر »

(والجفر من أولاد المعز مابلغ أربعة أشهر وانفصل عن أمه)

وفى الفصول المهمة نقل بعض أهل العلم أن كتاب الجفر الذى بلغ بالغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن بن على من كلام جعفر الصادق وله فيه المنقبة السنية ، والدرجة التى فى مقام الفضل علية

عبادته وتقواه

قال محمد بن طلحة : كان جعفر الصادق يقسم أوقاته على أنواع الطاعات ويحاسب نفسه عليها

وكان يقول : اللّهم إنك بما أنت له أهل من العفو أولى بما أنا له أهل من العقوبة

نبذ من كلامه وحكمه

قال جعفر الصادق رضى الله عنه : للصداقة خمسة شروط فمن كانت فيه فانسبوه اليها ، ومن لم تكن فيه فلا تنسبوه الى شىء منها وهى : أن يكون زين صديقه زينه ، وسريرته له كعلانيته ، وألّا يغره عليه مال ، وأن يراه أهلا لجميع مودته ، ولايسلمه عند النكبات

ومن كلامه رضى الله عنه : لايتم المعروف إلّا بثلاث : تعجيله ، وتصغيره ، وستره

وقال رضى الله عنه : ما كل من رأى شيئًا قدر عليه ، ولا كل من قدر على شىء وفق له ، ولا كل من وفق أصاب له موضعًا ، فاذا اجتمعت النية ، والتوفيق ، والاصابة فهناك السعادة

وقال رضى الله عنه : تأخير التوبة اغترار ، وطول التسويف حيرة

والاعتلال على الله هلكة ، والإصرار على الذنب من مكر الله ، ولا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون

وقال رضى الله عنه : أربعة أشياء القليل منها كثير : النار ، والعداوة ، والفقر ، والمرض

وسُئل : لِمَ سُمى البيت العتيق ؟ قال : لأن الله تعالى أعتقه من الطوفان

وقال : صحبة عشرين يومًا قرابة

وقال : كفارة عمل الشيطان ، الإحسان الى الإخوان

وقال : إذا دخلت منزل آخيك فاقبل الكرامة ماخلا الجلوس فى الصدور

وقال : البنات حسنات ، والبنون نعم ، والحسنات يثاب عليها ، والنعم مسئول عنها

وقال : مَن لم يستح عند العيب ، و يرعو عند الشيب ، ويخش الله بظهر الغيب ، فلا خير فيه

وقال : إياكم وملاحاة الشعراء فانهم يضنون بالمدح ، ويجودون بالهجاء والقدح

وقال : مَن أكرمك فاكرمه ، ومَن استخف بك فاكرم نفسك عنه

وقال : منع الجود ، سوء الظن بالمعبود

وقال : دعا الله الناس فى الدنيا بآبائهم ليتعارفوا ، ودعاهم فى الآخرة بأعمالهم ليجازوا، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

وقال : ان عيال المرء أسراؤه ، فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسع على أسرائه ، فان لم يفعل يوشك أن تزول تلك النعمة

وقال : ثلاثة لايزيد الله بها الرجل المسلم إلّا عزًّا : الصفح عمن ظلمه ، والإعطاء لمن حرمه ، والصلة لمن قطعه

وقال : المؤمن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق ، و إذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل

وصيته الجامعة لمكارم الأخلاق

قال بعض شيعة جعفر الصادق : دخلت عليه ، وموسى ولده بين يديه ، وهو يوصيه بهذه الوصية ، فحفظتها فكان مما أوصى به أن قال :

يا بُنى ، إقبل وصيتى ، واحفظ مقالتى ، فانك إن حفظتها تعش سعيداً ، وتمت حميداً

يا بُنى ، إنه من قنع بما قسم الله له استغنى ، ومَن مدّ عينيه الى مافى يد غيره مات فقيراً ، ومَن لم يرض بما قسم الله له اتهم ربه فى قضائه ، ومَن استصغر زلة نفسه استصغر زلة غيره

يا بُنى ، مَن كشف حجاب غيره انكشفت عورته ، ومَن سلَّ سيف البغى قتل به ، ومَن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها ، ومَن واصل السفهاء حُقر ، ومَن خالط العلماء وُقر ، ومَن دخل مداخل السوء اتهم

يا بُنى ، قل الحق لك أو عليك ، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء فى قلوب الرجال

يا بُنى ، إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه ، فإن للجود معادن ، وللمعادن أصولا ، وللأصول فروعاً ، وللفروع ثمراً ، ولا يطيب ثمر إلَّا بفروع وأصل ، ولا أصل ثابت إلّا بمعدن طيب

يا بُنى ، إذا زرت فزر الأخيار ، ولا تزر الأشرار ، فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها ، وشجرة لا يخضر ورقها ، وأرض لا يظهر عشبها

وقال أحمد بن عمر بن مقدام الرازى : وقع الذباب على وجه المنصور فذبه ، فعاد حتى أضجره ، وكان عنده جعفر الصادق بن محمد الباقر فى ذلك الوقت فقال له المنصور : يا أبا عبد الله لِمَ خلق الله الذباب ؟

قال : ليذل به الجبابرة ، فسكت المنصور

قال سفيان الثورى : سمعت جعفر الصادق يقول : عزَّت السلامة حتى لقد خفى مطلبها فإن تك فى شىء فيوشك أن تكون فى الخمول ، وإن طلبت فى الخمول فلم توجد ، فيوشك أن تكون فى العزلة والخلوة ،

فان لم توجد فى العزلة والخلوة فيوشك أن تكون فى كلام السلف ، والسعيد من وجد فى نفسه خلوة تشغله عن الناس

وروى محمد بن حبيب عن جعفر الصادق بن محمد عن أبيه عن جده ورفعه قال : مامن مؤمن أدخل على قومه سرورا الّا خلق الله من ذلك السرور ملكاً يعبد الله يحمده ويُمجِّده ، فاذا صار المؤمن فى لحده أتاه ذلك السرور الذى أدخله على أولئك ملكاً فيقول : أنا اليوم أونس وحشتك ، وألقنك ، وأثبتك بالقول الثابت ، وأشهدبك مشاهد القيامة ، وأشفع لك الى ربك ، وأريك منزلتك فى الجنة ، كذا فى الفصول المهمة

وفاته

توفى جعفر الصادق رضى الله عنه ابن محمد سنة ثمان وأربعين ومائة فى شوال وله من العمر ثمان وستون سنة . ويقال : انه مات بالسم فى أيام المنصور ، ودفن بالبقيع فى القبر الذى دفن فيه أبوه وجده وعم جده ، فياله من قبر شريف ما أكرمه وما أشرفه

أولاده

أولاده رضى الله عنه كانوا سبعة وقيل أكثر : ستة ذكور وبنت واحدة وهم : اسماعيل ، ومحمد ، وعلى ، وعبد الله ، واسحٰق ، وموسى الكاظم . والبنت اسمها فروة ، كذا فى الفصول المهمة

٦ - الامام موسى الكاظم

ولد سنة ١٢٨ - وتوفى سنة ١٨٣ هـ

نسبه - هو ابن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن على زين العابدين ، ابن الحسين ، بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وأمه أم ولد يقال لها حميدة البربرية

مولده - ولد (بالابواء) سنة ثمان وعشرين ومائة من الهجرة

كنيته - أبو الحسن

ألقابه - ألقابه كثيرة أشهرها الكاظم ثم الصابر والصالح والأمين ، ولقب بالكاظم لأنه كان يحسن الى من يسىء اليه ويكظم غيظه . ونقش خاتمه (الملك لله وحده)

مناقبه

علمه وفضله

قال بعض أهل العلم : الكاظم ، هو الإمام الكبير القدر ، الأوحد الحجة ، الحبر ، جمع من الفقه والدين ما لا مزيد عليه

تعبده

كان أعبد أهل زمانه ، الساهر ليله قائماً ، القاطع نهاره صائماً المسمى ، لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً ، وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج الى الله ، وذلك لنجح قضاء حوائج المتوسلين به

دعاؤه — كان كثيراً مايدعو بقوله : اللّهم إنى أسألك الراحة عند الموت ، والعفو عند الحساب

كرمه وسخاؤه — كان يخرج بالليل وفى كمه صرر من الدراهم ، فيعطى مَن لقيه ، ويضرب به المثل (بصرة موسى) وكان رضى الله عنه أسخاهم كفاً ، وأكرمهم نفساً

وكان يتفقد فقراء المدينة فتحمل اليهم الدراهم والدنانير الى بيوتهم ليلاً ، وكذلك النفقات ، ولا يعلمون من أى جهة وصلهم ذلك ، ولم يعلموا بذلك إلّا بعد موته

حكايته مع الرشيد

سأله الرشيد يوماً فقال : كيف قلتم نحن ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم بنو على ، وإنما ينسب الرجل الى جده لأبيه دون جده لأمه ؟

فقال الكاظم : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى ﴾ . وليس لعيسى أب ، و إنما ألحق بذرية الأنبياء من قبل أمه ، وكذلك ألحقنا بذرية النبى صلى الله عليه وسلم من قبل أمنا فاطمة

وزيادة على ذلك يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل :

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴾

ولم يدع صلى الله عليه وسلم عند مباهلة النصارى غير على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم وهم الأبناء

وروى موسى الكاظم عن آبائه مرفوعاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نظر الولد الى والديه عبادة

وعن اسحٰق بن جعفر قال : سألت أخى موسى الكاظم بن جعفر قلت : أصلحك الله أيكون المؤمن بخيلاً ؟ قال : نعم . فقلت : أيكون خائناً ؟ قال : لا ، ولا يكون كذاباً

ثم قال : حدثنى أبى جعفر الصادق عن آبائه رضى الله عنهم قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل خـلة يطوى المؤمن عليها ليس الـكذب والخيانة

وفاته – توفى ببغداد لخمس بقين من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وله من العمر خمس وخمسون سنة . وقيل : انه مات مسموماً من طعام قدمه له (السندى) بأمر الرشيد بعد أن حبس مدة سنة بالبصرة بسبب الفتنة التى وصلت الى الرشيد فى حقه ، وسعاية الواشين ضده بالغيبة والنميمة ، وهذه الرواية مذكورة فى كتاب نور الأبصار

ولما مات أدخل (السندى) الفقهاء ووجوه أهل بغداد ينظرون اليه أنه ليس به أثر من جرح أو قتل أو خنق ، وأنه مات حتف أنفـه ليدارى سوء فعله

ودفن موسى الـكاظم فى مقابر قريش بباب التين ببغداد

أولاده – أولاده سبعة وثلاثون ولداً مابين ذكر وأنثى وهم :

على الرضا ، وابراهيم ، والعباس ، والقاسم ، واسماعيل ، وجعفر ، وهارون ، والحسن ، وعبدالله ، واسحٰق ، وعبدالله ، وزيد ، والحسن ، وأحمد ، ومحمد ، والفضل ، وسليمان ، وفاطمة الـكبرى ، وفاطمة الصغرى ، ورقية ، وحليمة ، وأم أسماء ، ورقية الصغرى ، وأم كلثوم ، وميمونة ، وغيرهم

٧ – الامام على الرضا

ولد سنة ١٤٨ – وتوفى سنة ٢٠٣ ﻫ

نسبه – هو ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، ابن على زين العابدين ، بن الحسين ، بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ، وأمه أم ولد يقال لها أم البنين واسمها (أروى)

مولده – ولد بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة

كنيته – أبو الحسن

ألقابه – الرضا ، والصابر ، والزكى ، والولى . وأشهرها الرضا ، ونقش خاتمه (حسبى الله)

مناقبه

علمه وفضله – قال ابراهيم بن العباس : مارأيت الرضا سُئل عن شىء إلَّا علمه ، ولا رأيت أعلم منه بما كان فى الزمان الى وقت عصره وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شىء فيجيبه الجواب الشافى الكافى

تعبده – وكان قليل النوم ، كثير الصوم ، لايفوته صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، ويقول : ذلك صيام الدهر

معروفه وتصدقه ـ وكان كثير المعروف والصدقة ، وأكثر مايكون ذلك منه فى الليالى المظلمة

كرمه وجوده ـ من كرمه أن أبا نواس مدحه بأبيات فأمر غلامه بأن يعطيه ثلمائة دينار كانت معه ، ومدحه دعبل الخزاعى بقصيدة طويلة فأنفذ اليه صرة فيها مائة دينار واعتذر اليه

زهده وورعه ـ كان زاهداً ورعاً وكان جلوسه فى الصيف على حصير وفى الشتاء على مسح

قال ابراهيم بن العباس : سمعت الرضا يقول وقد سأله رجل : يكلف الله العباد مالا يطيقون ؟ فقال هو أعدل من ذلك . قال : فيقدرون على كل مايريدون . قال : هم أعجز من ذلك . وعن ياسر الخادم قال : سمعت على الرضا بن موسى يقول : أوحش مايكون هـذا الخلق فى ثلاثة مواضع : يوم يولد الى الدنيا ويخرج المولود من بطن أمه فيرى الدنيا ويوم يموت فـيرى الآخرة وأهلها ، ويوم يبعث فـيرى أحكاماً لم يرها فى دار الدنيا ، وقد سلم الله تعالى على يحيىٰ فى هذه الثلاثة المواطن وأمن روعته فقال :

﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾

وقد سلم عيسى بن مريم على نفسه فى هذه الثلاثة المواطن فقال:

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾

ترشيحه للخلافة من قبل المأمون

ذكر جماعة من أصحاب السير، ورواة الأخبار بأيام الخلفاء أن المأمون لما أراد ولاية العهد للرضا وحدث نفسه بذلك، وعزم عليه أحضر الفضل بن سهل وأخبره بما عزم عليه وأمره بمشاورة أخيه الحسن فى ذلك، فاجتمعا وحضرا عند المأمون، فجعل الحسن يعظم ذلك عليه ويعرفه مافى خروج الأمر عن أهل بيته، فقال المأمون: إنى عاهدت الله تعالى انى ان ظفرت بالمخلوع سلمت الخلافة الى أفضل بنى طالب وهو أفضلهم ولابد من ذلك

فلما رأيا تصميمه وعزيمته على ذلك أمسكا عن معارضته فقال: تذهبان الآن اليه، وتخبرانه بذلك عنى، وتلزمانه به، فذهبا الى على الرضا وأخبراه بذلك وألزماه، فامتنع فلم يزالا به حتى أجاب، على أنه لايأمر، ولا ينهى، ولا يعزل، ولا يولى، ولا يتكلم بين اثنين فى حكومة، ولا يُغير شيئاً مما هو قائم على أصله، فأجابه المأمون الى ذلك

ثم ان المأمون جلس مجلساً خاصاً لخواص أهل دولته من الأمراء والوزراء والحجاب والكتاب وأهل الحل والعقد، وكان ذلك فى يوم

الخميس لخمس خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين وأحضرهم فلما حضروا قال للفضل بن سهل : أخبر الجماعة الحاضرين برأى أمير المؤمنين فى الرضا على بن موسى وأنه ولاه عهده ، وأمرهم بلبس الخضرة والعود لبيعته فى الخميس

فحضروا وجلسوا على حسب طبقاتهم ومنازلهم كل فى موضعه ، وجلس المأمون ، ثم جىء بالرضا فجلس بين وسادتين عظيمتين وضعتا له ، وهو لابس الخضرة وعلى رأسه عمامة متقلد بسيف

فأمر المأمون ابنه العباس بالقيام اليه ومبايعته أول الناس ، فرفع الرضا يده وجعلها من فوق . فقال المأمون : ابسط يدك ، فقال له الرضا : هكذا كان يبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده فوق أيديهم . فقال : افعل ماترى

ثم وضعت بدر الدراهم والدنانير ، وبقج الثياب والخلع ، وقام الخطباء والشعراء وذكروا ما كان من أمر المأمون من ولاية عهده للرضا وذكروا فضل الرضا ، وفرقت الصلات والجوائز على الحاضرين على قدر مراتبهم . وأول من بدىء به العلويون ثم العباسيون ثم باقى الناس على قدر منازلهم ومراتبهم ، ثم ان المأمون قال للرضا : قم فاخطب الناس ، فقام فحمد الله وأثنى عليه وثنى بذكر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فصلى عليه وقال : أيها الناس ان لنا عليكم حقًا برسول الله صلى

الله عليه وسلم ، ولكم علينا حق به ، فاذا أديتم ذلك ، وجب لكم علينا الحكم والسلام

ولم يسمع منه فى هذا المجلس غير هذا ، وخطب للرضا بولاية العهد فى كل بلد

« وصورة كتاب العهد الذى كتبه المأمون بخطه للرضا مذكورة فى كتاب نور الأبصار ، فى مناقب آل بيت النبى المختار ، فمن شاء فليطلع عليها لأنها طويلة جداً ولا محل لذكرها هنا

وقد زوجه المأمون ابنته (أم حبيب) فى أول اثنين ومائتين والمأمون متوجه الى العراق وقد ضربت الدنانير باسمه

وفاته – توفى سنة ثلاثة ومائتين فى آخر صفر وله من العمر إذ ذاك خمس وخمسون سنة فى قرية يقال لها (سناباد) من (رستاق) من أعمال طوس من خراسان وقبره فى قبلى قبر هارون الرشيد

أولاده – خمسة بنين ، وابنة واحدة وهم : محمد القانع ، والحسن ، وجعفر ، وابراهيم ، والحسين ، والبنت اسمها عائشة

٨ - الامام محمد الجواد

ولد سنة ١٩٥ هـ - وتوفى سنة ٢٢٠ هـ

نسبه - هو ابن على الرضا ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ، ابن محمد الباقر ، بن على زين العابدين ، بن الحسين ، بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وأمه أم ولد يقال لها : سكينة المريسية

كنيته - أبو جعفر ككنية جده محمد الباقر ، ولذا يقال له (أبو جعفر الثانى)

ألقابه - كثيرة منها الجواد ، والقانع ، والمرتضى ، وأشهرها الجواد ونقش خاتمه (نعم القادر الله)

مولده - ولد بالمدينة تاسع عشر شهر رمضان المعظم سنة خمس وتسعين ومائة من الهجرة

مناقبه

ذكاؤه ونباهته - اتفق أن المأمون خرج يوماً يتصيد فاجتاز بطريق البلد فوجد صبيانا يلعبون ومحمد الجواد واقف عندهم ؛ فلما أقبل المأمون فرّ الصبيان ووقف محمد مكانه وعمره إذ ذاك تسع سنين ، فلما قرب

منه الخليفة نظر اليه ، فألقى الله فى قلبه حبه ، فقال له : ياغلام ، مامنعك من الانصراف كأصحابك ؟ فقال له محمد مسرعًا : يا أمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق فأوسعه لك ، وليس لى جرم فأخشاك ، والظن بك حسن ، انك لاتضر من لاذنب له

فأعجبه كلامه ، وحسن صورته ، فقال له : ما اسمك واسم أبيك ؟ فقال : محمد بن على الرضا . فترحم على أبيه ، وساق جواده الى مقصده

علمه وفضله وزواجه من بنت المأمون

لقد أحسن المأمون اليه ، وقرَّبه و بالغ فى إكرامه ، ولم يزل مشغوفا به لما ظهر له من فضله وعلمه ، وكمال عقله ، وظهور برهانه ، مع صغر سنه ، وعزم على تزويجه بابنته (أم الفضل) وصمم على ذلك فمنعه العباسيون من ذلك خوفاً من أن يعهد اليه كما عهد الى أبيه من قبل

فلما ذكر لهم أنه إنما اختاره لتميزه عن كافة أهل الفضل علمًا ومعرفةً وحلمًا مع صغر سنه نازعوه فى اتصاف (محمد الجواد) بذلك ، وطلبوا منه اختباره بمعرفة يحيى بن أكثم . فلما امتحنه أجابه إجابات سديدة فقالوا : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

فقال المأمون : قد عرفتم الآن ماتنكرون عليه ، والحمد لله على مامَنَّ به علىَّ من السداد فى الأمر ، والتوفيق فى الرأى ، وأقبل على أبى جعفر

وقال له : إني مزوجك ابنتي (أم الفضل) رغم أنوف القوم ، فاخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسي وابنتي

فقال أبو جعفر : الحمد لله ، إقراراً بنعمته ، ولا إله إلا الله ، إخلاصاً بوحدانيته ، وصلى الله على سيدنا محمد سيد بريته ، والأصفياء من عترته ، أما بعد ، فقد كان من فضل الله على الأنام ، أن أغناهم بالحلال عن الحرام ، فقال تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

ثم ان محمد بن علي بن موسى خطب الى أمير المؤمنين عبد الله المأمون ابنته (أم الفضل) وقد بذل لها من الصداق مَهرَ جدته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهو خمسمائة درهم جياد) فهل زوجتني يا أمير المؤمنين إياها على هذا الصداق ؟

قال المأمون : زوجتك ابنتي (أم الفضل) على هذا الصداق المذكور

فقال أبو جعفر : قبلت نكاحها لنفسي على هذا الصداق المذكور

وبعد أن انصرف الناس تقدم المأمون بالصدقة على الفقراء والمساكين ، ولم يزل عنده محمد الجواد معظماً مكرماً الى أن توجه بزوجته أم الفضل الى المدينة الشريفة

وفاته — توفى أبو جعفر محمد الجواد ببغداد ، وكان سبب وصوله اليها إشخاص المعتصم له من المدينة فقدم بغداد ومعه زوجته (أم الفضل) بنت المأمون لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين

وكانت وفاته فى آخر ذى القعدة من السنة المذكورة ودفن فى مقابر قريش فى قبر جده أبى الحسن موسى الكاظم ودخلت امرأته (أم الفضل) فى قصر المعتصم

وكان له من العمر يومئذ خمس وعشرون سنة وأشهر ، ويقال : أنه مات مسموماً ، وأن زوجته (أم الفضل) سقته السمّ بأمر أبيها

أولاده — خلف من الولد ، علياً ، وموسى ، وفاطمة ، وامامة

نبذ من كلامه وحكمه

من كلامه رضى الله عنه : أن لله عباداً يخصهم بدوام النعم ، فلا تزال فيهم مابذلوها ، فان منعوها نزعها الله عنهم وحولها الى غيرهم

وقال رضى الله عنه : ماعظمت نعمة الله على أحد ، إلّا عظمت اليه حوائج الناس ، فمن لم يتحمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال

وقال رضى الله عنه : أهل المعروف الى اصطناعه أحوج من أهل

الحاجة اليه ؛ لأن لهم أجره، وفخره ، وذكره ، فمهما اصطنع الرجل من معروف فانما يبتدىء فيه بنفسه

وقال رضى الله عنه : مَن أجلَّ إنسانا هابه ، ومن جهل شيئًا عابه ، والفرصة خلسة ، ومن كثر همه سقم جسمه ، وعنوان صحيفة المسلم حسن خلقه، وفى رواية أخرى : عنوان صحيفة المسلم السعيد حسن الثناء عليه

وقال : من استغنى بالله افتقر الناس اليه ، ومن اتقى الله أحبه الناس

وقال : الجمال فى اللسان ، والكمال فى العقل

وقال : العفاف زينة الفقر ، والشكر زينة البلاء ، والتواضع زينة الحسب ، والفصاحة زينة الكلام ، والحفظ زينة الرواية ، وخفض الجناح زينة العلم ، وحسن الأدب زينة الورع ، وبسط الوجه زينة القناعة ، وترك مالا يعنى زينة الورع

وقال : حسب المرء من كمال المروءة ألّا يلقى أحداً بما يكره ، ومن حسن خلق الرجل كفّه أذاه ، ومن سخائه برّه بمن يجب حقه عليه ، ومن كرمه إيثاره على نفسه ، ومن انصافه قبول الحق إذا بان له ، ومن نصحه نهيه عما لايرضاه لنفسه ، ومن حفظه لجوارك تركه توبيخك عند ذنب أصابك ، مع علمه بعيوبك ، ومن رفقه تركه عذلك بحضرة

من تكره ، ومن حسن صحبته لك إسقاطه عنك مؤنة التحفظ ، ومن علامة صداقته كثرة موافقته ، وقلة مخالفته ، ومن شكره معرفة إحسان من أحسن اليه ، ومن تواضعه معرفته بقدره ، ومن سلامته قلة حفظه لعيوب غيره ، وعنايته بصلاح عيوبه

وقال رضى الله عنه : العالم بالظلم ، والمعين عليه ، والراضى به ، شركاء

وقال رضى الله عنه : من أخطأ وجوه المطالب خذلته الحيل ، والطامع فى وثاق الذل ، ومن طلب البقاء ، فليعد للمصائب قلباً صبوراً

وقال رضى الله عنه : العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم

وقال رضى الله عنه : الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت

وقال رضى الله عنه : ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله : كثرة الاستغفار ، ولين الجانب ، وكثرة الصدقة

وله حكم وأقوال كثيرة نكتفى بما ذكر منها والله أعلم

وقال رضى الله عنه : ثلاث من كن فيه لم يندم :

ترك العجلة ، والمشورة ، والتوكل على الله عند العزم

٩ — الامام على الهادى

ولد سنة ٢١٤ — وتوفى سنة ٢٥٤ هـ

نسبه — هو سيدنا على الهادى ، بن محمد الجواد ، بن على الرضا ، ابن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن على زين العابدين ، بن الحسين ، بن على ، بن أبي طالب رضى الله عنهم ، وأمه أم ولد يقال لها (سمانة المغربية)

كنيته — أبو الحسن لاغير

ألقابه — أما ألقابه فهى : الهادى ، والمتوكل ، والناصح ، والمتقى ، والمرتضى ، والفقيه ، والأمين ، والطيب ، وأشهرها الهادى . وكان ينهى أصحابه عن تلقيبه بالمتوكل لكونه لقباً للخليفة جعفر المتوكل ابن المعتصم . ويقال له العسكرى : لأنه أقام بموضع يقال له : العسكر وهو (سُرَّ مَن رأى) ونقش خاتمه (الله ربى وهو عصمتى من خلقه)

مولده — ولد أبو الحسن الهادى بالمدينة فى رجب سنة أربع عشرة ومائتين للهجرة

مناقبه

علمه - كان أبو الحسن العسكرى وارث أبيه علماً ومنحاً ، وكان فقيهاً فصيحاً جميلاً مهيباً، وكان أطيب الناس بهجة ، وأصدقهم لهجة

كرمه وزهده وعفته - نقل غير واحد أن أبا الحسن العسكرى خرج يوماً من (سُرّ من راى) إلى قرية له لمهم ، فجاء رجل من بعض الأعراب يطلبه فى داره فلم يجده وقيل له : أنه ذهب الى الموضع الفلانى ، فقصد الى ذلك الموضع ، فلما وصل اليه قال له : ماحاجتك ؟ فقال له : أنا رجل من أعراب الكوفة المستمسكين بولاء جَدّك على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقد ارتكبتنى الديون ، وأثقلت ظهرى بحملها ، ولم أر من أقصده لقضائها . فقال له أبو الحسن : كم دينك ؟ فقال : نحو عشرة آلاف درهم

فقال : طب نفساً ، وقر عيناً ، يُقضى دينك إن شاء الله تعالى ، ثم أنزله . فلما أصبح الصباح قال له : يا أخا العرب ، أريد منك حاجة لاتعصينى فيها ولا تخالفنى ، والله الله فيما آمرك به ، وحاجتك تُقضى إن شاء الله تعالى . فقال الأعرابى : لا أخالفك فى شىء مما تأمرنى به ، فأخذ أبو الحسن ورقة وكتب فيها بخطه (ديناً عليه للأعرابى المذكور) وقال له : خذ هذا الخط معك فاذاحضرت الى (سُرمن راى) فترانى

أجلس مجلساً عاماً، فاذا حضر الناس واحتفل المجلس فتعال الىّ بالخط

وطالبنى ، وأغلظ علىّ فى القول والطلب، ولا لوم عليك ، والله الله أن

تخالفنى فى شىء مما أوصيتك به

فلما وصل أبو الحسن الى (سُرمن راى) جَلس مجلساً عاماً وحضره

جماعة من وجوه الناس وأصحاب الخليفة المتوكل ، فجاء الأعرابى

وأخرج الورقة وطالبه بالمبلغ وأغلظ عليه الكلام ، فجعل أبو الحسن

يعتذرله ، ويطيب نفسه بالقبول ، ويعده بالخلاص ، وكذلك الحاضرون

وطلب منه المهلة ثلاثة أيام

فلما انفك المجلس نقل ذلك للخليفة المتوكل ، فأمر لأبى الحسن

على الفور بثلاثين ألف درهم ، فلما حملت اليه تركها الى أن جاء الأعرابى

فقال له : خذها جميعها . فقال الأعرابى : يابن رسول الله ، والله ان

العشرة بلوغ مطلبى ، ونهاية أربى

فقال أبو الحسن : والله لتأخذن ذلك جميعه ، وهو رزقك، ساقه الله

لك ، ولو كان أكثر من ذلك ماقصناه ، فأخذ الأعرابى الثلاثين

ألف درهم وانصرف وهو يقول : ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

قصته مع المتوكل

فى تاريخ ابن خلكان وغيره أنه سعى به الى المتوكل بأن فى منزله

سلاحاً وكتباً من شيعته ، وأنه يطلب الأمر لنفسه ، فبعث اليه جماعة فهجموا عليه فى منزله فوجدوه على الأرض مستقبل القبلة ، يقرأ القرآن، فحملوه على حاله الى المتوكل والمتوكل يشرب فأعظمه وأجله ، وقال له : أنشدنى . فقال : إنى قليل الرواية للشعر . فقال : لابد . فأنشده :

« باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فلم تنفعهم القلل »

« واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... وأودعوا حفرا يابئس مانزلوا »

« ناداهمو صارخ من بعد مارحلوا ... أين الأسرة والتيجان والحلل ؟ »

« أين الوجوه التى كانت محجبة ؟ ... من دونها تضرب الأستار والكلل »

« فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل »

« يا طالما أكلوا يوماً وما شربوا ... فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أُكلوا »

قال : فبكى المتوكل والحاضرون ؛ وقال له المتوكل : يا أبا الحسن هل عليك دين ؟ قال : نعم . أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها وصرفه معظماً مكرماً

وفاته — توفى أبو الحسن على الهادى المعروف بالعسكرى (بسُر مَن رأى) يوم الاثنين لخمس ليال بقيت من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين وله من العمر أربعون سنة

ودفن فى داره (بسر من راى) ويقال : أنه مات مسموماً والله أعلم

أولاده — محمد ، والحسن ، ومحمد أبو جعفر ، وله ابنة اسمها عائشة

١٠ – الامام الحسن الخالص

ولد سنة ٢٣٢ – وتوفى سنة ٢٦٠ هـ

نسبه – هو سيدنا الحسن الخالص ، بن على الهادى ، بن محمد الجواد ، بن على الرضا ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن على ز بن العابدين ، بن الحسين ، بن على ، بن أبى طالب رضى الله عنهم . وأمه أم ولد يقال لها : (حديث) وقيل (سوسن)

كنيته – أبو محمد

ألقابه – الخالص ، والسراج ، والعسكرى ونقش خاتمه (سبحان من له مقاليد السموات والأرض)

مولده – ولد أبو محمد الخالص بالمدينة لثمان خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة

مناقبه

علمه وعبادته – وقع للبهلول معه واقعة تدل على علمه وعبادته وهى : أنه رآه وهو صبى يبكى والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما بأيديهم ، فقال له : أشترى لك ماتلعب به ؟ فقال : ياقليل العقل ، ماللعب خُلقنا

فقال له : فلماذا خلقنا ؟ قال : للعلم والعبادة . فقال له : من أين لك ذلك ؟ فقال : من قوله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

ثم سأله أن يعظه ، فوعظه بأبيات ، ثم خرّ الحسن رضى الله عنه مغشيًا عليه ، فلما أفاق قال له : مانزل بك وأنت صغير ولا ذنب لك ؟ فقال : اليك عني يابهلول ، إنى رأيت والدتى توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلّا بالصغار وإنى أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم

وعن أبى هاشم قال : سمعت أبا محمد الحسن يقول : إن فى الجنة بابًا يقال له (المعروف) لايدخل منه إلّا أهل المعروف، فحمدت الله فى نفسى ، وفرحت بما أتكلف من حوائج الناس ، فنظر الىّ وقال : يأبا هاشم دم على ما أنت عليه ، فان أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة

وعنه أيضًا قال : سمعت أبا محمد يقول (بسم الله الرحمن الرحيم) أقرب الى اسم الله الأعظم من سواد العين الى بياضها

وفاته

كانت وفاة أبى محمد الحسن بن على فى يوم الجمعة لثمان خلون من

شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين . وكان عمره يوم وفاته ٢٨ سنة

ولما ذاع خبر وفاته ارتجت (سُر من راى) وقامت صيحةً واحدةً ، وعطلت الأسواق ، وغلقت الدكاكين ، وركب بنو هاشم ، والقوّاد ، والكتاب، والقضاة ، وسائر الناس الى جنازته ، وكانت (سُر من رأى) يومئذ شبيهة بالقيامة

فلما فرغوا من تجهيزه بعث الخليفة الى أبى عيسى بن المتوكل ليصلى عليه ، فصلى عليه ودفن فى البيت الذى دفن فيه أبوه من دارهما (بسر من رأى)

أولاده

خلف ولداً واحداً اسمه (محمد)

١١ — الامام محمد المهدى

ولد سنه ٢٥٥ هـ

نسبه — هو سيدنا محمد ، بن الحسن الخالص ، بن على الهادى ، ابن محمد الجواد ، بن على الرضا ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن على زين العابدين ، بن الحسين ، بن على ، بن أبى طالب رضى الله عنهم

وأمه أم ولد يقال لها : (نرجس) وقيل (صقيل) وقيل (سوسن)

كنيته — أبو القاسم

ألقابه — لقبه الامامية بالحجة ، والمهدى ، والخلف الصالح ، والقاسم ، والمنتظر ، وصاحب الزمان ، وأشهرها (المهدى) وقيل : سمى القائم المنتظر لأنه ستر بالمدينة ، وغاب فلم يعلم أين ذهب ، وهو آخر الأئمة الاثنى عشر على ما ذهب اليه الأمامية ، وهو عندهم الامام المهدى المنتظر فيهم ويقولون له : اخرج ياصاحب الزمان ، فقد كثر الظلم والفساد ، وهذا أوان خروجك ، ليفرق الله بك بين الحق والباطل (كما جاء فى رحلة ابن بطوطة)

الأحاديث الواردة فى حقه

عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لو لم يبق إلّا يوم لبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتى يملؤها عدلا كما ملئت جوراً . أخرجه أبو داود فى سننه

وأخرج أبو داود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : المهدى منى ، أجلى الجبهة ، أقنى الأنف ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت جوراً وظلماً زاد أبو داود يملك سبع سنين

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المهدى طاوس أهل الجنة

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم ، وأمامكم منكم ؟ رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ، ظاهرين الى يوم القيامة قال : فينزل عيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فيقول أميرهم : تعال صل بنا . فيقول : ألا ان بعضكم

على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة : أخرجه مسلم فى صحيحه

وروى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبشركم بالمهدى يملأ الأرض قسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً، يرضى عنه سكان السماء والأرض يقسم المال صحاحاً ، فقال رجل : ما معنى صحاحاً ؟ قال : بالسوية بين الناس ، ويملأ قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم غنًى ، ويسعهم عدله حتى يأمر مناديا ينادى يقول :

من له بالمال حاجة فليقم ، فما يقوم من الناس إلَّا رجل واحد فيقول : أنا

فيقول له : إِئت (السادن) يعنى الخازن فقل له : إن المهدى يأمرك أن تعطينى مالاً فيحثو له فى ثوبه حثواً حتى إذا صار فى ثوبه يندم ويقول : كنت أجشع أمة محمد صلى الله عليه وسلم نفساً، أعجز عما وسعهم ، فيرده الى الخازن فلا يقبل منه ، ويقول : إنا لانأخذ شيئاً مما أعطيناه، فيكون المهدى كذلك سبع سنين أو ثمانياً أو تسعاً ، ثم لاخير فى العيش بعده ، أو قال : ثم لاخير فى الحياة بعده

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخرج المهدى وعلى رأسه غمامة فيها ملك ينادى : هذا خليفة الله المهدى فاتبعوه (أخرجه أبو نعيم والطبرانى وغيرهما)

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

تتنعم أمتى فى زمن المهدى نعمة لم يتنعموا مثلها قط ، ترسل السماء عليهم مدراراً ، ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلا أخرجته ـ رواه الطبرانى فى معجمه الكبير

وقد تواترت الأخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً

وتواترت الأخبار على أنه يعاون عيسى عليه السلام على قتل المسيح الدجال بباب (لد) بأرض فلسطين بالشام . والله تعالى أعلم . والصلاة والسلام على رسله الكرام ، فى المبدأ والختام

انتهى بعون الله وتوفيقه الجزء الرابع وكان الفراغ من تأليفه فى مساء الجمعة ١٨ شوال سنة ١٣٥٢ الموافق ٣ فبراير سنة ١٩٣٤

السيد على فكرى

ابن المرحوم

السيد محمد عبدالله

تم طبعه يوم السبت ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣

١٨ اغسطس سنة ١٩٣٤

فهرس

الصفحة	الموضوع

الصفحة	الموضوع
١٨٨	سفيان الثورى والمهدى
١٨٩	امتناعه عن قضاء الكوفة
	سفيان وأبو جعفر المنصور
١٩٠	وفاته - نبذ من أقواله وحكمه
١٩٥	الامام الأوزاعى
	نسبه ومولده ونشأته وصفاته وعلمه ومكانته
١٩٦	عبادته وورعه
١٩٧	سياسته ونصحه للملوك والخلفاء
	كرمه وسخاؤه
١٩٨	شجاعته وجراءته
١٩٩	الأوزاعى والمنصور
٢٠٠	وفاته وسببها
٢٠١	تأبينه ونبذ من أقواله وحكمه
٢٠٣	الأئمة الصالحون الأخيار
	الإمام الحسن السبط
	نسبه الشريف مولده

الصفحة	الموضوع
٢٠٤	كنيته ، وألقابه ، شبهه بالنبى
٢٠٥	الأحاديث الواردة فى فضله
٢٠٦	مناقبه . أدبه وتواضعه
٢٠٧	كرمه
٢٠٩	تصدقه ومواساته للفقراء
٢١٠	قصته مع معاوية ومصالحته
٢١٢	مرضه ووفاته
٢١٤	أولاده - نبذ من كلامه وحكمه
٢١٦	مواعظه
٢١٨	الإمام الحسين عليه السلام
	نسبه الشريف ومولده
٢١٩	اسمه
٢٢٠	كنيته وألقابه وختانه ورضاعه
٢٢١	الأحاديث الواردة فى فضله
٢٢٢	موجز أخبار حياته
٢٢٤	نشأته فى حياة جده الرسول
٢٢٥	محبة عمر للحسن والحسين

السمير الصغير

شعر سهل بالصور

نظم الاستاذ

محمد الهراوى

قررته وزارة المعارف للتعليم الأولى

تربية الطفل

للدكتور شخاشيرى

كتاب تتبع فيه أطوار الطفل وما يلزم لتربيته فى صورة محادثة بين الطبيب وأبوى الطفل . وهو أول كتاب فى التربية فى أسلوبه لايستغنى عنه من يريد أن يربى طفله تربية صحية وخير مرشد للامهات

تربية البنين

للاستاذ السيد على فكرى أمين دار الكتب المصرية

كتاب صغير يهدى النشء الى واجباتهم المدرسية ، والمنزلية ، والاجتماعية ، فيشبون من صغرهم على مكارم الأخلاق ، ومحاسن الخصال وجليل الأعمال ، التى يكونون بها رجالا فى المستقبل ، نافعين لأنفسهم ، ووطنهم وأسرتهم



كتاب لتربية البنات تربية اسلامية حقة ، فى أدوار حياتهن المنزلية والمدرسية ، والاجتماعية ، ويشمل كثيراً من الحكايات التهذيبية والأناشيد الأدبية ، والحكم والأمثال الوعظية ، لتكون بها سيدة مهذبة ومدبرة عاقلة ، وامرأة صالحة نافعة لأمتها وأسرتها











